مفردات القرآن

للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤- ١٩٥٣م)

جمع وتعريب

محمد فرمان الندوي

عضو هيئة التدريس بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ (الهند)

حقوق الطبع محفوظة

الطُّبعة الأولى
٢٠١٧م -١٤٣٨هـ

يطلب الكتاب من :

- مكتبة الشباب العلمية، شارع ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
- المكتبة الندوية، ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)
- مكتبة الدارين ، شارع ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
- مكتبة الإحسان، مكارم نغر ، لكناؤ (الهند)

كلمة الناشر

بقلم: فضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي
سكرتير المجمع الإسلامي العلمي - لكناؤ
رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء ، لكناء (الهند)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، بعد!

فقد ظل القرآن الكريم موضوعاً خاصاً لدى الخاصة والعامة في كل زمان ومكان بلغته وبيانه ومفاهيمه، لأنه يخاطب كل طبقة من الناس في كل عصر ومصر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وأشار القرآن الكريم إلى ميزته الخاصة، فقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١-٢].

العرب هم المخاطبون الأوّلون للقرآن الكريم، فلا بدّ من الاطلاع الواسع على طبائعهم وطرق فهمهم وتاريخهم ولغتهم العربية ولهجاتهم وأمثالهم لفهم القرآن الكريم، ولا يكفي مجرد الاستفادة من كتب التفسير وتراجم معاني القرآن، وقد ذكر الأديب المفسّر سيد قطب مؤلف «في ظلال القرآن» من مصر، تجربته في

مؤلفه القيم: التصوير الفني في القرآن، وهو يقول: «حينما طالعتُ القرآن على أساس هذا الذوق والعلم، شعرت بلذة جديدة وتوصلت إلى معاني القرآن الكريم».

وإن الذين ألّفوا حول معاجم القرآن من المتقدمين هم ابن قتيبة وابن سلام الجمحي وأبو عبيدة، فليس هؤلاء علماء المعاجم فقط، بل كانوا يحملون ذوقاً رفيعاً لمعرفة طبائع العرب، وأمثالهم وكيفية كلماتهم وفهمها.

هذا الكتاب يشتمل على مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي، وكان العلامة السيد سليمان الندوي قد أخذ علم التفسير من أساتذة كبار في دار العلوم لندوة العلماء، فهو يحمل ذوقاً عالياً للغة العربية وآدابها، والتاريخ والسيرة، يشهد العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي بالذوق القرآني للعلامة السيد سليمان الندوي:

«أعتقد أن أحداً لم يُرزق من الفهم العميق للقرآن الكريم، كما كان للعلامة السيد سليمان الندوي، وهذا اكتشاف تاريخي، يعرف الناس أن العلامة السيد سليمان الندوي كان مؤرخاً، ومؤلف السيرة النبوية، ومتكلماً للإسلام، لكني أعتقد أنه لم يكن هناك عالم لا في شبه القارة الهندية، بل في القارات الأخرى كانت دراساته القرآنية عميقة ودقيقة مثل العلامة الندوي، ذلك لأنه قد درس اللغة العربية وآدابها والبلاغة والإعجاز القرآني دارسة واعية»[1]

هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا يتحدث عن مفردات القرآن

---

(١) دعوت فكر وعمل للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص: ١٨٧ــ ١٨٨) مجلس تحقيقات ونشريات إسلام، الطبعة الثالثة، عام: ٢٠١٣م.

الكريم ومعانيه للعلامة السيد سليمان الندوي، وكان العلامة الندوي قد درس على جهابذة علماء التفسير في زمانه، فكسب معرفةً واسعةً في هذا الموضوع، بالإضافة إلى البراعة التامة في اللغة العربية والسيرة النبي (ﷺ) والتاريخ الإسلامي.

وقد انتقد العلامة السيد سليمان الندوي آراء كبار المفسرين في دراساته الواسعة حول اللغة العربية وآدابها، في سيرة النبي (ﷺ) وأرض القرآن، وفنّد مغالطات نولديكي ومرغوليث وبعض الكتاب الغربيين، الذين تناولوا موضوع اللغة العربية وآدابها، فتاريخ أرض القرآن أهم مرجع عن قبائل العرب ومواضعها وعقائدها واتجاهاتها.

وكان للعلامة السيد سليمان الندوي إلمام كبير باللغة العربية وآدابها، فقد استخرج النكت التفسيرية من الآيات القرآنية، وكتب في مؤلفاته ولا سيما في نسخته القرآنية التي يتلوها كل يوم، وانتقل هذا الذوق القرآني إلى تلامذته النجباء أمثال الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي، والعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي عن كسب هذا الذوق العلمي:

«إن للمؤلف تجربةً عمليةً، واقتراحاً مخلصاً، في صدد الصلة الشخصية المباشرة بالقرآن الكريم، والعلاقة القوية معه، وتذوّقه والتجارب معه، والاستفادة منه أكثر فأكثر، والتقرب به إلى الله، والرقي عن طريقه في مدارج التوفيق.

وهو أنه ينبغي أن يشتغل بالقرآن - قدر المستطاع - مباشرة بدون وساطة، ويتلى متنه أكثر ما يمكن ويستمتع بقراءته، ويتذوق ويتدبر في معانيه، فإذا كان القارئ قد حصل من العربية ما يحتاج

إليه، وتمكن من فهم القرآن الكريم مباشرة، فعليه بقراءته وفهمه مباشرة، وإلا فليرجع إلى الحواشي والملاحظات التفسيرية المختصرة، ويحاول تلاوة القرآن الكريم وفهمه وتدبره وتذوقه من دون اعتماد وتعويل دائم على تفسير إنساني، ومراجعة كثيرة لكتب التفاسير، ويكتفي بذلك إلى مدة ما من الزمن، ويحمد الله - تعالى - على ما يفتحه عليه من فهم كتابه، وما يوفق إليه من تلاوته، حمداً كثيراً.

يجتنب في ذلك - عدا مواضع الحاجة إلى البحث العلمي أو إزالة شبهة - البحوث التفصيلية الخاضعة للاتجاهات العصرية، أو العصبية الجماعية، السياسية أو القيادية، أو التفكير الناشيء من دراسة العلوم الحديثة أو الحضارة الغربية، إذ أنه تطغى - أحياناً - على ينبوع القرآن النقي الصافي، ظلال العقول والعلوم الإنسانية والأغراض الجماعية أو القيادية، كما تغشى على العين الصافية النقية ظلال الأشجار الكثيفة الوارقة، ثم لا تبقى فيه تلك العذوبة واللذة، والأصالة والشفافية التي هي جوهر القرآن وروحه»[1].

وإن ما قام العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي باستخراج نكت قرآنية ومفاهيم عالية طبعت باسم الإفادات القرآنية في مجلدين من مؤسسة محمد الحسني، تكيه كلان، رائي بريلي، فتلقت قبولاً عظيماً.

يُلاحظ في التدبر في آيات القرآن وبيان مفاهيمها أن لا يكون هناك شذوذ، ومخالفة لآراء علماء الأمة على أساس وجهة خاصة،

---

(١) المدخل إلى الدراسات القرآنية للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي طبع: المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

لأن كل رأي يعارض إجماع الأمة يُرفض ولا يُقبل، وبما أن العلامة السيد سليمان الندوي قد استفاد من عباقرة الفن في عصره، وكان له اطلاع واسع على الحديث النبوي الشريف وسيرة النبي(ﷺ) وسيرة الصحابة فتوجد في دراساته دقة، ولطافة، وأمانة.

لم يؤلف أحد - على حد علمي - حول خدمات العلامة السيد سليمان الندوي التفسيرية، وقد أسند المجمع الإسلامي العلمي هذا الموضوع إلى العزيز محمد فرمان الندوي تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد اجتباء الحسيني الندوي، بدأ هذا العمل بتوجيهات الدكتور محمد اجتباء الندوي، وبعد وفاته أشرف عليه الدكتور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي، وقد طبع هذا الكتاب في حلقات متابعة في مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة من ندوة العلماء، لكناؤ (الهند).

تحلى جيد هذا الكتاب بمقدمات فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء، والدكتور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي، والدكتور سعيد الأعظمي الندوي، مدير دارالعلوم لندوة العلماء، وهي تكفي لبيان مزايا الكتاب.

أدعو الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب ذريعةً لفهم القرآن الكريم وتذوقه. (آمين)

(محمد واضح رشيد الندوي)
ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

٢١/٥/١٤٣٨هـ
١٩/٢/٢٠١٧م

المقدمة

بقلم: العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء، لكناؤ الهند
ورئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلين لعموم الهند

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين، محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد :

فقد منح الله تعالى الإنسان قوة البيان، فلا يُبدي الإنسان بها حاجته فقط، بل يؤدي بها كيفياته النفسية، وخصائصها اللازمة، ولا شك أن إبداء المعلومات يستوفي بحاجة الإنسان العلمية فتتسع بها ثقافته وعلمه، ويستفيد منها الإنسان بعقله، وينال بها غايات نبيلة، هذا مما يمتاز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم بوجه خاص، ولا يحصل عليه الإنسان إلاّ بالكلام، فيكون الكلام الإنساني ذريعةً لرقيه وبلوغه إلى مراتب عالية، فهو لا يفيد سامعه بالمعلومات فقط، بل يصوِّر أمامه الكيفيات النفسية، وهذه الكيفيات النفسية تكمن في مفردات اللغة، وتوجد فيها، فيعبِّر الإنسان بهذه الصورة عن مشاعره وأحاسيسه، ويؤثر بها على مشاعر الآخرين، فالكلام الإنساني يحمل هذين النوعين (العلم والكيفية)، فمن اختار نوعاً واحداً نال فائدته، ومن

اختار نوعاً ثانياً وجد فائدته، فإذا أراد المتكلّم قوة التأثير في كلامه لاحظ نفسية المخاطب، وراعى كيفياتها واختار وفق ذلك ألفاظه ورتّب كلامه.

وإن الله تعالى أعرف بنفسيات عباده، فعندما يخاطب عباده بمراعاة نفسياتهم، ويترك ذلك تأثيراً عظيماً، قوةً كبيرةً، وهذا ممّا لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة.

ورد الخطاب في القرآن الكريم من الله تعالى باللغة العربية، وروعي بها الأسلوب الذي يعرفه العرب الأوّلون ويُدركون معاني كلماتهم وترتيب كلامها، فيتأثر بها المخاطبون تأثراً، يُحدث في حياتهم انقلاباً، مثلاً كلمة الريح، فعندما جاءت في القرآن الكريم في مجال الخير الإنساني جاءت جمعها وهو الرياح، فإذا كان المراد منها الهواء الذي يسبِّب الشدة، استعملت مفرداً الريح، وكذلك كلمة النعمة تستعمل للراحة، فإذا كان استعمالها للراحة الدنيوية كان بكسر النون، وإذا كان استعمالها للراحة الأخروية كان بفتح النون.

فالذين يُدركون أهمية هذا الموضوع يتأثرون بالقرآن للغاية، وقد بذل العلماء المتأخرون أيضاً جهودهم في بيان خصائص هذه الناحية في تفسير القرآن الكريم، فوجدت في تفاسيرهم خصائص زمن نزول القرآن أيضاً، وإنَّ العلماء الذين أدركوا نفسيات زمن نزولَ القرآن ودرسوا طبائع العرب بأحسن وجه، أبدوا كلمات نافعةً، و بيّنوا نكتاً علمية قيِّمةً، كان منهم العلامة السيد سليمان الندوي (م١٩٥٣م)، الذي لم يؤلف تفسيراً مستقلاً، لكن وردت في

مؤلفاته مواضع، ذكر فيها خصائص كلمات القرآن، اعتنى بجمعها وتدوينها الأخ العزيز محمد فرمان الندوي (عضو هيئة التدريس بدار العلوم ندوة العلماء) فكان هذا العمل ذريعةً كبيرةً لفهم معاني القرآن الكريم، وقد قام الأخ العزيز محمد فرمان الندوي بهذا العمل الجليل الذي يعتبر وثيقةً علميةً في تفسير القرآن الكريم، أرجو أن الذين يحملون الذوق القرآني يستفيدون منه استفادة كاملة.

وصلّى الله تعالى على محمد وعلى آله وأصحابه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

١٤٣٨/٥/٥هـ (محمد الرابع الحسني الندوي)

٢٠١٧/٢/٣م ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

تقريظ الكتاب

بقلم: الدكتور السيد سلمان الندوي
نجل العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد!

فإن القرآن معجزة إلهية لا يوجد لها مثيل في عالم الديانات، وهو باقٍ في اللغة العربية الأصيلة إلى الآن، وقد تكفّل الله بحفظه وصيانته، وذكر ذلك في القرآن، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩]، فما زالت تبذل الجهود في تفسير معاني القرآن ومفاهيمه وتستمر بإذن الله إلى يوم القيامة.

لا شك أن الفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم موهبة من الله تعالى، ولا تحصل هذه الموهبة إلا بالفكر السديد والقلب السليم، وقد منح الله تعالى والدي الجليل العلامة السيد سليمان الندوي (م ١٩٥٣م) ذوقاً عالياً لفهم القرآن الكريم، فكان يذكر عمود السور (الموضوع الرئيسي لها)، ويفسّر آيات القرآن الكريم وعلاقتها بالسابق واللاحق بإشارات بليغة وجيزة، يتضح منها مفهوم الآيات، وقد بيّن العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله (م١٩٩٩م) في عدة مواضع أن ذوق العلامة السيد سليمان الندوي وشغفه بالقرآن ومعانيه كانا متزايدين،

نذكر هنا عدة أمثلة، أما تفصيل ذلك فاقرؤوا له هذا الكتاب:

١ ـ انتهت آيات الربا في سورة البقرة على قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥ـ٢٧٦]، علّق العلامة الندوي على هذه القطعة: أخذ الربا كفر النعمة يعني كفر نعمة ربهم، أي كل ما وفّر الله تعالى من مال وثروة مادية إذا استُعمل في باطل أو استغلَّ منه استغلالاً فاحشاً كان كفراً بالنعم الإلهية.

٢ ـ أعلن كفار مكة في سورة بني إسرائيل [٩٠ـ٩٣]: لا نؤمن بك حتى يكون بيتك من ذهب، وإن ادعيتَ لصُعودك في السماء، وتوجد في القرآن هذه القطعة: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ علّق عليها العلامة الندوي: تدل الآية على أن النبي ﷺ ادعى الرقي في السماء، وذكر في عمود سورة بني إسرائيل قصة الإسراء والمعراج، وذكر في سورة هود: هذه السورة تسلية للنبي ﷺ، ولا شك أن هذه السورة تتناول قصص الأنبياء والرسل الذين واجهوا من أممهم المصائب والمشاكل.

٣ ـ تنتهي سورة إبراهيم على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٧] يتخيل الإنسان بمجرد سماع كلمة: الانتقام عامةً، أن معناها: بطش الظالم وأخذ الثأر منه، لكن العلامة السيد سليمان الندوي يقول: الانتقام أخذ الحق من الظالم للمظلوم، . هذا التعليق يكشف كشفاً واضحاً مفهوم الآيات التي تسبقها. وقد جمع مؤلف الكتاب أمثال هذه النكت التفسيرية في هذا الكتاب.

إن الأخ العزيز محمد فرمان الندوي كان يدوِّن هذه النكت

منذ مدة تحت إشراف المجمع الإسلامي العلمي، وقد وجّهه إلى ذلك فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء، والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، وقد طبع جزء من هذه النكت في مجلة «البعث الإسلامي» الصادرة من ندوة العلماء، لكناؤ، (الهند) باسم : مفردات القرآن فتلقى قبولاً عظيماً .

جمع الأخ العزيز هذه المفردات القرآنية بجهد بالغ، وسعي دؤوب، من مقالات ومؤلفات العلامة السيد سليمان الندوي، واختار في ترتيب الكتاب منهجاً علمياً رصيناً، يكون عوناً كبيراً لفهم الذوق القرآني للعلامة السيد سليمان الندوي .

أدعو الله تعالى أن يوفق صاحب هذا الكتاب للإنجازات العلمية العملاقة، ويقدر له الخير، ويتقبله منه قبولاً حسناً، وما ذلك على الله بعزيز .

كتبه

١٤٣٨/٥/١هـ (السيد سلمان الندوي)

٢٠١٧/١/٣٠م نزيل ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

التقديم

بقلم: سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي
مدير دار العلوم ندوة العلماء، لكناؤ، الهند
ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي، ندوة العلماء، لكناؤ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين، أما بعد :

فقد كان العلامة السيد سليمان الندوي من كبار علماء القرن العشرين في الهند، وكان محققاً عبقرياً، ومؤرخاً عظيماً، ومن كبار مؤلفي السيرة النبوية، يجمع بين علوم الدين والدنيا، وكان يُعتبر من فطاحل علماء العصر الحديث، فكان داعياً إلى الله تعالى، ومفكراً إسلامياً، وأديباً نابغة، وكان يحمل بصيرة سياسية نادرة، ويتميز بنظرته الثاقبة في الأوضاع الراهنة، واطلاعه الواسع على قضايا المسلمين، الواقع أنه كان أوحد عصره بفكره المعتدل وحسن طريقة العمل، وكان أحد رواد حركة ندوة العلماء بلكناؤ، وروح المجمع العلمي باسم «دار المصنفين» بأعظم جراه، ورئيس القضاة بدار القضاء ببوفال (الهند). وبالرغم من جميع هذه الخصائص البارزة كان نموذجاً فذاً لحياة العفاف والقناعة، ويتجلّى من محياه الورع والتقوى والتواضع وكسر النفس والعلاقة الوثيقة بالله تعالى، فلو لخصنا جميع خصائص العلامة السيد سليمان الندوي لقلنا : إنه كان يمتاز بين علماء الهند الآخرين بالجامعية، يقول العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي :

«كان من مزايا شخصية العلامة السيد سليمان الندوي الجامعية والشمول في المعرفة والبحث، فقد كان خبيراً بالعلوم القديمة والعصرية، وكان مؤرخاً وأديباً، وناقداً ومحققاً، وبجانب ذلك كان فقيهاً ومحدثاً في آن واحد، بالإضافة إلى هذا الاشتغال والشغف بالبحث العلمي»[١].

التحق العلامة السيد سليمان الندوي بدار العلوم لندوة العلماء سنة ١٩٠١م، ودرس فيها خمس سنوات، ثمّ تخرّج منها بدرجة «ممتاز»، كان من أساتذته المفتي عبد اللطيف السنبهلي، والشيخ السيد علي الزينبي، والشيخ شبلي فقيه الجيراجفوري، والشيخ حفيظ الله الأعظمي، والشيخ محمد فاروق الجرياكوتي، والشيخ العلامة الطبيب السيد عبد الحي الحسني، والعلامة شبلي النعماني، انعقدت دورة ندوة العلماء السنوية في ١٩٠٧م في ساحة «رفاه عام» بلكناؤ (الهند)، خطب فيها العلامة السيد سليمان الندوي حول: الموازنة بين العلوم القديمة والحديثة باللغة الأردية، فقال أحد العلماء في هذه الدورة، وكان اسمه الخواجه غلام الثقلين: نحن لا نعترف بتفوق هذا الطالب إلاّ إذا خطب باللغة العربية حول موضوع جديد، وهو «كيف يمكن نشر الإسلام في الهند»؟، فارتجل العلامة السيد سليمان الندوي حول هذا الموضوع باللغة العربية الفصيحة خطبةً أخذت بمجامع القلوب، وكانت هتافات المستمعين: أحسنتَ أحسنتَ، تعلو من المنصة، وبهذه المناسبة خلع عليه العلامة شبلي النعماني (رحمه الله) عمامته فرحاً مسروراً، بخطبة تلميذه

(١) شخصيات وكتب ص: ٧١، طبع ندوة العلماء، لكناؤ

النجيب، وأُسندت إلى العلامة السيد سليمان الندوي إدارة مجلة «الندوة» الصادرة من ندوة العلماء آنذاك، فكتب مقالات وبحوثاً حول موضوعات مختلفة، وكتب حول علم الحديث مقالاً، تلقى قبولاً عظيماً، ثمّ انتخب مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٠٨م، وألّف كتاباً باسم «دروس الأدب» في جزئين، ثم رتّب معجماً عربياً باسم «اللغات الجديدة» على اقتراح من الدورة السنوية لندوة العلماء، المنعقدة في دهلي عام ١٩١٠م.

إن العلامة السيد سليمان الندوي، ان لم يكن موظفاً في دار العلوم لندوة العلماء بعد عام ١٩١٢م، لكنه ظلّ مرتبطاً بها زمن إقامته في كلكته، وبونا، وأعظم جراه، وبوفال وباكستان، وكان يشير على مسئولي ندوة العلماء بمشورات جيدة مفيدة، وحينما انتُخب الشيخ النواب علي حسن خان رئيساً لندوة العلماء بعد وفاة العلامة السيد عبد الحي الحسني في ٢/نوفمبر عام ١٩٢٢م تمّ تعيين العلامة السيد سليمان الندوي رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، وظلّ على هذا المنصب إلى وفاته عام ١٩٥٣م.

كانت علاقة العلامة السيد سليمان الندوي بندوة العلماء وثيقة، فقد كان ترجماناً حقيقياً لفكرة ندوة العلماء، وكان ناجحاً إلى حد كبير في مهمة تربية طلاب دار العلوم لندوة العلماء فكراً وعملاً، فلا يعترف فقط بأن ندوة العلماء مدرسة كبيرة، بل كان يقول: إن ندوة العلماء حركة عالمية، تتصف بالوسطية والاعتدال، وتعتني باللغة العربية كلغة حيّة نامية، ذلك ليسهل فهم الكتاب والسنّة على أوسع نطاق، من خلال تخريج دفعات تعليمية،

ورجالات ماهرين بالشريعة الإسلامية، مطلعين على الأوضاع الراهنة في العالم الإسلامي - فكانت توجيهاته عاملاً كبيراً في إعداد الأجيال الإسلامية - ولما انتقل إلى باكستان كان يتفقد أحوال ندوة العلماء ويطمئن لها ويبدي سروره بعد سماع نشاطاتها العلمية، وقبل وفاته بشهور زار ندوة العلماء وأقام فيها، وعقدت بمناسبة تشريفه ندوة العلماء حفلة كبيرة في جامع ندوة العلماء، رحّب فيها الشيخ محمد عمران خان الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء آنذاك) بالعلامة الندوي، (وليعلم أن العلامة الإمام الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي كان في سفره إلى باكستان في هذه المدة)، فكان الشيخ متأسفاً على عدم اللقاء معه، خطب العلامة رداً على ترحيب الشيخ محمد عمران خان الندوي فقال: الحاجة ماسة إلى التمهر في الفقه الإسلامي، لأن هناك تساؤلات تثار ضد الإسلام، ولا يمكن إجابتها إلا بإثبات صلاحية الإسلام وانسجامه مع الفطرة الإنسانية.

يقول الشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي (رئيس قسم الدراسات الإسلامية سابقاً، دربن، إفريقيا الجنوبية) في تقديمه على كتاب: العلامة السيد سليمان الندوي: حياته وخدماته الأدبية للأستاذ محمد نعيم الصديقي الندوي، نزيل أبي ظبي: «يعلم الجميع أن والدي الجليل كان عالماً كبيراً، ولا يوجد له نظير في جامعيته، وكان موضوعه الرئيسي القرآن والحديث وعلم الكلام، وكان يقول: إن التاريخ كامخ خواننا، يُستعمل لتغيير مذاق الفم، فإنه لم يؤلف كتاباً حول التفسير، لكن إفاداته التفسيرية مبعثرة في كتبه ومؤلفاته أمثال سيرة النبي وسيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها، وتاريخ أرض القرآن، وغيرها، ولو جمعت هذه الإفادات لكان ذلك عملاً قيماً جليلاً».

فكانت الحاجة إلى جمع هذه المفاهيم التفسيرية، وقد لفت إلى ذلك انتباه الأخ العزيز محمد فرمان الندوي (عضو هيئة التدريس بجامعة ندوة العلماء) مسئولو المجمع الإسلامي العلمي، فجمع هذه المفاهيم والإفادات التفسيرية باللغة الأردية، ثمّ ترجمها إلى اللغة العربية، وقد طبعت بحلقات متتابعة في مجلة «البعث الإسلامي»، الصادرة من ندوة العلماء، لكناؤ (الهند) باسم: مفردات القرآن الكريم، أرجو أن القراء يجدون فيه ما يشفي غليلهم ويروي ذوقهم العلمي.

أبارك الأخ العزيز على هذه المبادرة العلمية، وهو يحتل إن شاء الله مكانة معجم قرآني مستقل في هذا الموضوع، وهو «خير ما يهدي إلى باغي العلوم والفنن»، تقبل الله جهد الأخ العزيز وجعله نافعاً ومفيداً إلى يوم الدين، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة ابراهيم: ٢٤-٢٥].

وصلّى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه بيمينه

١٤٣٨/٥/١هـ (سعيد الأعظمي الندوي)

٢٠١٧/١/٣٠م رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

نبذة عن العلامة
السيد سليمان الندوي رحمه الله (*)

اسمه ونسبه وأسرته :

هو العلامة النحرير المفسّر المحدّث والفقيه والكاتب القدير، النابغة في الإنشاء والأدب والتحرير، سليمان بن أبي الحسن بن محمد شيْر، المعروف بالحكيم محمدي بن عظمة الله علي بن وجيه الدين المعروف بالأمير جكن، يصل نسبه الشريف إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد هذا الإمام العلامة في أسرة علمية ودينية عريقة، حسينية النسب، شهيرة بالعلم والتقوى، والفضل والصلاح، بقرية (ديسنة) من ولاية بيهار (الهند) يوم الجمعة لسبع بقينَ من شهر صفر اثنتين وثلاثمئة وألف من الهجرة، والموافق الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة أربع وثمانين وثمانمئة وألف ميلادي.

---

* قد كنت في حاجة إلى سيرة مستوعبة للعلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى، إذ اطلعت على كتاب: "الرسالة المحمدية" للعلامة السيد سليمان الندوي، الذي طبع حديثاً بتحقيق وتعريب الأخ الفاضل البحاثة الشيخ محمد رحمة الله حافظ محمد ناظم الندوي، وقد كتب في أول الكتاب ترجمة السيد سليمان الندوي، فرأيت مناسباً أن أضمها في بداية هذا الكتاب كتعريف جامع بالعلامة الندوي فله جزيل الشكر.

نشأته :

نشأ رحمه الله على حُبِّ الاطلاع، والعكوف على العلم، كان منذ نعومة أظفاره، ومن مستهلِّ طفولته على دأب نادرٍ في اكتساب العلوم والمعارف، فكانت تلوحُ على جبينه علائمُ الرشد، وتتجلّى فيه بوارقُ الذكاء، حتى تفرّس بعضُ ذوي البصيرة أنه سيكونُ له شأن كبير، ومكانةٌ عاليةٌ رفيعةٌ، ترعرع رحمهُ الله في بيئة علمية وأدبية يسودها جوٌّ من الصلاح والتقوى، ونشأ على أيدٍ أمينةٍ، ربّته على عقيدةٍ صافية زكيةٍ لا تشوبُها بدعٌ أو خرافات، حيث قرأ كتاب (تقوية الإيمان) على أخيه.

يقول متحدِّثاً عن نفسه رحمه الله : «كان هذا أول كتابٍ علّمني طريقَ الحقِّ تعليماً ثبتت جذورُه في قلبي».

طلبه للعلم:

تلقى رحمه الله العلوم الابتدائية من حضرة والده وشقيقه الأكبر السيد أبي حبيب النقشبندي(ت ١٩٢٧م)، ثم ارتحل رحلته العلمية الأولى إلى (فلواري شريف) إحدى ضواحي العاصمة (بتنه) (Patna) بولاية (بيهار)، ومكث هناك عاماً حيث قرأ على يد الشيخ (محي الدين المحبي)، فنشأ فيه التذوّق للأدب والشعر، كما أخذ دروسَ المنطق من العلامة (سليمان الفلواري)، ثم ارتحل إلى المدرسة الإمدادية في مديرية دربنجه بولاية (بيهار)، ودرس هناك كتاب (الهداية) للمرغيناني في الفقه الحنفي على الشيخ مرتضى حسن الديوبندي، و(شرح التهذيب) في المنطق على الشيخ فدا حسين الآروي.

التحاقه بدار العلوم لندوة العلماء:

التحق العلامة الندوي رحمه الله بدار العلوم لندوة العلماء بلكنؤ في عام (١٩٠١م) وارتوى من علوم أهلها ومعارفهم لمدة خمس سنوات، وكانت ساحةُ ندوة العلماء إذ ذاك مزدانةً مستنيرة بالعلم، تتلألأ بجهابذة العلماء الربّانيين، وكبار المشايخ من المحدِّثين والفقهاء والمفسّرين، فسنحت الفرصةُ للعلامة الندوي أن ينهل من علومهم، ويرتوي من معارفهم، ويكسب من فيوضهم وبركاتهم، ويُروي غليلَه العلمي في الظلِّ الوارفِ من هؤلاء العباقرة، حتّى كسته صحبتهم علماً غزيراً، وروعةً وبهاءً في الأخلاق والآداب، واكتملت ثقافتُه هناك.

وهؤلاء هم أهم الأعلام الذين درس عليهم العلامةُ الندوي، واستفاد منهم في حياته العلمية:

١ـ المفتي الكبير العلامة الشهير الشيخ الفاضل عبد اللطيف بن إسحاق الحنفي السنبهلي، المتوفى عام (١٣٧٩هـ)، وقد قرأ عليه الشيخ الندوي بعض كتب الفقه.

٢ـ الشيخ العالم الكبير المحدّث حفيظ الله البندولي، المتوفى عام (١٣٦٢هـ)، وقد أخذ عنه السيد الندوي الحديثَ الشريف وشيئاً من علم الهيئة

٣ـ الشيخ العلامة محمد فاروق بن علي أكبر العباسي الجرياكوتي، المتوفى عام (١٣٢٧هـ)، وقد أخذ السيد الندوي علم المنطق والفلسفة والأدب العربي.

٤ـ العالم الصالح الشيخ الفاضل شبلي بن محمد علي

الجيراجفوري، المتوفى عام (١٣٦٤هـ).

٥ ـ العلامة الكبير مؤرخ الهند الشهير المحدّث الطبيب السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني، المتوفى عام (١٣٤١هـ)، وقد قرأ عليه الشيخ الندوي (مقامات الحريري).

٦ـ العلامة الجليل المؤرخ العظيم الباحث النقّاد شبلي النعماني، المتوفى عام (١٣٣٢هـ)، وقد أخذ عنه السيد الندوي الأدب العربي، وقرأ عليه (دلائل الإعجاز) كما أخذ عنه علم الكلام، وتدرّب عليه في الكتابة والتأليف والإنشاء والعناية بالسيرة النبوية.

نبوغُه وعبقريتُه ومكانتُه العلمية :

كان العلامة الندوي رحمه الله عالماً موسوعياً بمعنى الكلمة، يحمل في صدره مكتبةً واسعةً في العلوم والفنون، وكانت ذاكرتُه تزخرُ بأنواع من الدرر واللآلئ من جميع الفنون.

١ـ في القرآن الكريم وعلومه :

فإذا بحثنا عنه في مجال كتاب الله رأيناه دائم التدبّر فيه، إيماناً منه بأن ثمرة التلاوة التدبّر والتذكر، مع الاهتمام الكبير باستنباط المسائل العقدية والفقهية والخلقية والسياسية من آي القرآن الكريم، وشرح لطائفه الأدبية، وتحقيق مباحثه التاريخية، وكتابُه (أرض القرآن) خيرُ دليل على ذوقه هذا، بالإضافة إلى ذلك كانت له دروسٌ منتظمة في تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً تحقيقياً دقيقاً، كما كانت لديه خطة لتدوين المسائل القرآنية وترتيبها وفقَ الأسلوب العصري، وإفرادِ الآيات القرآنية المتعلقة بالقضايا والشؤون العقائدية، والأحكام الفقهية، والمباحث الاقتصادية، وكلُّها على حدة.

٢. في الحديث الشريف:

لم يكن نصيبه فيه أقل من الفنون الأخرى، وكان كثير الاشتغال بكتب الأحاديث والسنن والآثار، ومن حُبّه للسنن والآثار والاشتغال بها كان دائم الحرص على اقتناء كتب السنة والحديث لدار المصنفين، حتى أصبحت خزانةُ دار المصنفين حافلةً بكتب الحديث ورجاله.

وإنّ أهم ميزة تميّز بها العلامة الندوي في شرح أحاديث الرسول ﷺ: هي أنه كان معنياً بأن يكون فهمُ الحديث الشريف في إطار العمل النبوي الشريف المشتمل على إدراك الجوّ الذي جاء فيه، ليكون تطبيقُه على الحياة أوفق وأجدر.

وتصدّيه لمنكري السنّة وتفنيد شبهاتهم ودحض مزاعمهم الباطلة أمرٌ معروفٌ، وقد ألّف لهذا الغرض رسالة مشهورة بعنوان (تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها) [1].

٣. في الفقه الإسلامي:

وإذا نظرنا إلى الشيخ الندوي رحمه الله كفقيه وجدنا أنه يتمتع ببصيرة فقهية تامة، وقد توافرت له وسائل تحقيق المذاهب والاجتهاد لِمَا آتاه الله تعالى من المَلَكَة في معرفة اللغة العربية وآدابها، والعلم الواسع الدقيق بالقرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف، والناسخ والمنسوخ، والاطلاع العميق على مصادر الفقه وأصوله وقواعده ومذاهب الأئمة، وآراء الفقهاء.

---

(١) وقد طُبعت مؤخراً بدار الفجر بدمشق، بعد إضافة مباحث إليها من جنسها، بقلم مؤلفها وآخرين.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ رحمه الله كان من أول عهده بالبحث والتحقيق محققاً في المذهب لا يتقيد بمذهب، سلفيَّ النزعة في العقائد، يؤمن كما آمن السلف الصالح من غير تكييف ولا تعطيل، وما زال يكتبُ ويحاضرُ متشبعاً بهذا المنهج الفكري إلى أن أربى على الخمسين من عمره، ثم جعل يميلُ شيئاً فشيئاً إلى التنسك والتصوف، فمن ذلك اليوم بدأت تظهرُ آثار التدرج عنده نحو الحنفية والمتصوفة في كثير من المسائل، وكذلك تغيرت وجهة نظره في كثير من المسائل المستحدثة، والمشاكل الجديدة المتنوعة.

يقول رحمه الله: «إني ملتزم بالسنّة ومتبع للتوحيد الخالص، أرى السنة دليلي، وبابَ الاجتهاد مفتوحاً دائماً للعلماء، ولا أرى الحق منحصراً في أحد من أئمة السلف».

ويقول في إحدى خطبه: «من مفاسدِ هذا العصر الجمودُ المشين على آراء الفقهاء المتأخرين وفتاواهم، كأنهم معصومون عن الأخطاء والزلّات، وعدم الرجوع إلى المرجعين الأصيلين: القرآن والسنة، واجتهادات الأئمة من السلف في البحث عن الحلول للمشاكل المدنية والقضايا الدينية، والقول بإغلاق باب الاجتهاد للأبد».

٤ ـ في التاريخ والاعتناء بالسيرة:

فكما قال الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: «إن السيد سليمان الندوي يستحق بدون مراء أن يُعدّ أكبرَ مؤرخٍ وباحثٍ في عصره، وإنّ كتبه: (الخيام) و(الصلات بين الهند والعرب)، و(الملاحة عند العرب)، و(حياة الإمام مالك)، و(سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) خير نموذج للكتابة في التاريخ والبحث

العلمي، وكتاب (أرض القرآن) لا يزال كتاباً فريداً لم يُنسج على منواله في موضوعه، وهو ثروة غنية في المواد العلمية»[١].

٥ ـ في الفلسفة وعلم الكلام:

كما أنه رحمه الله كان ضليعاً بالفلسفة وعلم الكلام، وخيرُ دليل على ذلك كتابه (سيرة النبي ﷺ)، فإنه حقق بالسيرة والتاريخ أهدافاً لا تحقق إلا بعلم الكلام، فأسس علم كلام جديد يفوقُ علمَ القديم في التأثير على الذهن الجديد وإقناعه، وفي توثيق الثقة بالشخصية النبوية والشريعة الإسلامية، وهو أكثرُ سداداً للحياة العلمية المعاصرة.

٦ ـ في اللغة العربية:

أما اللغة العربية فكان رحمه الله من كبار الأدباء، وإنه أتى في حقل الأدب العربي بالعجائب، وخلف آثاراً في القول المنظوم والمنثور مما يعجز عن مثله نوابغ أدباء الهند وشعرائها.

كان السيد الندوي رحمه الله مقدِّساً لدور اللغة العربية في توحيد المسلمين، يقول في مقال له: «وبعدُ فللإسلام مزايا تفوق الإحصاء دررُها، وتستغني عن الإنباءِ غررُها، إحداها أنه دينُ وحدةِ الشعوب والأمَمِ، ودينُ مؤاخاةِ البشر، والنصيحة لعامة المسلمين، ومن الوسائل التي اتخذها لتحقيق بغيته هذه، أنْ جعلَ للمؤمنين بقرآنه، والخاضعين لسلطانه على اختلاف ألسنتهم وبلدانهم وجنسياتهم وألوانهم خاصة، وهي لغةُ كتابه المنزَّل من السماء، يتفاهمون بها معاني القلوب، ويتعارفون هواجسَ الأفكار، ويخطبُ

(١) شخصيات وكتب للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص: ٧٠ـ ٧١.

بعضُهم بها مودَّة بعض، فهي على تقلُّبٍ من الأحوال لغةُ عصبةِ الأمم الإسلامية منذ قرون وأجيال» [١].

وفعلاً كان الله عزَّ وجل قد أودعَ فيه موهبات عجيبة من خصوبة العقل، وقوة الذاكرة، والقريحة الوقادة المندفعة، والذكاء المتوقد، فما كان يسمع كلمةً إلا ويحفظها ويعيها ويقيدها في ذهنه، فلم تخنه ذاكرتُه مدة حياته.

أهم مآثره العلمية وجلائل أعماله الخالدة:

من أبرز أعماله العلمية وأرفعها ذكراً وأسماها مكانةً إكمالُه كتاب (سيرة النبي ﷺ) الذي كان بدأ تأليفَه أستاذه ومربِّيه المحقق العلامة شبلي النعماني رحمه الله، ثم أوصى تلميذه أن يكمّله على المنهج الذي سار عليه أستاذُه، وفعلاً ثبت أن التلميذ خيرُ مكمّل لما بدأ به أستاذه، وطلعت هذه المَعْلَمة أمامَ العالم من عيون ما ألفه علماء الإسلام منذ قرون، ومن غرر ما أتحف به علماء الهند المكتبة الإسلامية العامة، وتفتخر به المكتبات الإسلامية.

والكتاب في سبعة مجلّدات كبار، تحدّث في الجزء الأول منها عنَ أصول الرواية والدراية، ومصادر السيرة، ومطاعن المستشرقين، وفصُول في تاريخ العرب قبل الإسلام، والجزء الثاني يحتوي على حياة النبي ﷺ، وأما الجزء الثالث فهو يحتوي على مقدمتين علميتين من النظريات الفلسفية؛ وهما: القديمة والحديثة، أثبت فيها المؤلف إمكان المعجزات وعدمَ معارضيه العلوم العقلية لها، وقد اهتدى بها كثيرٌ من المنخدعين بعلوم الإفرنج وضلالاتهم، أما الجزء الرابع

---

(١) مجلة الضياء، عدد المحرم، سنة ١٣٥١هـ، ص: ٣-٤.

فيتحدث عن منصب النبوة ومنزلتها، والفرق بينها وبين منازل الإصلاح والتجديد ثمّ تكلّم رحمه الله في العقائد، ولم يكن يستندُ في بحوثه إلى شيء غير الكتاب والسنة.

أما المجلّدات الثلاثة الباقية فإنّها تبحث في العبادات والأخلاق والمعاملات، وكل واحدة منها معلمة في موضوعه.

وله مصنفات علمية أخرى فريدة من نوعها، ومنها:

(أرض القرآن)[1]: وهذا الكتابُ بمثابة مقدمة لكتاب (سيرة النبي ﷺ) وهو في جزئين، وهو كتاب فريدٌ من نوعه، من أهم مزاياه أنه دراسةٌ لأوضاع العرب السياسية والتاريخية والحضارية في ضوء القرآن الكريم، مع الاستفادة من المصادر الأجنبية مثلاً العبرية والإنكليزية والمصادر الإسرائيلية والرومية واليونانية والاكتشافات الأثرية.

(سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها): هذا الكتاب العظيم أولى المحاولات من نوعها بصدد دراسة حياة أم المؤمنين رضي الله عنها دراسة علمية وافية، وكشف الستار عن مكانة هذه العبقرية الفذة والشخصية العظيمة التي صنعت العظائم، ولها فضلٌ كبيرٌ ومنّة عظيمة على المؤمنين والمؤمنات، وقد تمّ نقل الكتاب إلى اللغة العربية وطبعته دار القلم لصاحبها الأستاذ الفاضل محمد علي دولة حفظه الله تعالى وبارك في عمره.

(محاضرات مدْراس): هذا الكتاب الذي وفقنا الله سبحانه وتعالى أن نتشرف بتقديمه إلى الإخوة القراء بعد نقله إلى اللغة

---

(١) وقد نقل الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي وقد تحلى بانطباعة من دار القلم بدمشق.

العربية، وتخريج الأحاديث الواردة فيه، وتحقيقه كما يتطلّبه المنهج المعاصر الحديث.

(حياة الإمام مالك) : والكتاب عرضٌ علمي شامل ودقيقٌ لحياة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، وصفاته وأخلاقه، ومكانته العلمية العالية في الفقه والحديث ودراسةً لكتابه (الموطأ).

(الملاحة عند العرب) : مجموعة محاضرات عالج فيها الشيخ رحمه الله موضوع الملاحة عند العرب في الجاهلية والإسلام، ومدى معرفة العرب لبحار العالم ومؤلفاتهم فيها واكتشافاتهم البحرية.

(رسالة أهل السنة والجماعة): مجموعة مقالات في تحقيق معنى أهل السنة والجماعة.

بالإضافة إلى عشرات المؤلفات التي أنتجها قلم العلامة الندوي السيّال، وهي كلُّها نافعةٌ تتسم بأقصى درجة من البحث والنظر والتدقيق والتحقيق، وتحتل أسمى مكانة في الأوساط العلمية، ولقد صدق الأستاذ مسعود عالم الندوي إذ قال عن الشيخ الندوي رحمه الله: «وقد بلغ في المواضيع المختلفة من التحقيق والإجادة ما لم يبلغه أحدٌ من معاصريه في هذه البلاد، ولا تنحصر عظمته في ناحية دون ناحية، فإنّه كان أديباً بين الأدباء، وسياسياً بين السياسيين، وعالماً بين العلماء، وخائضاً بحارَ القانون والتشريع بين علمائه .....».

ثناء العلماء عليه :

يقول شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال: «يتبوّأ السيد

سليمان الندوي اليوم إلى مدارج حياتنا العلمية، إنه ليس مجردَ عالم، بل هو أميرٌ للعلماء، وليس بكاتب فحسب، بل إنه إمام الكتّاب والمؤمنين، إن شخصه بحرٌ للعلوم والمحاسن، تخرّج منه مئات من الأنهار، وتسقى منه ألوف من المزارع اليابسة».

ويقول الإمام المحدِّث الفقيه حكيم الأمة أشرف علي التهانوي [1]: «يتشابه شبلي النعماني وسليمان الندوي تشابهَ ابن تيمية وصاحبه ابن القيم».

وقال إمام العصر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: «إذا جُمع علم الغزالي والرازي إلى ورع الجنيد وشبلي تكوّن منه سليمان الندوي».

وقال الأديب الأريب عبد الماجد الدريابادي: «يؤمن الزمان بأنّ السيد سليمان الندوي عالم فريد، وبحّاثة منقطع النظير، يخضع العالم لإمامته في التاريخ، وتفرّده بكتابة السيرة، ولكن قلّما عرف الناس مكانته في الأدب والشعر والنقد، وقلّما علمه الناس أديباً منشئاً وشاعراً قديراً».

ويقول سماحة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله: «كان السيد سليمان الندوي راسخاً في العلوم العربية وآدابها، عالي الكعب، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام، واسع الاطلاع، غزير المادة في التاريخ، وعلم الاجتماع والمدنية، منشئاً، صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية، كاتباً

---

(١) اقرأ ترجمته في كتابٍ خاص به، نشرته دار القلم بدمشق في سلسلة (أعلام المسلمين).

مترسلاً في اللغة العربية، شاعراً مقلاً في اللغتين، مع إحسان وإجادة» [١].

بعض صفاته وأخلاقه العالية :

يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي: «فقد كان رجلاً ذا مروءة غريبة، كريماً يجري الكرم في دمه، لا يغضب ولا يسخط، يصفح عن عدوه، ويدعو لمن يتناوله بالسوء، أما التلاميذ والمخلصون فيشملهم بعطفه الأبوي، ويبسط على كل فرد منه ظلالَ شفقته وحنانه، كأنه قد مُنح في هذا الشأن لمحة من سيرة جده الكريم ﷺ» [٢]

وفاته :

بعد ما أمضى عمره الحافل بالعمل الدؤوب، والمآثر الخالدة، والخدمات العلمية والدينية الجليلة، وافاه الأجل بباكستان في غرة ربيع الآخر عام ١٣٧٣هـ الموافق ٢٢/ تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٩٥٣م) ودفن بجوار الشيخ شبير أحمد العثماني رحمهما الله تعالى وأمطر عليهما شآبيب رحمته ومغفرته .

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[الفجر: ٢٧- ٣٠] .

---

(١) منقول من كتاب الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي (السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين) ص: ٥- ٦ ، ط: دار القلم بدمشق ١٤٢٢هـ .

(٢) من مقال الأستاذ مسعود عالم الندوي في مجلة (المسلمون) المجلد الخامس، ص: ٣٨٤، العددان: الرابع والخامس لشهر محرم وصفر عام ١٣٧٦هـ / الموافق ١٩٥٦م .

جهود العلامة
السيد سليمان الندوي القرآنية (*)

كان العلامة السيد سليمان الندوي التحق كطالب دراسي بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٠١م، وأخذ العلم من كبار أساتذتها أمثال الشيخ حفيظ الله البندولي والشيخ محمد فاروق الجرياكوتي، والشيخ السيد عبد الحي الحسني والعلامة شبلي النعماني، وقرأ كتب الأدب والنقد على الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي، والعلامة السيد عبد الحي الحسني ودلائل الإعجاز للعلامة عبد القاهر الجرجاني وإعجاز القرآن للإمام الباقلاني على العلامة شبلي النعماني فأملى عليه العلامة شبلي النعماني أصول البلاغة، واستفاد العلامة السيد سليمان الندوي من العلامة حميد الدين الفراهي أيضاً.

كان موضوع العلامة السيد سليمان الندوي الرئيسي القرآن الكريم، كُلَّما كَتَبَ مقالاً أو ألّف كتاباً استوحى فكرته من القرآن الكريم، فتتجلّى المفاهيم القرآنية من كتاباته، وكثيراً ما يستعمل الآيات القرآنية في سياق المقالات والبحوث، بل يختم الكلام عليها، فكانت هذه الآيات دليلاً على الجملة السابقة، يكتب في رسالة إلى تلميذه النابغة الأديب البارع، الصحافي المحنك الشيخ مسعود عالم

---

* — إعداد: محمد فرمان الندوي.

الندوي(رئيس تحرير مجلة «الضياء» سابقاً) : «لاحاجة إلى الغلو والتشدد في الوهابية، المطلوب أن يكون التصلب في أمور الدين لا في الأفراد ومذاهبهم، سواء كانت الوهابية أو الحنفية»، ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[سورة البقرة: ١٣٥][1]

تفسير القرآن بالقرآن:

إن منهج العلامة السيد سليمان الندوي في التفسير هو منهج السلف الصالح من المفسِّرين العظام، كلَّما فسَّر آية تناولها في ضوء القرآن، فكان يفسِّر القرآن بالقرآن، هاك آية في سورة البقرة، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[سورة البقرة: ٣٧]، فسَّر هذه الآية بقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[سورة الأعراف: ٢٣].

تفسير القرآن بالحديث:

ثمّ يفسِّر الآيات القرآنية في ضوء الحديث، لأنه كان يعتبر أن القرآن نص، والحديث شرح وتفسير له، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[سورة الأحزاب: ٦]، كتب في تفسير هذه الآية: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»{كتاب الإيمان: ١٥}.

فواصل الآيات:

إن فواصل الآيات لها أهمية كبيرة في تفسير الآيات، الواقع أنَّ

---

(١) مكاتيب سليمان ص: ١١٥

الله عزَّ وجل ذكرها شرحاً وتفسيراً للجملة السابقة، كان العلامة السيد سليمان الندوي يفسِّر هذه الفواصل تفسيراً علمياً، تنشرح له القلوب وتطمئن له الأفئدة، وقلَّما استخرج منها العلماء نكتاً علميةً، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٥٧ـ ١٥٨]، كتب العلامة الندوي في تفسير: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ كونه عَزِيزًا حَكِيمًا يقتضي أن يكون الرفع أمراً عظيماً، فلو كانت وفاته فطريةً كانت حسب سنة الله الكونية، فلا حاجة فيها إلى قدرة الله وسلطته، لكن الرفع إلى السماء وقع كقوة خارقة للعادة، يقول الدكتور عبد الله عباس الندوي: «إن استدلال العلامة السيد سليمان الندوي قوي، يفتح باباً لطلاب علوم القرآن الكريم»[1].

راجع الدكتور عبدالله عباس الندوي مؤلفات تفسيرية لجهابذة المفسرين أمثال الإمام الطبري (م٣١٠) والإمام القرطبي(م٦١٧هـ) والإمام الزمخشري (م ٨١٥هـ) والقاضي البيضاوي (م٧٩١هـ) والإمام ابن كثير رحمهم الله تعالى، فلم يجد أحداً سوى الشيخ إسماعيل الحقي، ذكر علاقة هذه القطعة بأسماء الله وصفاته، إلاَّ أن الشيخ الحقي ذكر هذه النكتة، وهذه النكتة أقرب إلى تفسير العلامة السيد سليمان الندوي، يقول الشيخ إسماعيل الحقي:

«كان الله عزيزاً حكيماً، لا يغالب فيما يريده، فعزة الله عبارة عن كمال قدرته، فإن رفع عيسى عليه السلام إلى السموات، وإن كان متعذراً بالنسبة إلى قدرة البشر، ولكنّه سهل بالنسبة إلى قدرة الله تعالى،

---

(١) أفكار سليماني ص: ٣٦

لا يغلبه أحد»[١] كأن الشيخ الحقي يقول: إن الرفع إلى السماوات صعب للبشر، لكنّه ممكن لله تعالى، ويقول العلامة السيد سليمان الندوي: إن إحياء الموتى أو إماتة الأحياء صعبان للبشر، وسهلان لله تعالى، لكن كلمة «عزيز» تدلُّ على قدرة الله تعالى، التي تفوق نظام الطبيعة والفطرة.

ربط الآيات:

إن آيات القرآن يرتبط بعضها ببعض أم لا، ظلَّ هذا الموضوع موضوع نقاش وبحث لدى العلماء، ألّف الإمام الرازي والإمام البقاعي حوله، وأيّده علماء آخرون، وكان العلامة السيد سليمان الندوي يهتم كثيراً بربط الآيات، يقول العلامة السيد سليمان الندوي في مقدمة ترجمة معاني القرآن للشيخ المفسر أحمد علي اللاهوري: إن أدق علوم القرآن الكريم وأكثرها لطافةً ربط الآيات والسور[٢].

يقول نجل العلامة السيد سليمان الندوي الدكتور السيد سلمان الندوي: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، إن ذكر الكتاب والميزان في هذه الآية مع الحديد يتجلّى منه عدم الترابط بينهما، وقد فسَّر الآية المفسرون، وأرادوا بالحديد القوة السياسية والحربية، لكن والدي الجليل رحمه الله قد أصاب المحزَّ في هذا الموضوع حينما قال:

---

(١) روح البيان ج/١، ص: ٧٠٥.

(٢) ترجمة قرآن للعلامة أحمد علي اللاهوري ص: ١٢

طريقان لإقامة القسط : أولهما الكتاب والميزان، وثانيهما : الحديد، فالأول هو القرآن والعمل بمقتضيات العدل والإنصاف، وهذا لا يناله الإنسان إلاّ باستحضار وقوفه أمام الله تعالى، لكن الغفلة تستولي على الإنسان فيتكاسل في أداء وظيفته، فتكون الحاجة إلى تنبيه الغافلين، وذلك بالقوة سواء كانت القوة فردية أو جماعية [١].

عمود القرآن :

إن الموضوع الرئيسي لسور القرآن يُعرف بعمود القرآن، تدبر العلامة السيد سليمان الندوي القرآن ودقّق فيه النظر فأتى بخلاصة السور في جمل وكلمات كشفت عن مفاهيم السور، قال ا لعلامة: «يعتقد الناس عامةً أنّ قصة الإسراء والمعراج ذكرت في ثلاث أو أربع آيات بدائية من سورة بني إسرائيل، لكني قرأت هذه السورة من أولها إلى آخرها مراراً، وختمتها كل مرة على ثقة بأن السورة مملوءة بحقائق الإسراء والمعراج ونتائجها وأحكامها وبشاراتها» [٢].

وذكر العلامة السيد سليمان الندوي في بداية سورة هود عمودها بقوله: هذه السورة تسلية للنبي ﷺ، تدلُّ السورة على قصص عدد من الأنبياء والرسل، الذين واجهوا المصائب والمشكلات في سبيل الله عزّ وجل، فهذه السورة تخفف من قلق النبي ﷺ أن عداوة كفار مكة ليست بدعاً من الأمر، إن جميع الأنبياء ابتلوا بمثل هذه المحن، فبعضهم أوذي، وبعضهم ضُرِبَ، وبعضهم قُتِل بالمنشار، وبعضهم لقي سباً وشتماً من قومه.

---

(١) مجلة "ذكر وفكر" دهلي عام ١٩٨٩م.

(٢) سيرة النبي ج/٣، ص: ٢٤٦

ندرة تحقيق الألفاظ :

رزق الله العلامة السيد سليمان الندوي ذوقاً رفيعاً في الدراسة والتحقيق، فكان يراجع النصوص والأصول في كل فن، ويقوم بتحقيق المفردات والكلمات، وهكذا دأبه مع القرآن، يتجلّى هذا الذوق التحقيقي في مؤلفاته القيمة وخاصة في أرض القرآن وسيرة النبي .

يقول عن كلمة: «شرح» : معنى «شرح» لغة : الشق والتمزيق، واستنبط منه علم التشريح وتشريح الأجسام في الطب، وبما أن الشق والتمزيق يكشف الأمر، فاستعمل منه شرح أمر وشرح كلام، وشرح خطبة، وشرح كتاب على سبيل المجاز، واستعمل منه معنى مجازي آخر وهو فتح القلب، وفي كلام العرب يُستعمل لمعنى إفهام أمر، وكشفه على أحد، وورد هذا المعنى في القرآن الكريم والحديث النبوي كثيراً، قال الله تعالى في القرآن بلسان موسى عليه السلام حينما يذهب إلى فرعون: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [سورة طه: ٢٥][1]، وبَيَّنَ العلامة السيد سليمان الندوي كذلك معاني الأسماء الحسنى، وأعلام القرآن، وأمكنة القرآن وأمم القرآن، ومفردات القرآن، مثل الرحمن، الرحيم، وعاد وثمود ومدين، وحنيف، ولات وعزّى، ومناة وغيرها .

النكت التفسيرية :

كان العلامة السيد سليمان الندوي يملك براعةً تامةً في

---

(١) سيرة النبي ج/٣. ص: ٢٧١ .

استخراج النكت العلمية من القرآن الكريم، قلّما توجد في معاصريه، فقد استنبط من بسم الله الرحمن الرحيم نكتتين مهمتين :

(١) الرحمن والرحيم بدل معنى في هذه الآية

(٢) ورد فيها الرد على النصارى الذين يعتقدون أن إله المسلمين جبار وقهار.

أي أن الله، والرحمن والرحيم أسماء لذات واحدة، هذا ما أشار إليه القرآن في سورة بني إسرائيل :﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [بني إسرائيل : ١٠١]، هذه الآية نزلت في السؤال عن الرحمن: وما الرحمن ؟

إن عامة المفسرين جعلوا كلمة الله اسم ذات، وكلمتي الرحمن والرحيم من صفات الله تعالى، فاعتبروا الرحمن والرحيم صفتين لكلمة الله، وهذا صحيح، لكن المعنى الذي ذكر آنفاً أبلغ وأكثر تأثيراً، لأنّ الله والرحمن والرحيم أسماء ربانية في القرآن، وقد ذكرت كلمة الرحمن اسم ذات، فاتضح منه أن إله المسلمين ذو رحمات كثيرات» [١].

إنَّ الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن مواقيت الصلاة، ذكر منها وقت صلاتي الظهر والعصر مجملاً أو مفصلاً، ووردت لهما كلمة «قبل الغروب» «أو» أصيل «أو» «طرف النهار» قال الله تعالى :﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [سورة ق: ٣٩ـ ٤٠]،

---

(١) نكت سورة الفاتحة للعلامة السيد سليمان الندوي ، رتبها الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي رحمه الله تعالى .

وورد لصلاتي المغرب والعشاء : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [سورة الروم: ١٧ـ ١٨] ، قال العلامة السيد سليمان الندوي : «حينما تأملت هاتين الآيتين انكشفت لي نكتة عجيبة ، ووجدتُ إشارةً لطيفةً ، أن هاتين الصلاتين واحدة أو اثنتان أيضاً ، يمكن أن تؤدى عند حاجة شديدة أو في حالة سفرٍ خاصة ، هاتان الصلاتان (الظهر والعصر والمغرب والعشاء) جمعاً ، وذكرت صلاة الصبح مفردة دائماً في كل آية ، فلا يجوز ضمها إلى صلاة أخرى ، وإن عمل النبيﷺ في الجمع بين الصلاتين شرح لهذه النكتة القرآنية»[(١)].

حلقات دروس القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي:

ونشراً لتعاليم القرآن وإبلاغها إلى كل فرد من أفراد الأمة كان العلامة السيد سليمان الندوي يقيم حلقات دروس القرآن الكريم ، ويعتقد أن هذا المنهج يأتي بنتائج حسنة ، يقول :

«إنَّ الطلاب الذين تخرَّجوا من المدارس الدينية القديمة ، والطلاب الذين تعلَّموا في الكلِّيات الحديثة وقد نالوا شهادات الماجستير في اللغة العربية أو العلوم الإسلامية ، ولهم شغف بها ، لابد من أنْ تقام لهم حلقات دروس القرآن ، تذكر فيها مناهج الاستفادة من القرآن الكريم ، والتوجيهات الربانية التي ترشد الإنسان إلى الصراط المستقيم»[(٢)].

فأقام العلامة الندوي حلقات القرآن زمن إقامته في وطنه

---

(١) سيرة النبي ج/٥ ، ص: ٧٣ .

(٢) تذكرة سليمان ، ص: ٢٢٤

ديسنه بولاية (بيهار)، ودار المصنفين بأعظم جراه، وبوفال وباكستان، وكان منهجه في درس القرآن أنه يجمع الآيات التي تتعلّق بموضوع واحد، ثمَّ يفسِّرها في ضوء الأحاديث وأقوال أئمة السلف، وقد حضر الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي دروسه بدار المصنفين بأعظم جراه، واستفاد منها استفادةً كاملةً.

يقول الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي: «إن هناك ثلاثة شروط للاستفادة من القرآن بأسلوب علمي:

١) الذوق الإيماني السليم، والطبيعة الدينية.

٢) الاطلاع الكامل على مكانة النبوة، وتاريخ العهد النبوي علمياً وعملياً، وخلقياً وعقدياً وسياسياً.

٣) الدراسة العميقة للغة العربية.

وقد وجدت هذه الشروط في أتم صورها عند العلامة السيد سليمان الندوي، فكان يفسِّرُ القرآن الكريم وفق متطلّباتِ العصر الحاضر، يتأثَّر به السامع للغاية، ويوقن بأن المعنى لم يذكر أحد من أئمة السلف، فقد تمسَّك بآراء جمهور المفسِّرين في تفسير القرآن الكريم، لم تكن عنده العقلية بل السلفية، وكان مذهبه التفويض لا التأويل، درست عليه تفسير القرآن من ثلاث نواح: فقهية، وكلامية ودعوية، وكان العلامة الندوي يراجع كثيراً تفسير الطبري وروح المعاني، ويفك المشكلات النحوية من كتاب مغني اللبيب لابن هشام، وأحياناً من البحر المحيط لأبي حيان. وكان متأثراً إلى حدٍ كبير بفوائد قرآنية للشيخ عبد القادر والذوق القرآني للشيخ حميد الدين الفراهي، وكان ينتقد الرجال الذين درسوا عدة كتب

باللغة العربية، وادعوا فهم القرآن الكريم، وكان يُعتبر هذا العمل فتنةً، ويذكر أخطاء بعض العلماء أمام الطلبة: هذا نتيجة دراسة غير منتظمة» [١].

جهود قرآنية علمية للعلامة السيد سليمان الندوي:

صدر له أول مقال حول القرآن والقضاء والقدر، ونشر في مجلة «الندوة» عام ١٩٠٦م، ثمَّ نشر في نفس السنة «القرآن والفلسفة الجديدة»، وفي عام ١٩٠٧م «القرآن وقضية الارتقّاء» وفي عام ١٩٠٨م «الإيمان بالغيب» وفي عام ١٩٠٨م ألّف كتيبين صغيرين لتعليم اللغة العربية باسم «دروس الأدب» و"أتى بآيات قرآنية لبيان القواعد النحوية، الجزء الأول يشتمل على ٣٢ صفحة، والجزء الثاني على ٦٠ صفحة، وفي يناير عام ١٩٠٩م كتب مقالاً حول مكررات القرآن، وفي عدد يوليو ١٩٠٩م حول الربا وصحف الأنبياء، وفي أغسطس عام ١٩١١م حول «أسماء القرآن». هذه المقالات القرآنية كُتبت في بداية حياته.

ولَمَّا انخرط في سلك هيئة الصحافة لصحيفة «الهلال» لصاحبها الشيخ أبي الكلام آزاد كتب عدة مقالات قرآنية أيضاً، ومنها:

١. تذكار نزول القرآن ٦/أغسطس ١٩١٣م.
٢. قصص بني إسرائيل ٢٤/ سبتمبر ١٩١٣م.
٣. علوم القرآن ١١/ فبراير، و٢٥/مارس، و٨/يوليو عام ١٩١٤م.

---

(١) صحيفة "تعمير حيات" ندوة العماء ١٩٦٤م.

٤. أساطير القرآن ١٠ـ ٢٢/أبريل ١٩١٤م .

وقد تعلّم العلامة السيد سليمان الندوي اللغة العبرانية والإنجليزية كذلك من عالم يهودي، وبرع فيهما، وبدأ تأليف «سيرة عائشة» وتاريخ «أرض القرآن»، زمن إقامته في كلية «دكن» «بونه» مهاراشتر (الهند)، ثمَّ ألّف مقالاً قيماً حول«الصيام» في أول عدد من مجلة «معارف» الصادرة من دار المصنفين أعظم جراه، ثمَّ استمرَّت سلسلة مقالات قرآنية في مجلة «معارف»، من أهمها :

١. تساؤلات تاريخية ضد القرآن الكريم أغسطس وسبتمبر ١٩١٦م .
٢. آية الاستخلاف أكتوبر ١٩٢٠م .
٣. أرض الحرم : مصالحها وأحكامها في ضوء القرآن نوفمبر وديسمبر ١٩٢٣م .
٤. علوم القرآن أبريل عام ١٩٢٦م (بعد إعادة النظر في مقال سابق) .
٥. الصلاة في ضوء القرآن الكريم أكتوبر ١٩٢٧م .
٦. نظرة جديدة على أيام الصيام يناير عام ١٩٣٢م .
٧. الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم فبراير عام ١٩٣٩م .
٨. هل القرآن من كلام الرسول أو اقتبس من التعاليم الإنسانية؟ أكتوبر عام ١٩٤٠م .
٩. الوحي في ضوء القرآن وتناقضات المدعي، نوفمبر عام ١٩٤٠م .
١٠. أقسام الوحي ديسمبر عام ١٩٤٠م .

١١. الحاكم الحقيقي هو الله؟ (تفسير إن الحكم إلاّ لله) نوفمبر عام ١٩٤٦م.

وقد ألّف العلامة الندوي في فن تفسير القرآن تاريخ «أرض القرآن»، (١-٢) و«سيرة النبي» من الجزء الثالث إلى السابع، وهما تفسيران جامعان للقرآن الكريم، ما عدا كتبه ومؤلفاته العلمية، منها: «مقالات سليمان» (الجزء الثالث) و«رسالة أهل السنة والجماعة» حتى رسائله التي كان يكتبها إلى عرفائه، فيبيّن فيها أيضاً النكت التفسيرية، ومن أهم مجاميع رسائله: مكاتيب سليمان، ومكتوبات سليماني، وخطوط سليماني، وبريد فرنغ، وتذكره سليمان وغيرها.

مغالطات المتجددين حول القرآن

وردود العلامة السيد سليمان الندوي عليها:

قام العلامة السيد سليمان الندوي بدحض الفتن التي تثار ضد القرآن الكريم، فكان يردّ عليها ردّاً حتى يدفنها في عقر دارها، إن مدير مجلة «نغار» نياز الفتحفوري بدأ ينشر أفكار واتجاهات المستشرقين في مجلته، فاستنكره المسلمون وانتقدوه أشد انتقاد، فكتب العلامة السيد سليمان الندوي مقالاً، باسم: «شكوى العالم»، فاضطر إلى أن ينشر في مجلته الرجوع من رأيه، وبعد سنوات حينما أنكر أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، فثارت غيرة العلامة السيد سليمان الندوي، وكتب في ثلاث حلقات بحثاً قيماً عام ١٩٤٠م: هل القرآن كلام الرسول واقتبس من التعاليم الإنسانية؟ والوحي في ضوء القرآن وتناقضات المدعي وأقسام الوحي.

وفي عام ١٩٤٥م أعلن نياز الفتحفوري عن رفض التعاليم الإسلامية بناءً على أفكار المستر كلير دبلو تسدل (Clair W. Tisdall) فردَّ العلماء عليه رداً، لكن العلامة السيد سليمان الندوي كتب مقالاً حول: «قواعد وأصول لفهم القرآن»، فكان كالسهم المصيب إلى صدر الفتحفوري، وانكمشت هذه الفتنة، وهاجر نياز إلى باكستان، وكما يقول الشيخ محمد إقبال الأنصاري: دفن هناك أفكاره الملحدة في صدره [1].

مشاريع علمية قرآنية لدى العلامة السيد سليمان الندوي:

لم يكن العلامة السيد سليمان الندوي محققاً ومؤلفاً فقط، بل كان أستاذاً ومربياً، ومطلعاً على دقائق الإصلاح والتربية، فكان يربي الجماعة التي كانت في دار المصنفين علمياً وأدبياً، وتاريخياً، وكان من هذه الجماعة الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي، فقد كَلَّفَه العلامة الندوي أن يلتقط الأقوال التفسيرية لأبي مسلم الخراساني من التفسير الكبير للإمام الرازي، وقد تمَّ هذا العمل، وطبع من «دار المصنِّفين»، ووجَّهه أيضاً إلى أن يجمع تفسيرات ابن قيم الجوزية، فجَمَعَها وطبعت هذه التفسيرات باسم: «التفسير القيم» من مكتبات العالم الإسلامي.

كان العلامة الندوي يعزم على أن تكون هناك دراسات قرآنية علمية حول:

١. عقائد القرآن.
٢. فقه القرآن.
٣. والآيات التي استدل بها النبي ﷺ على ما قاله.
٤. الأحاديث التي تفسِّر بغير ذكر ا لقرآن.

---

(١) مطالعة سليمان ص: ٧٠

٥. تحقيق نسخة خطّية في مكتبة دار المصنفين لحواشي القرآن للإمام الدهلوي، وأصول ترجمة القرآن.

٦. اللطائف الأدبية في القرآن.

٧. مجهودات العلماء حول إعجاز القرآن عبر القرون.

٨. الآيات التي ذكرها القرآن كالدلائل والبراهين، جمع ودراسة في ضوء الآيات الأخرى والمصادر القديمة والحديثة [١].

هذا، وأمثاله من الدراسات العلمية التي كان العلامة السيد سليمان الندوي يتوخى إنجازها، عسى الله أن يقدِّرَ لها رجالاً أكفاء ذوي مُؤهِّلاتٍ علميةٍ. وما توفيقي إلاّ بالله، عليهِ تَوكَّلْتُ وإليهِ أُنيب.

وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجلة "معارف" عدد ممتاز عن العلامة السيد سليمان الندوي، ص: ٢٧٢-٢٧٣.

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم أجمعين.

أما بعد:

فإن التعامل الحسن مع القرآن الكريم لا يكتمل بالتلاوة وحسن الأداء وحفظ الآيات والسور فقط، بل يتحقق باتساع نطاقه إلى فهم معانيه وحلِّ مفرداته وتطبيق مفاهيمه على الحياة الإنسانية، ففهم آيات القرآن واستكناه أحكامها من أهم واجبات الدارسين لها، وقد ثبت أن مجرد التلاوة بحيث لا تجاوز الآيات تراقي القراء علامة لمروقهم من الدين، رغم أن التلاوة المفعمة بروح الإخلاص والطهر والعفاف تملؤهم إيماناً وثقةً وأجراً في ميزان حسناتهم، إن الرعيل الأول كان جد حريص على تلقي القرآن عن رسول الله ﷺ فهماً وتلاوةً، وكشفاً وإيضاحاً، فقد روى ابن جرير عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[1].

فاقتفاءً بآثار الصحابة رضي الله عنهم نهج سلفنا الصالح من المفسرين والمحدثين والمشتغلين بعلوم القرآن على هذا الدرب، وهناك

---

(١) تفسير ابن جرير للطبري ج١/٨٠، بتحقيق محمود محمد شاكر، قال المحقق: هذا إسناد صحيح، وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى.

طائفة من العلماء تركزت عنايتهم على شرح ألفاظ القرآن نحواً وصرفاً وبلاغةً وأدباً وما إليه، وعلى رأسهم الإمام أبان بن تغلب الجريري (١٤١هـ) الذي ألف كتاباً في غريب ألفاظ القرآن باسم: غريب القرآن، والرؤاسي(١٧٠هـ) والكسائي (١٨٩) والسدوسي (١٩٥هـ)، وقد بلغ عدد المؤلفات في هذا الفن حسب إحصاء الشيخ يوسف عبد الرحمن المرعشيلي الذي حقق كتاب «العمدة في غريب القرآن» لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) - إلى خمسة وثمانين مؤلفاً، يطول بذكرها الوصف.

لكن النجم الذي أشرق نوره في القرن الخامس الهجري وأضاء المجال العلمي بأنواره الساطعة هو الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، الذي ألف معجمه باسم: المفردات في غريب القرآن، فقد ذاع صيته وأكب الناس على الاستفادة من تأليفه على مر العصور، هذا بالنسبة إلى البلدان الإسلامية، أما شبه القارة الهندية فلم يكن حظها ضئيلاً في هذا المجال، فأول من برز فيه وحصلت له الأسبقية هو العلامة الشيخ محمد طاهر الفتني (٩٨٦هـ)، الذي جمع في مؤلفه غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، وتناولته أيدي القبول، هو مطبوع باسم «مجمع بحار الأنوار» ثم أتى بعده الإمام عبد الحميد الفراهي (١٣٤٩هـ)، فتناول كلمات القرآن وشرحها شرحاً جيداً على طراز السابقين مستشهداً بأشعار العرب، وسمَّاه «مفردات القرآن»، حوى هذا الكتاب ١٢١ كلمة من الذكر الحكيم، وقد ألف في اللغة الأردية كل من الشيخ نجم الدين السيوهاروي والشيخ شهيد الدين، والشيخ عبد الحي البرهانوي

(بالفارسية) والشيخ محمد بن عبد الله بن نور الدين، والشيخ محمد حنيف الندوي والشيخ عبد الرشيد النعماني والشيخ عبد الدائم الجلالي، فإنهم ألفوا المعاجم تلبيةً للنداء الرباني: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: ٢٤].

إن العلامة السيد سليمان الندوي لم يرتِّب معجماً قرآنياً في معنى الكلمة، لكن قوته الإدراكية وذوقه السليم كان مختصًا بشعور لطائف الكلام ومحاسنه العلمية، وقد درس في دار العلوم لندوة العلماء، واستفاد من أساتذتها البارعين في العربية والعلوم الإسلامية، المطلعين على خبايا زوايا اللغة العربية وأسرارها أمثال العلامة محمد فاروق الجرياكوتي، والعلامة السيد عبد الحي الحسني، والعلامة شبلي النعماني، واستفاد كذلك من العلامة الفراهي، فتكوَّن ذهنه الوقاد، ذلك لأن هؤلاء العلماء كانوا يعتقدون: أن المعرفة بالألفاظ هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع[1]، كان العلامة الندوي يحك الألفاظ ويفكها ويرجعها إلى نصابها، ثم يستعملها في موضع مناسب، هذه خصيصته الكبرى التي جعلت كتاباته مصونةً من الاستعمال الفاحش للألفاظ، وقد كان العلامة مطلعاً على درجة الحرارة والبرودة للكلمات، وخبيراً بناصية البيان والتعبير، وقد تجلت موهبته هذه في كتاباته وبحوثه العلمية التي تشف عن تحقيق لفظ قرآني أو شرح كلمة إلهية، فقد انتقينا ـ بحمد الله ومنه ـ الكلمات التي تناولها بالشرح والبيان من كتبه العلمية، وله

(١) مفردات القرآن للفراهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ عام ٢٠٠٢م.

خلفية تاريخية، وهي فيما يأتي:

فقد كنت طالباً في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣م، إذ وقع بصري على إعلان من المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ (الهند) أن المجمع يعيِّن عِدَّة باحثين للبحث والتحقيق، ويتمّ هذا التعيين بعد الاختبار، ووصل عدد من الباحثين على الميعاد، لكن بتوفيق الله وفضله تمّ انتخاب هذا العاجز، وأسند إليه موضوع: تدوين الآيات التفسيرية في كتابات العلامة السيد سليمان الندوي، وكان المشرف على هذا، الشيخ الدكتور السيد محمد اجتباء الحسيني الندوي (رحمه الله) (١).

بعد سماع هذا الخبر سُررت سروراً عظيمًا، وشكرت الله على توفيقه إياي لهذا العمل، ثمّ بدأتُ العمل، وسافرتُ إلى مكتبات الهند الشهيرة، وأقمتُ عدّة أيّام في دار المصنفين «أعظم جراه»، كما ذهبتُ إلى مكتبة «خدا بخش» بـ بتنه، في ولاية (بيهار)، ومكتبة آزاد بعلي جراه، والتقيتُ العلماء المهْتمين بهذا الموضوع، فقد وجدتُ توجيهات كبيرة من المشرف المحترم (رحمه الله تعالى) والعلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس المجمع الإسلامي العلمي) والشيخ الأستاذ

---

(١) لبّى رحمه الله نداء ربه في ٢٠/ يونيو عام ٢٠٠٨م، ولم يَتَحلَّ هذا العمل بالطباعة، وكان رحمه الله عالماً كبيرًا، وأديبًا ماهرًا، تخرّج من جامعة ندوة العلماء في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي ، وواصل دراسته في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وقام بالتدريس في كل من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والجامعة الملية الإسلامية بدهلي، وجامعة كشمير، وجامعة إله آباد (الهند)، ومن مؤلفاته: الأمير السيد صديق حسن خان القنوجي، والمحادثة العربية، وتاريخ الفكر الإسلامي، والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ الداعية الحكيم ـ المربي الجليل.

السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي (سكرتير المجمع)، والشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي .

وقد تمَّ هذا العمل بحمد الله وتوفيقه في جزئين بالأردية، وطبع من المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ (الهند)، وقد قسمت البحث في سبعة أبواب، فهذا الكتاب هو جزء منه، وهو يختص بمفردات القرآن .

منهجي في هذا الكتاب :

١. قسمت المفردات حسب العناوين الآتية: الأسماء الحسنى، أسماء القرآن، أعلام القرآن، أمم القرآن، أمكنة القرآن، كلمات القرآن .
٢. رتبت المفردات ترتيبًا ألفبائيًا .
٣. قمت بترقيم الآيات القرآنية، وخرجت الأحاديث الواردة في هذا الكتاب .
٤. كانت المواد كلها باللغة الأردية، فنقلتها إلى العربية .
٥. ذكرت نبذة عن العلامة السيد سليمان الندوي وجهوده القرآنية .

ولا أنسى بهذه المناسبة تشجيع أستاذنا الجليل الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي»، ومدير دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ) على أنه أمر بتعريب بعض فصول هذا العمل، وقد هذَّبه وأقام اعوجاجه وصحح خطأه وقام بنشره على صفحات مجلة «البعث الإسلامي» - في خمسين حلقة، بذلك ذاع صيت هذا العمل في الأوساط العلمية - فله جزيل الشكر والتقدير، والأجر الجزيل عندالله عز وجل .

وأخيرًا - لا آخرًا - أتقدمُ بالشكر الجميل إلى سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس المجمع الإسلامي العلمي

ورئيس ندوة العلماء العام) وفضيلة الأستاذ الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي (سكرتير المجمع الإسلامي العلمي، ورئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء) والشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي، وأستاذنا الجليل سعيد الأعظمي الندوي نجلُ العلامة السيد سليمان الندوي، على تكرُّمهم بكتابة تقديمات على هذا الكتاب، فإنّهم في الحقيقة أشرفوا على إنجاز هذا العمل العلمي التاريخي، فلولا توجيهاتهم ما تمكنتُ من إنجاز هذا العمل. (بارك الله في حياتهم، وأطال بقاءهم، ووفقنا للاستفادة منهم).

وقد ساعدني في قراءة الملازم وتصحيح أخطائها الأخ محمد معصوم السيفي والأخ شهادت حسين، فجزاهما الله خير الجزاء، وزَوَّدهما بالعلم والتقى.

وأدعو الله أن يتقبّل هذا العمل، ويجعله في ميزان حسناتي، ويجعله ضمن الأعمال العلمية النافعة، والإنجازات التاريخية المقبولة، ويُوفّقني لما يحبّه ويرضاه، ويجعل آخرتنا خيراً من الأولى، إنه سميع مجيب، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه، وبارك وسلّم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

العبد الراجي إلى عفو ربه

(محمد فرمان الندوي)

أستاذ التفسير والأدب العربي

بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

١٤٣٨/٣/٢٥هـ

٢٠١٦/١٢/٢٥م

الأسماء الحسنى

الأسماء الحسنى

توجد في كل لغة ألفاظ للتعبير عن الإله الحقيقي، استعملها الناس على اختلاف طبقاتهم اعتماداً على فكرة خاصة أو غاية منشودة، فإنها وإن تحولت فيما بعد إلى علم واسم، ولكنها استعملت بادئ بدء بالنظر إلى صفة خاصة، وكل قوم قد اختارت صفةً أو علماً كان عندها أعلى وأعظم وصفاً للإله.

إن تتبع القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة يدل على أن لله تسعة وتسعين اسماً، وقد جاء فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسماً، مأة غير واحدة، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر، يحب الوتر[1]، هذا الحديث يبين سبب عدد الوتر لأسماء الله تعالى، بحيث يقتصر عددها في ٩٩/ اسماً، فالواقع أني لا أرى له إلا سبباً واحداً، وهو أن عددها لو بلغ إلى مأة لما كان الوتر، ولو لا الوتر لم تتضح حقيقة التوحيد، إن الأحاديث الصحيحة لم تصرح بعددها البالغ إلى المأة، نقل الإمام أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي وغيره من أئمة الحديث هذا العدد في كتبهم، لكن المحدثين عامةً والعلامة ابن حجر خاصة قالوا: إن الأحاديث التي جاء ذكرها في هذا الباب ضعيفة[2]، وفيها تعديل وتقديم لبعض الأسماء، وهناك بعض الأسماء لم يأت ذكرها في القرآن، وبعضها جاء ذكرها في القرآن الكريم لم يتناول

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، رقم الحديث: ٣٥٠٧، وصحيح البخاري كتاب التوحيد: ٧٣٩٢، وكتاب الدعوات٦٤١٠،

(٢) رواه عن النبي ﷺ مع أبي هريرة، سلمان الفارسي وابن عباس وابن عمر وعلي، وعند أبي نعيم أيضا: كلها بأسانيد ضعيفة (فتح الباري:ج٢١٤/١١) دار الفكرة للطباعة والنشر.

الحديث بذكره، فاتفق العلماء على أن جميع الأسماء في هذه الروايات تم جمعها بجهد بالغ للرواة، فليس من الصحة أن تتطرق شبهة بالنظر إليها بأن أسماء الله ينحصر عددها في تسعة وتسعين اسماً، وقد ذكر الأئمة الكبار والمحدثون العظام أمثال الشيخ عبد العزيز بن يحيي، وأبي بكر بن العربي، والإمام النووي، والحافظ ابن حجر، والإمام الخطابي، والعلامة ابن تيمية، والإمام القرطبي أن تسعة وتسعين ليست عدداً استقصائياً نهائياً، لأن أسماء الله بحر لا ساحل له، واستدلوا في ذلك بمرويات عبد الله بن مسعود وعائشة [1].

هذه الأسماء إما استعملت كأعلام وصفات أو نُسبت إلى الله أفعالها، أو علّمها النبي ﷺ في الأدعية المأثورة، ونذكرها بهذه المناسبة ليعلم أن العقيدة والفكرة التي قدمها النبي ﷺ كم كانت موسعةً بعيدة المدى، ونزيهةً ورفيعةً، وقام العلماء بتدوينها بالنظر إلى خصائصها المعنوية في قسمين: «جمالية وكمالية»، لكني قسمتها في ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يبدو منه مظاهر الرحمة واللطف والعفو والصفح.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي إلا ذهب الله عنه، وأبدله مكان همه فرجا، قالوا: يارسول الله: ألا نتعلم هذه الكلمات قال: بلى. ينبغي لمن سمعهُنَّ أن يتعلمهن . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! علمني اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، قال لها ﷺ: قومي فتوضئ وادخلي المسجد وصلّي ركعتين، ثم ادعي حتى أسمع،ففعلت، فلما جلست للدعاء قال النبي ﷺ: اللهم وفقها، فقالت: اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها، ما علمنا منها، ومالم نعلم،وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته، ومن سألك به أعطيته قال: يقول النبي ﷺ:أصبته أصبته، (كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص: ٤، باب البيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخر .

وثانيها: ما يظهر منه جلال الله وجبروته، وحكمه واستيلاؤه على كل شيء.

وآخرها ما يدل على علو شأنه وارتفاع مكانته وتقديسه، واتصافه بالكمال واجتماع جميع المحاسن والمحامد إليه، فالأسماء والصفات كلها شرح وافٍ لهذه العناوين الثلاثة.

١ـ صفات الجمال: الله، الرحمن، الرحيم، الرب، اللطيف، العفو، الودود، السلام، المحب، الشكور، الغفور، الغفار، الحفيظ والحافظ، الوهاب، والرازق والرزاق، الولي، الرؤوف، المقسط، الهادي، الكافي، المجيب، الحليم، وقابل التوب، الحنان، المنان، النصير، ذو الطول، وذو الفضل، الكفيل، الوكيل، المقيت، المغيث، المجير، المغني.

٢ـ صفات الجلال: الملك والمليك، العزيز، القاهر والقهار، المنتقم، الجبار، المهيمن، المتكبر، شديد العقاب، شديد البطش.

٣ـ صفات الكمال: هي الأسماء والصفات التي تظهر فيها عظمة الله ومجده وعلو شأنه، وهي تنقسم إلى خمسة: منها ما يتعلق بفردية الله وصمديته، وما يتعلق بكينونته وبقائه، ومنها ما يرتبط بسعة علمه، وما يتصل بقدرته، وما يتعلق بتقديسه وتنزيهه.

فالأولى: الواحد، الأحد، الوتر.

الثانية: الموجود، الحي، القديم، القيوم، الباقي، الدائم، الأول، الآخر، المقدم، المؤخر، الظاهر، الباطن.

الثالثة: الخبير، العليم، علام الغيوب، عليم بذات الصدور، السميع، البصير، المتكلم، الواجد، الشهيد، الحسيب، المحصي، المدبر، الحكيم، المريد، القريب.

الرابعة: الفاتح والفتاح، والقدير والقادر، المقتدر، القوي، المتين، الجامع، الباعث، مالك الملك، البديع، الواسع، المحيط، المحي والمميت، القابض، والباسط، والمعز والمذل، الخافض، والرافع، المعطي، والمانع، النافع، والضار، والمبدئ والمعيد.

الخامسة: العلي، الكبير، الجليل، الغني، الماجد، القدوس، الجميل، العدل، الصمد، العظيم، الرفيع، الكريم، الصادق، الحميد، الحق، البر، سبوح، الرشيد.

تعالوا نقلب صفحات التوراة والإنجيل وأجزاء ويدا الهندوسية، (The Vedas) نر أن الأسفار الضخمة لهذه الكتب تخلو من هذه المعاني المتحدثة بالحب، والوداد، صحيح أن الإسلام لا يبيح للإنسان المسلم أن يعتقد نحو ربه مثل معتقدات النصارى واليهود والهنود، ولكنه لا يعني أن تعاليمه خالية من اللطف وعواطف المحبة، والكرم، التي تحسبها هذه الفرق ثروتها الخاصة بها، بل الواقع أن الإسلام يريد أن يجنب الإنسان من ظلمات الكفر والشرك التي ينقلب فيها المجاز حقيقةً، والاستعارة تصريحاً لأدنى فهم خاطئ، ثم تتقوى صلته بهذه المعاني النزيهة ظناً منها أنها مادية بحتة، فينفلت زمام التوحيد من يده، ويسقط في الحضيض الأسفل، وليس عنده أصغر صورة للعقيدة الصافية.

إن رسول الله ﷺ قد جاء برسالة أخيرة من الله عز وجل، فكانت الحاجة إلى أن تكون تعاليمه طاهرةً من مثل هذه السقطات، وليس هنا بد للتخلص من المجاز والاستعارة نحو التعبير عن الحقائق الروحانية، فكان من الواجب لهذه الرسالة الخالدة أن تكون على نجوة من سوء الاستعمال لهذه المجازات والاستعارات، فقد اعتنى الإسلام بهذا الجانب اعتناءاً بالغاً، وتناول بيان العشق والمحبة لله عز وجل بغاية

من الحيطة والحذر، إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مفعمان بقصص مشجعة رائعة متصفة بالعشق الحقيقي، والمحبة الروحية، لكن يوجد في كتب الديانات كلمة الابن للإنسان وكلمة الأب للإله (God the Father)، فالواقع أنهما ليستا تعبيرين جيدين لإظهار علاقة العبد والمعبود، فإن الإسلام لم يختر للإله كلمة الأب، ذلك لأنه ليس أبا العالم كله، بل اختار كلمة الرب، وهو رب العالمين.

الرحمن:

الرحمن والرحيم من أسماء الله الحسنى، اعتبرهما أكثر المفسرين من أسماء الله الصفاتية، غير أن العلامة الندوي يضمهما في إطار «الله»، ويعدُّهما عَلَمين مثل الله، يقول: مع استهلال تلاوة القرآن يأتي على لساننا اسمان لله عز وجل، وهما الرحمن والرحيم، يتقارب هذان معنًى، ويختلفان أسلوباً، فكل قارئ للقرآن مأمور بأن يعيد تلاوة «بسم الله الرحمن الرحيم» في افتتاح كل سورة، ويكرر تلاوتها في الصلوات مراراً، هل يكون هناك أي دليل أكبر منه يوضح فكرة الإسلام عن الله عز وجل؟ ولا والله، فكلمة الرحمن عَلَم أخر لله في مصطلح الإسلام، وهو صيغة المبالغة في معنى أكثر رحمةً وشفقةً وأوفر لطفاً وعنايةً، ويقول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الإسراء: ١١٠]، وقد استعمل هذا العلم في القرآن الكريم في ٥٣ موضعاً، بغض النظر عن تكرار «بسم الله الرحمن الرحيم»[1] وجاء في «تاريخ أرض القرآن»: لم تكن كلمة «الرحمن» تستعمل عامة في العرب قبل مجيء الإسلام،

---

(١) موسوعة بريطانيا، ط: ١١.

الحقيقة أن هذا اللفظ عبراني(Hebraw) ، كان ينطق به اليهود والنصارى وأصحاب الديانات الأخرى ، وقد كانت كلمة الرحمن مكتوبةً في اللوحات اليمنية [١] وتفتتح اللوحات المسيحية بنعمة الرحمن الرحيم ، [٢] [٣] فلما استعملها القرآن قضت قريش منها العجب ، وقالت : أي اسم جديد هذا ؟ دليل ذلك أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب في مفتتح وثيقة صلح الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم ، قال مندوب قريش سهيل بن عمرو آنذاك : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ [٤] وفي القرآن تصريح واضح بجحود قريش إياه ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَـنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [سورة الفرقان ٦٠] وقال : ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَـٰذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَـنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٦] فأخبرهم القرآن أن لا بأس بأن نذكر الله بأسمائه الحسنى ، وأن الله والرحمن علمان لذات واحدة ، كما في آية بني إسرائيل [٥] .

خاض علماء التفسير في ذكر الرحمن والرحيم المتقاربين معنىً في موضع واحد ، وبينوا فرقاً دقيقاً بين معاني هاتين الكلمتين ، لكن هذا ليس إلا إرهاقاً للنفس واشتغالاً بالتدقيق ، إن التأمل القليل في آيات

---

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) الجامع الصحيح للإمام البخاري .

(٣) مجموعة خطب ومقالات نادرة رتبها الدكتور السيد سليمان الندوي ،ص: ١٠٦-١٠٧ . .

(٤) الجامع الصحيح للإمام البخاري .

(٥) قال الله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (بني إسرائيل: ١١٠) .

القرآن يكشف لنا أن كلمة الرحمن استعملت علماً لا صفةً، ويستشهد في ذلك بآية بني إسرائيل، وأرى أن هناك فريقين من اتجاهات مختلفة في العرب، أحدهما كان يسمي إلههم الله، والثاني يطلق عليه اسم الرحمن، فلما جاء الإسلام جمع بينهما، وقال: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ..... تبين الآية أن الله والرحمن تعبيران مختلفان لذات واحدة، فالاختلاف اختلاف لغوي، بهذا المعنى تكون ترجمة بسم الله الرحمن الرحيم: أفتتح باسم الله الذي هو الرحمن وكثير الرحمة [1].

الله:

إن الاسم الذي اختاره القرآن للخالق المبدع هو الله، من أي مادة اشتقت هذه الكلمة؟ اختلف فيه أهل المعاجم، فأكثرهم يزعمون أنه من «ولاه»: فالولاه والوله يستعملان في معنى الهم، والمحبة والوشيجة القلبية التي تربط الأم بولدها: فاستخرج منه معنى العشق والمحبة مطلقاً، فـ «الواله» في اللغة الأردية يأتي في معنى «المتلهف»، فمعنى الله يكون المحبوب أو اللطيف يعني أن كل شيئ في الكون حتى الإنسان حيران وهيمان في حبه، وقدكان العلامة الرباني الشيخ فضل رحمن الكنج مرادآبادي يحمل كفاءة جيدة لترجمة ألفاظ القرآن في اللغة الهندية الفصحى، فكان يقول: معنى الله: "من موهَنْ" أي مستهوي القلوب[2]. ويقول مارغوليث (Margulies) عن كلمة «الله»: إنها كانت اسماً لمعبود عائلي لقريش، فلم يكن من وراء ادعاء محمد التوحيد إلا لكي يجبر الناس على الإقرار بمعبود عائلي بعد ما أبطل

(١) أرض القرآن ج/٢، ص: ٢٣٣.

(٢) مجموعة خطب ومقالات نادرة، رتبها الدكتور السيد سلمان الندوي، ص: ١٠٦

المعبودات الباطلة للقبائل الأخرى، هذا أفضح مثال للمهاره التي تدعيها أوربا في العلوم الإسلامية .

تنشأ هنا أسئلة، أولها: هل كانت اللغة العربية الزاخرة الجليلة القدر عقيمةً عن أداء معنى الإله الحقيقي بلفظ سهل، كلا! إنكم تقولون: إن المقرين بوحدانية الله كانوا في العرب قبل بعثة محمد ﷺ، نعم، فهل كانوا يستعملون لآلهتهم كلمة غير الله ؟ إنكم تزعمون أن الدراسات التي أنجزها أدباء العرب المسيحيين في العصر الحاضر تثبت أن قد ولد شعراء مسيحيون في العرب بكثرة، فهل سمعتم من لسانهم كلمة الله قط، وهل تكون الصفات المذكورة في القرآن الكريم لله عز وجل حسب زعم المشركين مصداقاً لأي واحد من آلهتهم؟ وخاتمة القول أن أصل الله الإله، وكلمة الإله كانت تستعمل لله عز وجل لا في العربية وحدها، بل في اللغات السامية (Semitic Languages) كلها، فلا مندوحة من أن يتجاهل أصحابها من شكلها المقلوب: ألوه وألوهيم، كان من عادة قريش أنهم كانوا يسجدون أمام تماثيل آلهتهم، فهل كان هناك تمثال لأكبر آلهتهم»[1] .

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٢٣٧-٢٣٨، هذا الكشف الوافي ليس إلا من ابتكار العلامة الندوي، وقد راجعنا مفردات القرآن المتداولة، فما وجدنا هذا البحث الدقيق المتميز بالأصالة والمعاصرة، إلا أن الأصفهاني قال: الله: أصله إله، فحذفت همزته، وأدخل عليه الألف واللام، فخص بالبارئ تعالى، وأله فلان يأله: عبد، وقيل: هو من أله أي تحير، وذلك أن الإنسان إذا تفكر في صفاته تحير فيها، ولهذا روي: «تفكروا في آلاء الله يعني عظمته ـ ولا تفكروا في الله» شعب الإيمان للبيهقي ج/١، ص: ١٣٦، رقم الحديث: ١٢٠، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ، وقيل: أصله ولاه، فأبدل من الواو همزة، تسميته بذلك لكون كل مخلوق والها نحوه {مفردات القرآن للراغب الأصفهاني مادة أ.ل.ه .

رب العالمين :

الربوبية عبارة عن صلة تتوطد بين الخالق والمخلوق، والعبد والمعبود، فإنها تمتد من بداية خلق الإنسان إلى انتقاله من هذه الدنيا بل إلى الأبد، ولا تنقطع للمحة واحدة، وهي حجر الزاوية الذي يقوم عليه صرح الدنيا ومخلوقاتها، وتمسك كل آونة بيديها. تدير أمرها، سواء كانت ذرة أم مادة، قطرة ماء أو قطرة دم، مضغة لحم أم رفات جسم، وسواء كانت في رحم الأم أم خارجها، طفلاً كان أم شاباً، مسناً كان أم هرماً، لا يمكن له أن يكون في غنى عن العناية الإلهية والرعاية الربانية أي وقت.

إذا قارنا بين «الأب» و «الرب» مقارنةً معنويةً علمنا أن فكرة اليهود والنصارى كم كانت منهارةً ومنخفضةً، فعلاقة الأب بابنه تبقى بكيفية خاصة ومن زمن إلى زمن، لأن وجود الابن وإن كان له صميم علاقة بالأب، لكن بقاءه واستمتاعه بزخارف الحياة ونشأته وبلوغه إلى منزلة رفيعة لا يختص به، فإن الابن يباشر أعماله من عند نفسه بدون واسطة، ويمكن أن يحتاج إليه في إنجازها حينما يكون صغيراً، فمنذ المراهقة إلى الشيخوخة لا يشعر بضرورة وجود الأب، ويريد أن يعيش عيشة حرة، فتأملوا أن الصلة التي تقوم بين الرب والمربوب هل يمكن للعبد أن يعيش مستغنياً عن الله عز وجل، وهل هذه العلاقة تتحدد كعلاقة الأب بالابن، كلا، لا والله» [1].

---

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٢٦١ ـ ٢٦٧ـ٢٧٩ بتلخيص يسير.

أسماء القرآن

الفرقان :

ورد في القرآن كلمة الفرقان في معناه مرتين، قال الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾، ومثل هذه الآية موجودة أيضاً في سورة التوبة، وورد في سورة آل عمران : ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان : ٣ ـ ٤]، وقد سمى القرآن التوراة بالفرقان، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٨].

هنا ينشأ سؤال وهو : أن الفرقان من أي لغة ؟ وما معناها ؟ قال جارج سيل(George Sale) : الفرقان مقتبسة من لغة عبرانية، وكان اليهود يسمون أجزاء كتابهم فرقةً أو فرقاً، فاشتق الإسلام اسماً لكتابه الديني من المادة المذكورة أعلاه، جوابه : لا عذر لقبول رأي سيل، لكن نسأله سؤالين : إن الفرقة وفرق اليهودعبارة عن جزء أو باب للتوراة، وإذا كان الفرقان مقتبساً من الفرقة والفرق أطلق على سورة في أغلب الأحوال، لكن الإسلام سمَّى القرآن كله بالفرقان، والسؤال الثاني : كما أن الفرقة والفرق في اللغة العبرانية في معنى الأجزاء، كذلك استعملت هاتان اللفظتان في اللغة العربية في نفس المعنى، قال الله عزوجل : ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [سورة التوبة : ١٢٢]، وقال : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء : ٦٣] ثبت من هاتين الآيتين أن هذين اللفظين استعملا في اللغة العربية في نفس المعنى، فلا حاجة للإسلام إلى أن يأخذ لفظاً من التوراة ويترك اللفظ الذي يوجد فيه من قبل .

إننا نعتقد أن القرآن يفصل معناه، فعلينا أن نبحث عن معناه فيه، ومعلوم أن الفرقان مصدر، وإن معناه المشتق يوجد في الآيات القرآنية، قال الله تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ [المرسلات: ٤] معنى الفارق: المميز، واستكشافاً لمعنى الفرقان اقرؤا قول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، فمعنى الفرقان هنا: الحرب، لأن هذه الحرب ميَّزت الحق من الباطل و الكفر من الإسلام، وقد سبق أن الفرقان مصدر، ويأتي المصدر باللغة العربية في معنى اسم الفاعل، قال الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الفرقان: ٢٩]، فالفرقان في هذه الآية بمعنى الفارق أو القوة المميزة، وقد وردت كلمة الفرقان في المعنى المؤخر الذكر مرات في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] فليس المراد من الفرقان هنا التوراة، لأن كلمة الكتاب تشير إلى ذلك، فتعين المعنى الثاني بالقطع، الذي نعرفه بالضمير الإنساني، والقضاء الصالح والروح والقوة المميزة بين الحق والباطل.

لقد ثبت من هذا أن معنى الفرقان: الحكم أو الحاكم، وإذا اتصف كتاب بهذه الصفة كان معناه كتاباً مميزاً بين الحق والباطل، الحقيقة أن القرآن والتوراة اتصفا بالفرقان بين جميع الكتب والصحف السماوية الأخرى، لأنها تشتمل على التعليمات الخلقية والروحية، أما التوراة والقرآن فكلاهما مجموعة أخلاق وقوانين، لأ ن القانون يميز بين الحق و الباطل [١].

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٤٦ — ٥١.

القرآن :

القرآن اسم حقيقي ومشهور للقرآن الكريم، فقد قال الله تعالى عنه : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة : ٧٧] وقال : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج : ٢١]، وقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٩]، وقال : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ١٩]، وقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل : ٧٦ ـ ٧٧] ، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن ستين مرة، فاتضح منه أن الاسم الحقيقي له القرآن .

وقد جرى النقاش بين العلماء قديماً وحديثاً في اشتقاق هذه الكلمة، قال جارج سيل (George Sale) : القرآن كلمة عبرانية، وكان اليهود يسمون كتاب النبي يحميا قرا أو مقرا، ثم جعلوا يطلقون على التوراة قراة أو مقراة، واشتق منه القرآن، نقول : لا شك أن معنى كلمة قراة و مقراة في اللغة العبرانية : الدراسة، لكن توجد تجاه ذلك كلمة عربية : قراءة، فإذا كان اسم القرآن مشتقاً من العبرانية كان قراءةً، لا قرآنا، فالقضية هنا قضية اشتقاق الكلمة من العربية، لا معناها .

وقال الإمام الشافعي : إن النطق الصحيح لكلمة القرآن قران على وزن فعال، وهي ليست مشتقة من مادة أو أصل، بل وضع الله تعالى هذا الاسم لكلامه المجيد بدون أي اشتقاق، فهو اسم وعلم

له ،(١) وأيد الفراء النحوي والإمام أبو الحسن الأشعري فكرة الإمام الشافعي (القرآن هو أصلاً القران بدون همزة)، لكنهما يقولان : إن النون في القرآن ليست أصلية، يقول الأشعري : القران مشتق من القرن، ومعنى قرن : ربط، ذلك لأن القرآن يربط السور والآيات والحروف، فسمي بالقرآن، ويقول الفراء : القرآن مشتقة من القرائن، والقرائن جمع قرينة، ومعنى القرينة: الدليل والشبيه، لأن كل آية من آيات القرآن دليل للآية الثانية ومفسرة لها، فسمي بالقرآن .

إن رأي الإمام الشافعي يخالف أكثر أهل المعاجم، فلا يعبأ به، لأن جميع القواميس حافلة بمعنى القرآن، وهي ترفض رأي الإمام الشافعي رفضاً باتاً .

ولا يكون تحقيق الأشعري صحيحاً إلا إذا كان نطق القرآن الصحيح قرآناً، وهو صحيح في القراءة المشهورة، طبقاً للأحاديث الصحيحة، وليس هنا وجه يصحح قول «القران» قرانا .

أجمع المفسرون وأصحاب القواميس، و القراء الماهرون في الأحرف السبعة على كون القرآن على وزن فعلان، وهو مثل غفران ونقصان، وقد نشأ اتجاهان في تعيين معنى القرآن، فقال بعض المفسرين: معناه : قرأ أي درس، وقال الآخرون :معناه : جمع، وكلا المعنيين صحيح .

أما الاتجاه الأول فهو لابن عباس وغيره من القدماء رضي الله عنهم، مثل : لحيان (اللغوي المشهور)، فالمصدر عندهم في معنى المفعول، وهو كتاب يقرأ مرة بعد أخرى، ويتلى، أما الاتجاه الثاني فهو

---

(١) مقالات سليمان ج/٣ .

جمع، واتفق عليه جمهور المفسرين والماهرون في اللغات، وهو في الواقع صحيح، ورد في تفسير فتح البيان : ذهب الأكثرون إلى أنه (أى القرآن) مشتق من القرء وهو الجمع، وقال الطبري : إن قتادة وجه معنى القرآن إلى الجمع، و قال مؤلف تاج العروس : قال أبو إسحاق الزجاج : معنى القرآن الجمع، وقال الرازي : قال الزجاج وأبوعبيدة : إنه مأخوذ من القرء، وهو الجمع، قال ابن الأثير : الأصل في هذه اللفظة، قول الراغب الأصفهاني : إنما سمي قرآناً لكونه جمع، وقال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم :

ذراعي عيطل إدماء بكر هجان اللون لم تقرء جنينا

وقال سنان بن الفحل الطائي :

ولكني نصبت لهم جبيني وآلة فارس حتى قريت

إن أقوال المفسرين وبيانات أئمة القواميس وطرق استعمال شعراء العصر الجاهلي قد كشفت معنى القرآن الكريم، لكن للقرآن لا يحتاج لإثبات معناه إلى مصادر أخرى، بل يبيّن معناه بنفسه، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة :١٧].

قد بينا من قبل أن القرآن إما مصدر بمعنى الصفة أواسم فاعل أي : الجمع أو الجامع ، هنا ينشأ سؤال : لماذا سمي القرآن جامعاً ؟ أجاب علماء الإسلام عنه ثلاث إجابات :

(١) قال أبو إسحاق النحوي : يُسمَّى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن جمع القرآن، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها .

(٢) قال ابن الأثير : وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر

والنهي والوعد والوعيد .

كلا الجوابين ليسا من وجوه تسمية القرآن المناسبة ، لأن فضيلة جامعية الفصول والأبواب أو الوعد والوعيد والأمر والنهي لكتاب عالٍ ، لا تحمل أي قيمة .

(٣) بل السبب الأصيل لتسمية القرآن بالجامع هو ما قال الراغب الأصفهاني : إنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة .

الواقع أنه ليس هنا اسم أحسن من القرآن (الجامع) ، إن الدين الإسلامي دين كامل في العالم ، فكان من اللازم أن يكون هذا الكتاب جامعاً ، فالتوراة قانون ، والإنجيل أخلاق ، والزبور حمد ومناجاة ، لكن القرآن قانون وأخلاق وأدعية ومناجاة ، وخلاصة الكتب الدينية كلها في العالم ، وهو جوهرة الصحف السماوية ، فالقرآن يكمل جميع حاجيات الإنسان ويتكفل بكل نوع من الضرورات ، وينوِّر كل طريق من الدنيا والدين ، فهو جامع كل شعبة من شعب الحياة : العقائد والعبادات والمعاملات وإصلاح الباطن والأخلاق والقانون والمدنية والاجتماع والسياسة وغير ذلك ؟ هل يساوي مؤلف ديني في الدنيا القرآن ، إذا كان الجواب بـ : لا ، فليس هناك اسم أحسن للقرآن من معناه «الجامع» .

إن عامة المسلمين لا يعرفون شيئاً عن أسماء القرآن ، حتى تجرأ الآريون من الهندوس على أن يقولوا أن القرآن مركب من «قرأ» و«آن» ، وكلمة قرأ فعل أمر من قرأ معناها درس ، ومعنى الآن : آنفا ، فكان معنى الجملة : إقرأ الآن ، إن هذا التحقيق الجائر ليس من الحقيقة في شيء ، يعرف طلاب المدارس «قيمة» هذا التحقيق [1]

---

(١) مقالات سليمان ج/٣ ، ص: ٥٥ ـ ٦٣ .

أعلام القرآن

آزر :

ذكر الله اسم والد إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، بحيث قال: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾، وجاء في بائبل تارح وترح، هذا الاختلاف في الاسم أثار كثيراً من التساؤلات، وليعلم قبل كل شيء أن بين نزول التوراة والقرآن مسافةً زمنيةً حوالي ألفي سنة على الأقل، وكانت لغة التوراة الأصيلة عبرية، ولا تزال تتغير لغات اليهود نظراً إلى الثورات السياسية، وإن التوراة الحالية باللغة العبرية ليست أصليةً، وهي مترجمة من الآرامية أو اليونانية، فإذا اختلفت الأسماء في شتى الأمم والألسن بالنسبة إلى تغير الأحوال وبعد الأزمان، فليس هذا موضع نقد وتمحيص، وإن لهجة أسماء بائبل الإنجليزي يونانية أو لاتينية، وهي لا تتفق وأصل اللغة العبرية، فهل ينتقد هذا الاختلاف ؟!

وإن المسيح عليه السلام إله أوربا، لكن لهجات هذه الكلمة تختلف في ألسنة أوربا، والأصل في اللغة العبرية يشوع، وفي اللهجة اليونانية جيسوس، واللاتينية : جيزس، وفي اللغة العربية عيسى عليه السلام، وإن اسم أستاذ المسيح عليه السلام يوحنا بالعربية، وجان باللاتينية، ويحيى بالعربية، وهكذا تختلف أسماء الأنبياء العبرانيين في اللهجات المختلفة .

الواقع أن المفسرين كانوا قد اطلعوا على هذه الصورة، فقالوا :

١- آزر كان والد إبراهيم، واسمه الآخر : تارح، كما أن اسم يعقوب الآخر، إسرائيل .

٢- آزر لم يكن اسم «تارح»، بل كان وصفاً أو لقباً .

٣- آزر كان اسماً لصنم تارح .

إن الجواب الثاني والثالث صحيحان على حد علمي، لأن "تارح" كان من سكان بابل، وإن الديانة الفارسية ولغتها وحكومتها تذكار لتاريخ بابل القديم، ويدعي بذلك أهل فارس، وإن آزر باللغة الإيرانية القديمة يعرف بالنار، والنار مظهر لكوكب مريخ، فيعرف مريخ بآزر، وما زالت النار وكوكب مريخ موضعا سجود وعبادة عند أهل فارس، **فعلم منه أن** عبادة مريخ كانت لدى عباد الأصنام في بابل، **ثم تقرر آزر اسماً** للملك الموكل، فلا عجب أن آزر كان وصفاً **أو لقباً لناسك في المعبد** في اللغة البابلية القديمة [١] .

إسماعيل:

إسماعيل كلمة عبرية، مركبة من «شماع ايل»، فمعنى شماع: السماع، ومعنى إيل، الله، أي سماع الله، وقد التجأت السيدة هاجر إلى جناب الله طلباً للولد، ودعا له إبراهيم عليه السلام أيضاً الله تعالى، فسمي هذا الولد بإسماعيل، وقد كان عمر إبراهيم عليه السلام وقت ولادة إسماعيل ستة وثمانين عاماً، ووفقاً لتصريحات التوراة اختتن الأب إبراهيم ولده في عمره الثالث عشر، وولد إسحاق في العام نفسه، وقد جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري مروياً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل كان وقتذاك رضيعاً [٢]، لكن الآية المذكورة أدناه تؤيد جانباً آخر لهذا

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ١٩٢ — ١٩٧ .

(٢) الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (رقم الحديث: ٣٣٦٣) باب قول الله "يزفون" (الصافات: ٩٤) .

البحث، قال الله عز وجل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [سورة الصافات: ١١٠-١١٣] جاءت في هذه الآيات بشارة ابنين لإبراهيم عليه السلام، ذُكر اسم واحد منهما، وهو إسحاق، ولم يذكر الثاني، فالمراد به في الحقيقة إسماعيل، بالنسبة إليه ثبت أن إسماعيل قد بلغ الحلم تحت تربية أبيه قبل إسحاق بمدة، وقد ورد خلال دعاء إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧] إلى آخره ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٩]، فاتضح منه أيضاً أن إسحاق عليه السلام كان قد ولد عند ما ترك أبوه إسماعيل وأمه في مكة، أما رواية ابن عباس التي رواها الإمام البخاري في كتابي الرؤيا والأنبياء عن رضاعة إسماعيل عليه السلام فهي ليست مرفوعة سوى جمل خاصة منها، وهي من إسرائيليات ابن عباس رضي الله عنه.

وقد ذكر القرآن أن إبراهيم عليه السلام أسكن زوجته هاجر وولده إسماعيل عند بيت الله المحرم في واد غير ذي زرع، فيمكن أن يكون المراد به الصحراء التي تمتد من حدود الشام إلى اليمن على جانب البحر الأحمر، وهو سلسلة جبل السراة يسميه بنو إسرائيل مدين من عهد موسى عليه السلام، ويطلق العرب عليه اسم الحجاز، رزق الله سيدنا إسماعيل عليه السلام ثلاثة عشر ولداً: اثنا

عشر من الذكور، وواحد من الإناث، وكان أكبرهم سناً نبايوط، وأصغرهم قيدار، وأوسطهم قيدماه، فأصحاب الرس هم قيدماه وقومه، وأما أصحاب الحجر وآل غسان فهم من ذرية نبايوط[1].

أيوب:

كان لإسحاق ابنان يعقوب وعيسو المعروف بـ «أدوم»، هاجر عيسو إلى عمه إسماعيل غضباً من أخيه يعقوب، وتزوج هناك من ابنته، ثم تزوج من نساء أخر، فرزق أولاداً، ثم لجأ بهم إلى جبل السراة، الذي يمتد طولاً من الشام إلى أقصى اليمن، فسميت هذه الأسرة بـ «أدوم»، ثم صارت هذه الأسرة بعد مدة قوماً كثير العدد، فأسسوا دولةً عظيمةً، في عام ١٧٠٠ قبل المسيح، وكان في ذرية أدوم عوض، فكان أيوب الذي جاء ذكره في القرآن وأسفار يهود من أسرة عوض بن أدوم، وقد نقل في مصادر مختلفة: يوباب وأوب، وأيوب، بالنظر إلى اختلاف اللهجات، كان مسكن أيوب في بصرى من الشام، وكان عهده ما بين ١٠٠٠ق م إلى ٧٠٠ق م.

ورد اسم أيوب في القرآن الكريم أربع مرّات، في النساء، والأنعام، والأنبياء، و ص، أما ذكره في سورة النساء والأنعام فهو موجز جداً، بحيث ذكر الاسم: ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ﴾ [سورة النساء: ١٦٣] ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٤]، ووردت قصته في سورتي الأنبياء و ص، بشيء من التفصيل، يقول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٣٣ – ٣٨.

وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤١-٤٤]، ما المراد بالشيطان هنا؟ يفسره الآية الأخرى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤] في هاتين الآيتين تحتاج ثلاثة أمور إلى بيان وإيضاح:

١- لم يُذكر في القرآن أن من هو الذي تناوله أيوب بالضرب؟ لكن كتب المفسرون أن امرأة أيوب لما عصت الله حلف أيوب عليه السلام سخطاً منها أنه لو كنت معافى من هذا المرض لضربتك مأة ضربة، إن امرأته كانت صادقة في إيمانها، وكانت هذه الوسوسة شيطانية، فغفرت، وأمر أيوب عليه السلام بضربها من مأة ضغث مرةً واحدةً تحلةً للقسم.

٢- إن سفر أيوب (جزء مهم من التوراة) لم يذكر إلا عصيان امرأة أيوب، لكن قد تناول القرآن ذكر العقاب ونوعيته، فقال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

وقد ذكر القرآن كيفية براءة أيوب عليه السلام من المرض، بأن الله أخبره بعين يزول الداء بالاغتسال فيها، وهذا العلاج كان مطابقاً للفطرة، إن العيون الطبيعية التي تتفجر من الأرض تحمل خواصَّ، وقد أجراها الله تعالى في مختلف مناطق العالم، يستفيد منها آلاف مؤلفة من الخلق[1]

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٢٢ — ٣١.

جبريل:

«جبريل» كلمة عبرية، معناها: عبد الله، أما في اصطلاح الشرع: فهو ملك يتوسط بين الله وعباده المصطفين لإرسال أحكام الله إليهم، وقد استعمل هذا الاسم في التوراة والإنجيل لهذا العمل الجليل، ذكر في دانيال التوراة (٨ ـ ١٦ ـ ١٩ ـ ١٦) أنه رسول الله إلى عباده المختارين، وورد في لوقا الإنجيل (١ ـ ١٩ ـ ٢٦) أنه جاء إلى زكريا، ببشارة يحيى، وإلى مريم ببشارة عيسى عليه السلام، وقال القرآن: إن الملك الذي كان واسطةً بين الله ومحمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، فهو روح الأمين، وروح القدس، والرسول، قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٩٧] وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣ـ١٩٤] وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة النحل: ١٠٢].

ففي قصة بداية الوحي لقب رسول الله ﷺ جبريل بالملك، وعبر ورقة بن نوفل عنه بالناموس، فمعنى الملك: الرسول، وهو مشتق من الألوكة، ومعنى الناموس: أمين السر، هذا كله يدل على المعنى المذكور أعلاه[١] وقد ورد اسم جبريل في القرآن الكريم ثلاث مرات، مرتين في سورة البقرة، ومرة في سورة التحريم، وكان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ في صورة دحيه الكلبي رضي الله عنه[٢].

---

(١) سيرة النبي ج/٣، ص: ١٨٨ — ١٨٩.

(٢) سيرة النبي ج/٣، ص: ١٨٠.

العرب:

كلمة العرب اشتقت من الإعراب، معناه: طلاقة اللسان وإبداء خواطر القلب، ذلك أن العرب كانوا أفصح الناس وأقدرهم على ناصية البيان، فسموا أنفسهم «عرباً» وغيرهم بالعجم، الواقع أن هذا لم يكن إلا دقةً في الخيال وتعمقاً في النظر، كل قوم يكون أبناؤها بارعين في لغاتهم، قال علماء الأنساب: إن يعرب بن قحطان كان أول من سكن في جزيرة العرب، وهو جد للعرب اليمنيين، فسميت هذه البلاد وقاطنوها بالعرب، لكن هذا القول ليس موثوقاً به، لأنه يضاد القياس والدراسات التاريخية، فليس يعرب أول من سكن في العرب، ولا يمكن أن تضاف إليه كلمة يعرب وفقاً لقاعدة صرفية، وقال أهل الجغرافيا - وقولهم أصح الأقوال لدي: العرب تعرف بـ«عربة» فصارت فيما بعد «العرب» مخففة، ثم سمي القوم الذين سكنوا هنا بالعرب، قال أسد بن جاحل.

وعربة أرض جد في الشر أهلها كما جد في شرب النقاخ ظماء

وقال ابن منفد الثوري:

لنا إبل لم يطمث الذل نبيها بعربة مأواها بقرن فأبطا

وظل هذا الاسم باقياً إلى ما بعد الإسلام:

أبونا رسول الله وابن خليله بعربة بوأنا فنعم المركب

وجاء في القصيدة المنحولة إلى أبي طالب بن عبد المطلب:

وعربة دار لا يحل حرامها عن الناس إلا اللوذعي الحلاحل(١)

من هنا يحدث سؤال، وهو أن جزيرة العرب لماذا سميت

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة عرب.

بهذا الاسم؟ فجوابه أن كلمة «عربة» في جميع اللغات السامية تأتي في معنى الصحراء والبادية، وفي اللغة العبرانية تأتي في معنى القفر والميدان الفسيح، وفي اللغة العربية تستعمل كلمة العرابة في معنى الحياة البدوية، والأعراب هم أهل البوادي، والصحاري، فبلاد العرب صحراء قاحلة، لا ماء فيها ولا نبات، ولا سيما المنطقة التي تمتد من الحجاز إلى بوادي العرب والشام وطور سيناء، فتعين اسمها «عرباً»، ثم صار يطلق على سكانها اسم العرب على مرِّ العصور.

لم ترد في القرآن كلمة العرب لبلاد العرب، وقد جاء ذكر «واد غير ذي زرع» بمناسبة إسكان إسماعيل عليه السلام فيها، فهذا الاسم يمثِّل بيئة العرب تمثيلاً دقيقاً، وكانت هذه المناطق غير مسماة باسم، فسميت بواد غير ذي زرع، نظراً إلى طبيعتها، وقد ورد في التوراة عن مسكن إسماعيل «مدبار» معناه: الفلاة، فـ«مدبار» ترادف كلمتي العرب وواد غير ذي زرع[1].

لقمان:

لما حدد الله وقت إرسال ريح صر صر عاتية على قوم عاد خرج هود عليه السلام من الأحقاف بأتباعه، وسكنوا في الحجاز، وكان منهم الملك الصالح الحكيم لقمان، عاش طويلاً، وحكم مدةً لا بأس بها، يضرب به المثل في الحكمة، قال ابن إسحاق في كتاب التيجان: قال وهب: فلما مات شداد بن عاد صار الملك إلى أخيه لقمان بن عاد، وكان قد أعطى الله لقمان ما

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ٥٢، طبع دار المصنفين عام ٢٠٠٣م.

لم يعط غيره من الناس في زمانه، أعطاه حاسة مأة رجل، وكان طويلاً لا يقارب أهل زمانه، قال ابن وهب، قال ابن عباس: كان لقمان بن عاد بن الملطاط بن السلك بن وائل بن حمير نبياً غير مرسل (أي بلا كتاب) {كتاب التيجان: نسخة خطية في مكتبة بانكي فور ص: ٧}.

يعتقد عامة الناس - بسوء فهمهم - أن لقمان عاد ولقمان الحكيم رجلان اثنان، وقال قصاص العرب: إن لقمان الحكيم كان أفريقي الأصل، جاء إلى العرب كعبد متواضع، وقال بعض الباحثين في أوربا: إن لقمان الحكيم وطبيب اليونان المعروف بـ«ايساب» كلاهما واحد، لأن الحكم والأمثال التي أُثرت عنهما تترجم عن فكرة واحدة، الحقيقة أن هذا الاستدلال مستغرب للغاية، ذلك لأن مماثلة معاني الكتابين لا تدل على مؤلف واحد، فلو كان ذلك لا ستلزم ضياع مئات من الشخصيات التاريخية التي اتحدت أفكارها ونظراتها.

كان لقمان مشهوراً في العرب، وكانت صحيفته الحافلة بالحكم تقرأ فيهم، يقول الشاعر الجاهلي سلمى بن ربيعة:

أهلكن طسماً وبعده غذي بهم وذاجدون

وأهل جأش ومأرب وحي لقمان والتقون

لم يتضح من هذا البيت كون لقمان عربياً فحسب، بل كان سيد قبيلة، ومواطن اليمن، ويملك قوة ومنعة مثل ملك «سبا»، وقد اكتشف لوح لعاد سنة ١٨٣٨م، كتب فيه: «يحكم علينا ملوك

صالحون أقوياء يقضون بيننا وفقاً لشريعة هود، وكانت الأقضية الحسنة تكتب في دفتر»، أفليست هذه الكلمات تشهد أن صحيفة لقمان كانت مملوءة بالأقضية الجيدة في صورة كتاب، وقد أفرد القرآن سورة مستقلة باسم لقمان، وشهد ببره وحكنته في شئون الحياة، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان: ١٢] (١).

مريم بنت عمران، وأخت هارون:

مريم كلمة عبرانية كالأسماء الأخرى الواردة في القرآن، معناها اللغوي: نجم البحر، وكانت مريم وأخت هارون اسمين لامرأتين في بائبل، وإن اسم أخت موسى وهارون عليهما السلام مريم أيضاً، واسم أم عيسى أيضاً مريم، يقول النصارى: إن القرآن لبَّس اسم مريم أخت موسى، ومريم أم عيسى، ولقبهما ظناً منهما واحدة، بحيث جعل مريم أم عيسى، بنتاً لعمران وأختاً لهارون كما تدل عليه الآيات الآتية: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [سورة التحريم: ١٢] ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [سورة آل عمران: ٣٥] ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾ [سورة مريم: ٢٨].

ندرس دراسة علمية لهذا السؤال من بعد، لكن نقول لهم في

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ١٤٨ – ١٥١.

بدء الأمر : إن الإسلام لا يقر بالثنوية والثالوث، فالنصرانية تؤمن بها وتعتقد لها اعتقاداً، ومما يدل على سخف وجهل أعداء الإسلام أن أحد المؤرخين المعروفين «حمزة» الذي ألف كتاب «تاريخ ملوك الأرض» يزعم باحث أوربي دي هار بيلات: أن المراد من حمزة المؤرخ هو ابن عبد المطلب سيد الشهداء.

إن ما ينتقد به الإسلام اليوم، وإن اختلفت الألفاظ وتبدلت الأساليب، لكن معناه ومدلوله هو ما أعاده النصارى قبل ثلاثة عشر قرناً، كانت نجران إحدى مديريات اليمن في القرن السادس المسيحي، يسكنها النصارى، أرسل إليها النبي ﷺ المغيرة بن شعبة للدعوة إلى الإسلام، يقول المغيرة رضي الله عنه: بعثني النبي ﷺ إلى نجران، فقالوا لي: ألستم تقرؤن: يا أخت هارون! وقد كان بين موسى وعيسى ما كان، فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم [1] وذلك هو جوابنا اليوم، وهو يكفي.

ذكر القرآن عمران أباً لمريم في موضعين في سورة مريم وسورة التحريم، أما ذكر القرآن أخت هارون، فالأصل فيه أن المراد من الأخت ليس هنا قرابة الأخت الشقيقة، لأن دعاء مريم الذي ورد في آل عمران كما يأتي: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(١) سنن الترمذي تفسير سورة مريم.

بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة مريم : ٣٥ – ٣٦]، لا يتضح من هذا الدعاء أنه كان هناك أخ لمريم، وإلا كان ينذر على المذبح، الواقع أن الناس أخطاؤا في معرفة حقيقة أخت هارون، كان المراد من كلمة هارون حسب استعمال العرب قبيلة أو أسرة هارون، كما أن المراد من بكر وسعد ووائل وأسد ونزار ليس أفراداً وأشخاصاً، بل قبائل وأسر، وإذا أضاف العرب أخاً أو أختاً إلى قبائل العرب أريد به فرد من هذه القبيلة، إذا أطلقت كلمة أخو قريش لم يكن المراد منها أخا شقيقاً لقريش، بل كان عضواً لقبيلة قريش، وقد ورد في الحديث : «ابن أخت القوم منهم» فليس المراد في هذا من أخت القوم شقيقة القبيلة، بل أريد بها امرأة من القبيلة، وقد شاع هذا الاستعمال في العرب بحيث يُطلق على غير ذي روح خروجاً من ذي روح، مثلاً : أخو العلم وأخو الجهل وغيره.

وجاء في سفر لوقا (Luke) من الإنجيل (١ ـ ٣٦) أن الزبتهـ كانت أماً ليحيى، ومن أولي القربى لمريم، وورد في السفر الخامس أنها كانت أخت هارون، فاتضح منه أن مريم كانت من أسرة هارون، فليس المراد من الأخت في مصطلح الإنجيل أختاً شقيقةً، وإلا كان من الممكن أن يقال : إن الإنجيل يعتبر هارون ومريم معاصرين.[1]

ملائكة :

ملائكة جمع ملاك، ثم صار ملكاً وفقاً لقاعدة عربية، وهو مشتق من الألوكة، معناه: الرسالة، فكان معنى الملائكة مُبَلِّغو

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٢٠١ – ٢٠٦.

الرسالة، الملائكة هم رسل الله، وقد ذكرهم القرآن الكريم في مواضع متعددة بهذا الاسم، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [سورة الحج: ٧٥]، وسُمِّي الملائكة بـ﴿المدبرات أمراً﴾ [سورة النازعات: ٥] وذكر عنهم أنهم متمثلون لأوامر الله تعالى، قال عزوجل: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦].(١)

وقد اعتبر كل ديانة في العالم حتى الفلسفة اليونانية والمصرية القديمة وجود هذا الخلق، ففي الديانة الصابئة يعتبر في صورة النجوم والكواكب، وفي الفلسفة المصرية اليونانية يسمى بالعقول العشرة، وقد اعتقدت في السموات التسع أيضاً نسمات مخيرة، بل إن الفلسفة اليونانية تؤمن ببعض الأرواح المجردة غير المادية، من أهمها فكرة «لوجس» وهي الذات الأولى التي جعلها الله ذريعةً لخلق الكون كله، يعرفها الفلاسفة بالعقل الأول، وقد سمى المجوس هذا الخلق بـ «امشاسبند» وهو بعدد كثير لا يحصى، ويعتقده اليهود بـ «كروبيم»، ويسمون أعظمهم بجبرئيل وميكائيل، ويعرفهم النصارى بهذه الأسماء، ويعبرون بجبرئيل وروح القدس وغيرهما، أما الهندوس فإنهم ينادونها باسم الآلهة الذكور والإناث، ويعتقد جهال العرب أنهم بنات الله، على كل، فإن هذه الأسماء المختلفة تعبيرات متعددة لحقيقة واحدة، وهي أن هذه النسمة هي الوسيطة الروحانية بين الصانع ومخترعاته والخالق ومخلوقاته، وهي مسيّرة حسب مشيئة الله عز وجل(٢).

---

(١) سيرة النبي ج/٣، ص: ١٨٨.
(٢) أيضاً ج/٤، ص: ٢٨٧.

أمم القرآن

أصحاب الأخدود:

كان من ملوك حمير ملك، اسمه يوسف ذو نواس، وكان متعصباً لليهودية، رغم ذلك كان أتباع النصرانية في نجران بعدد غير قليل، وكان بينهما خصام ونزاع، فتارة تشتبك اشتباكات تمتد إلى زمن طويل، كان في نجران راهب، وكان يأتي إليه شاب، فكان الراهب يتناوله بتدريس الديانة النصرانية، لما علم العامة انفجروا غضباً، وسمع ذو نواس هذا النبأ، فارتحل إلى نجران، وحاصر القلعة وفتحها في أقرب وقت، فلما فتحت البلاد أشعل ناراً في حفائر، ودعا كل واحد من النصارى، فمن أنكر قذفه فيها، هذا ما أشار إليه القرآن الكريم في سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة البروج: ٤-٩]، لم يذكر القرآن أنه أحرق جميع سكان نجران، وهذا هو الصحيح لأن النبيﷺ قد حضر عنده فيما بعد راهبان من نجران للمجادلة، أو يمكن أن عمرت نجران من جديد بعد الخراب والدمار[1].

أصحاب الأيكة ومدين:

ورد في القرآن ذكر قوم باسم «أصحاب الأيكة»، وذلك في أربع سور، وقد تناولهم القرآن في سورة الشعراء بالتفصيل، معنى «الأيكة» لغةً: الغابة، وكان شعيب عليه السلام نبيَّ هؤلاء القوم

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج ١/ ص: ٢٤٤ — ٢٤٥.
وقد ورد في صحيح مسلم حديث يشرح هذه القصة (كتاب الزهد: ٣٠٠٥).

أيضاً، فخيل إلى بعض المفسرين أن مدين وأصحاب الأيكة اسمان لقوم، فهم يزعمون أن كانت غابة قريباً من مدين، فكان قوم مدين ينزل هنا أحياناً، فسمي هؤلاء بأصحاب الأيكة كذلك [١].

وكتب ياقوت الحموي: الأيكة، قيل: هي تبوك غزاها النبي ﷺ آخر غزواته، وأهل تبوك يقولون ذلك، ويعرفونه، ويقولون: إن شعيب عليه السلام أرسل إلى أهل تبوك، ولم أجد هذا في كتب التفسير، وإن المراد بأصحاب الأيكة أهل مدين، قلت: مدين وتبوك متجاورتان [٢].

إن دراسة آيات القرآن تكشف أن مدين والأيكة قريتان مختلفتان، لأن حوار سكانهما وأساليب خطابهما ثم هلاكهما والعذاب الذي أنزل عليهما لمختلف جداً، نظراً إلى هذا من يمكن له أن يقول: إنهما اسمان لقوم؟ قد اتضح أن كانت بين مدين والأيكة علاقة، وكان زمن عمرانهما واحداً، بحيث أُرسل إليهما رسول، وقد أخبر القرآن بأمراض سكانهما أنها كانت متماثلةً، وقد سبق فيما مضى أن مدين كان من بطن قطورا زوج إبراهيم عليه السلام، وكان له إخوة، جاء في التوراة ذكر اثنين منهم: مدين وددان، وكان بنو مدين و ددان ساكنين على طريق تجاري معروف، يمر على ساحل البحر الأحمر من الحجاز واليمن ومدين خروجاً من جانب خليج العقبة وقطعاً تيماء وما والاها من المناطق، وكان ذلك طريق قوافل الهند واليمن ومصر والشام

---

(١) جاء في معالم التنزيل للبغوي أن أصحاب الأيكة هم قوم شعيب، كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، وكانت عامتهم شجر الدوم.

(٢) معجم البلدان، مادة: أيك.

قديماً، فعلى هذا الطريق ما بين الحجاز والشام وادي القرى، ومسكن ثمود، ومدين وسدوم وتبوك وتيماء والرقيم، هذا طبقاً لتصريحات التوراة، وقد جاء في القرآن: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ، فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨-٧٩] (١).

أصحاب الحجر:

أصحاب الحجر من ذرية إسماعيل عليه السلام، بحيث إن ابنه الحادي عشر نبايوط، وكان العرب يسمون نبايوط بـ «نابت»، وقد رُوي عنهم أن سدانة البيت قد انتقلت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أكبر ابنه نابت، فثبت أن نبايوط أقام في الحجاز، فوفقاً لبعض الوثائق التاريخية يظهر أن أهل نبايوط كانوا في العراق، لكن الحقيقة أنهم قد انتشروا نظراً إلى حياتهم البدوية منتقلاً في طلب الرزق من الحجاز إلى العراق، وقد وجد اسم نبايوط كتابةً في القرن السابع قبل المسيح، يقول يوسيفوس اليهودي، وهو من رجالات القرن الأول المسيحي: كان أبناء إسماعيل كلهم يحكمون من الحجاز إلى العراق، فسميت هذه المنطقة بالنباطية.

إن حكومة أنباط تكونت من ثلاثة بلدان: ثمود ومدين وأدوم، فكانت لها عاصمتان: الرقيم التي كانت على حدود الشام، والحجر التي كانت داخل العرب، وقد خاطب القرآن أهل الحجر رئيساً لهذه المنطقة: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٤].

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٧-٢١.

قد اتفق جميع المفسرين على أن المراد بأصحاب الحجر قوم ثمود، ولا شك أن هذه المدينة كانت في زمن عاصمةً لثمود، لكن أسلوب خطاب القرآن يدل على أن المراد بأصحاب الحجر قوم عاشوا وسكنوا بعد قوم ثمود، لقد ذكر القرآن اسم ثمود في ٢٦/ موضعاً، وسمّاهم باسمهم، ولم يذكرهم بأصحاب الحجر، والجدير بالذكر أن القرآن كلما ذكر بناء ثمود ونحتهم الأحجار أخبر بالموضع الذي كانوا يشيدون فيه المباني الجميلة... وهو وادي القرى، يقول الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، فذكر هنا بناءهم المباني ونحتهم الأحجار، وأثبت من إشارة النص أن عمليتهم هذه كانت في الحجر، فآثار هؤلاء القوم حتى الآن موجودة، وقد كتب على لوحاتهم اسم مؤسسهم «نبطيو»، فثبت بكل وضوح أن أصحاب الحجر هم الأنباط، وقد ورد في الجامع الصحيح للإمام البخاري وكتب الأحاديث والسير أن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجر في سفره إلى تبوك، فلم يسم ثمود، بل قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم [١]، وقد جاء في حديث بزيادة كلمات: إن الناس مع رسول الله ﷺ نزلوا أرض ثمود الحجر، فاتضح أن الحجر كانت مسكناً لثمود أيضاً، وهذا ما لا ننكره [٢].

أصحاب الرس:

كان لإسماعيل اثنا عشر ولداً، فإن قيدماه كان ابنه العاشر،

---

(١) غزوة تبوك، وتفسير الحجر.

(٢) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٤٥-٦٠ بتلخيص.

وإن ما جاء في القرآن من ذكر «أصحاب الرس» مرتين في عداد قوم مجرمين: ﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾ [سورة الفرقان: ٣٨]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [سورة ق: ١٢]، المراد منهم آل قيدماه، وقد ذكر الإمام الطبري ثلاثة أقوال للمفسرين الباحثين، يقول: واختلف أهل التأويل في أصحاب الرس، ١ـ فقال بعضهم: أصحاب الرس قوم رسوا نبيهم في بئر، ٢ـ عن عكرمة قال: كان الرس بئراً رسوا فيها نبيهم، ٣ ـ وقال آخرون: الرس قرية من اليمامة، يقال لها «فلج»، ودليلهم قول قتادة: الرس قرية اليمامة، يقال لها الفلج، ٤ ـ وقال أبو جعفر الطبري: الرس في كلام العرب: كل محفور مثل البئر والقبر، يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة، وذكرهم الله تعالى في كتابه إلا أصحاب الأخدود، ٥ ـ وقال المؤرخ المسعودي مؤكداً: «أصحاب الرس من أولاد إسماعيل، وكانوا في قبيلتين: إحداهما قيدمان، وأخراهما يامين: وقيل: رعويل، وكانتا في اليمن»، فإن قيدمان هي صورة محرفة لقيدماه [١].

أصحاب الفيل:

وفقاً لأقوال العرب أن أرباط حكم اليمن عشرين سنةً، ثار عليه خلال هذه المدة المعسكر الحبشي، فصار أبرهة الأشرم سيد العسكر الثائر، إن كلمة «أبرهة» صيغة حبشية لكلمة إبراهيم، وكان مقطوع الأنف، فسمي الأشرم، ولما قتل أرباط في هذه الثورة استولى أبرهة على حكومة اليمن، لم يعرف بالضبط بداية حكومة

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٤٤.

أبرهة، إلا أن كُتب على اللوحات التاريخية عام ٥٤٣م.

إن أهم الوقائع في زمن أبرهة هو الغارة على مكة، وقد أتى بأفياله لإنجاز هذه المهمة، فسمَّاها العرب بوقعة «الفيل»، وسمي هذا العام عام الفيل، وقد وُلد النبي ﷺ بعد أربعين يوماً من هذه الغارة، قال مؤرخو العرب: إن هدف أبرهة من وراء هذا الهجوم هدم الكعبة المقدسة، لكن الكُتاب الأوربيين يقولون: إن هذا الحادث لم يقع مستقلاً، بل حدث ضمن المهمة التي كانت لمساعدة أهل الروم في الحرب الناشبة بين الروم وفارس، مزوراً من خلال صحراء الحجاز.

وقد أثبتت الدراسات التاريخية أن أبرهة بنى كنيسة عظيمة في صنعاء لنشر الديانة المسيحية، وسماها الكعبة، وكان يريد أن يتخذها الناس قبلةً في الصلوات، ومعلوم أن الكعبة لا يحترمها العرب فقط، بل إن أتباع جميع الديانات ينظرون إليها نظرة إجلال وتقديس[1]، فثار غضب العرب، حتى ذهب واحد منهم إلى الكنسية خفيةً وقعد فيها، فلما علمه أبرهة بذلك انفجر غضباً، وخرج بجحفل لجب لهدم الكعبة المقدسة، واجهته في الطريق قبائل متعددة، لكنها فشلت أمام هذه القوة المكثفة، ولما وصل هذا الجيش قريباً من مكة أرسل الله أفواجاً من الطير تحمل بمناقيرها ومخالبها أحجاراً، وترمي بها جند أبرهة، فتنشق بها أجساد الرجال، وجعلت جوارحها تتعفن، وتأسن وترجع الأفيال إلى الوراء صارخة، انهزم الجيش في دقائق، ولحق

(١) يستند هذا القول إلى شيئين: ١- إن الكعبة المقدسة كانت فيها صور لكل من إبراهيم وعيسى ومريم وأصنام قبائل العرب. ٢- إن أشعار الشعراء النصارى في الزمن الجاهلي لحافلة بذكر قدسية مشاعر الكعبة وعظمة أركان الحج.

بهم مرض الجدري، إن هذا المرض عرفه العرب لأول مرة آنذاك، وقال مؤرخو أوربا: إن أبرهة خرج لمساعدة أهل الروم فأصيب هو وجنوده بمرض الجدري فهلك.

ذكر القرآن الكريم هذا الحادث العظيم باسم سورة الفيل، فقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل: ١-٥]، إن تفسير هذه الآيات عند جمهور المفسرين هو ما يطابق الرواية العامة، إن إمطار الطير الأحجار وإهلاكها جنداً بعد جند عجيب، لكنه ليس بمحال، إن أوثق دليل على صحة هذه القصة أن هذه السورة نزلت بعد ٥٠/عاماً من هذا الحادث، يمكن أن يكون هناك رجال كثير، ممن رأوا هذا الحادث بعيونهم، ورجال سمعوا عنه من آبائهم وأسلافهم، لكنهم لم يكذبوا به، أما ما ورد في تفسير سر سيد أحمد خان مؤسس جامعة علي جراه (الهند) لهذه السورة (١)، الذي أراد به رفع غرابة هذه القصة فهو باطل ومملوء بأخطاء كثيرة، وهو أن كلمة «طير» لم تستعمل قط عند العرب، في معنى التشاؤم والمصيبة كناية عنه، بل كلمة «طائر» تستعمل في معنى التشاؤم وفقاً لمعتقدات العرب، ولم تأت كلمة «طير» في التشاؤم مع كلمة «إرسال»، وأما ما قال مؤلف «نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان» في تفسير هذه السورة فهو يمكن أن يكون صحيحاً إلى حد (٢).

---

(١) أنكر سر سيد أحمد خان هذه القصة بكاملها، وقال: إن الطير هنا في معنى التشاؤم عند العرب.

(٢) فسر العلامة عبد الحميد الفراهي (١٨٦٢ — ١٩٣٠م) هذه السورة، وقال فيما قال: إن الله تعالى أرسل طيوراً لتطهير ناحية مكة من جيف القتلى، وإن "ترميهم" ليس

آل إبراهيم:

كانت لإبراهيم عليه السلام ثلاث زوجات : سارة، وهاجر، وقطورا، فولد إسحاق من بطن سارة، وكان من ذريته ولدان: يعقوب وعيسو، المعروف بـ «أدوم»، الذي توطن جزيرة العرب، وولد من بطن قطورا زمسران، بقشان، مدان، مديان، يشبوق وشوح، ومن بطن هاجر إسماعيل، فكان من بني قطورا أهل مدين وأهل ددان (أصحاب الأيكة)، ومن بني سارة أدوم (سيدنا أيوب وقومه)، ومن بني هاجر إسماعيل ثم أنباط (أصحاب الحجر) قيدار وقريش[1].

تبع:

قال علماء الأنساب: كان لسبأ ولدان: حمير وكهلان، فإن حميراً كان يحكم اليمن بكاملها، وكانت ضواحي اليمن وجدودها تحت سيطرة كهلان، وقد توزعت قبيلة حمير إلى طبقتين: أولاهما تلقب بلقب «ملك سبأ وذوريدان»، وكان زمنها من القرن الأول ما قبل المسيح إلى أواخر القرن الثالث، وأخرى الطبقتين تُعرف في التاريخ بـ «ملك سبا وريدان وحضر موت» وقد عاصرت القرن الثالث إلى أواخر القرن الخامس ما قبل المسيح، وقد قال حمزة الأصفهاني: وأول من ملك أولاد قحطان حمير بن سبأ، فبقي مليكاً، حتى مات هرماً، وتوارث ولده الملك بعده، فلم يعدهم

الضمير فيها للطير، بل للخطاب: أنت، راجع للتفصيل: أرض القرآن ج/١، ص: ٢٥٥ — ٢٥٩.

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١.

الملك حتى مضت قرون، وصار الملك إلى الحارث، وهو تبع الأول، فمن ملك اليمن قبل الرائش ملكان: ملك بسبأ، وملك بحضر موت، فكان لا يجتمع اليمانيون كلهم عليهم إلى أن ملك الرائش فاجتمعوا عليه، وتبعوه فسمي تبعاً[1].

فاتضح أن الطبقة الثانية لملوك حمير الذين سموا بـ «ملك سبا وريدان وحضر موت» هي تبع، وجمعه: تبابعة، يمكن أن كلمة «تبع» في مدلول «متبوع»، لكن نظراً إلى الدراسات الحديثة عُرف أن هذه الكلمة حبشية، معناها: القاهر، القادر، صاحب القوة، وقد ورد اسم تبع في عهد ملوك معين وسبأ في اللوحات قبل ألف عام ما قبل المسيح: تبع كرب بن تبع إيل، وتبع شرحبيل ملك سبأ، فانكشف أن هذه الكلمة استعملت في المعنى المذكور أعلاه أصلاً، وهي سبائية وحميرية.

ذكر القرآن قوم تبع مرتين، قال الله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [سورة ق: ١٢ـ١٤] وقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة الدخان: ٣٧]، فالآية الأولى تناولت قوم تبع بذكرهم في عداد قوم جبارين، والآية الثانية وجهت الخطاب إلى قريش: بأي قوة تفتخر؟ أفليست قوم تبع والذين من قبلهم أكثرها قوةً وسلطاناً، انظروا فكيف كان عاقبة المجرمين؟

---

(١) تاريخ حمزة الأصفهاني، ص/ ١٠٨.

قال المؤرخون وعامة المفسرين: إن هناك ثلاثة تبابعة؛ تبع الأكبر، تبع الأوسط، تبع الأصغر، فكان اسم تبع الأكبر الحارث الرائش، واسم تبع الأوسط أبا كرب، وتبع الأصغر تبع بن حسان [1].

ثمود:

«ثمد» معناه في العربية: الماء القليل، لكن لا علاقة له بقوم ثمود، تأتي في اللغة العبرية كلمة «تاميد»، معناها الدائم، الخالد، إن «ث» في العربية تماثل «ت» في العبرية، فمعنى ثمود: الخالد، الدائم، إن قوم ثمود كانوا في وادي القرى، وقد ملكوا جهتي العرب الغربية والشمالية مقابل قوم عاد، الذين حكموا على جانبي العرب الجنوبي والشرقي، وقد كانت منطقة ثمود عامرةً بمستوطنات صغيرة، فسميت بوادي القرى، وكانت عاصمتها الحجر على طريق تجاري من الحجاز إلى الشام، وتسمَّى اليوم بمداين صالح، وقد جعل الله ثمود خليفةً لعاد كما قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤]، لم يذكر القرآن أحوالهم السياسية إلا أن قال: إن ثمود كانوا أقوياء في شمال العرب، ولهم براعة تامة في أعمال اليد وفن الهندسة والعمران، كانت حرفتهم الخاصة بهم بناء القصور من الأحجار واتخاذ البيوت في الجبال، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [سورة الفجر: ٩] ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ [سورة الأعراف: ٧٤] ﴿وَتَنْحِتُونَ

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ٢٢٦ – ٢٤٣.

مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٤٩] .

كان صالح عليه السلام مرسلاً إلى قوم ثمود، وقد جاء في التوراة أن كان ابن لأرفخشد، أخ إرم، يعرف بصالح، وكان أباً للعرب اليقطانيين وأولاد إبراهيم[١] .

سبأ:

سبأ فرع مشهور للأمم القحطانية، جاء في التوراة أن «شبا» كان اسماً لجد قبيلة، ووفقاً لروايات العرب أن كان اسم جد تلك القبيلة عمر أو عبد شمس، ويلقب بـ «سبا»، وقد وافق على هذا أكثر كتاب العصر الحديث، أما اللغويون العرب فإنهم يقولون: إن «سبأ» مشتقة من «السبي»، معناها: أسر، ذلك لأن عبد شمس كان أكبر الفاتحين، فاستعبد كثيراً من الرجال والنساء، وتثبت الدراسات الحديثة أن سبأ اشتقت من مادة، معناها: التجارة، وقد وردت هذه الكلمة في اللوحات عامة في معنى الرحلة التجارية، واستعملت في اللغة العربية حتى الآن بمعنى بيع الخمر واشترائها والسفر لها، وقد كان قوم سبأ تجاراً، فعُرفوا بهذا اللقب .

ذكر المؤرخون وأهل الأنساب أن عبد شمس سبأ كان حفيداً لقحطان، وكانت مدة حكومته أربع مأة سنة وأربعاً وثمانين سنة، وقد كانت بداية عصر سبأ عام ١١٠٠ق م، إن موطن قوم سبأ كان الجانب الشرقي لليمن في جنوب العرب، وكانت عاصمتهم مدينة مأرب، لكن اتسعت دائرتهم في المغرب إلى حضر موت، وكان قوم سبأ تجاراً،

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ١٥٥ ـ ١٥٧.

فاستوطنوا الطرق التجارية، وكانت حكومتهم في شمال العرب وإفريقيا كذلك، يقع في جنوب مدينة مأرب جبلان يميناً وشمالاً، يعرفان بـ «جبلي أبلق»، وبينهما وادي الأذينة، فالماء الذي يأتي من الجبلين ومن هنا وهناك يتحول في صورة نهر، وقد أقام قوم سبأ سداً بين الجبلين عام ٨٠٠ق م، وهو مشهور بسد مأرب، ففي هذا السد جعلت نوافذ، تفتح حسب الضرورة لسقي الزروع فتكونت جنتان في مأتي ميل مربع، توجد فيهما صنوف من الفواكه والثمار الطيبة، وقد أشار القرآن في سورة سبأ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ: ١٥]، فلما أعرض هؤلاء عن أحكام الله عز وجل أرسل الله عليهم فيضاناً عظيماً أهلك الحرث والنسل ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦-١٧] وردت كلمة سبأ في القرآن مرتين، مرة في الآية المذكورة أعلاه، وأخرى ضمن قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، كانت ديانة قوم سبأ عبادة الشمس، وقد كان اسم مؤسسهم عبد شمس، معناه عابد الشمس، واتضح من الاكتشافات الأثرية أن الشمس كانت من آلهتهم المتعددة، وكان سكان جنوب العرب يعبدونها، يقول القرآن: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤][1].

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ١٩٣ — ٢٢٥ بتلخيص.

عاد:

«عاد» كلمة عبرية، معناها: الرفعة والشهرة، وهي مترادفة لكلمتي «إرم» و «شم»، وأخبر مؤرخو العرب بأن عاد كان ابن عوض بن إرم بن سام، فتقرر أن زمنه/ ٣٠٠٠ق م، والأمم السامية الأولى التي كانت تشتمل على خمسة أبناء لسام ابن نوح تعرف بعاد أيضاً، وقد صدق القرآن هذه الدراسة التاريخية قائلاً: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾ [سورة النجم: ٥٠] وكان مسكنهم في اليمن، من سواحل خليج وفارس إلى حدود العراق، قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ، إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ [سورة الأحقاف: ٢١]، وكان أهلها يسافرون إلى البلدان الشاسعة، فصارت أسفارهم يضرب بها المثل، قال محزر بن معكبر الضبي الشاعر الجاهلي:

حتى انتهى لمياه الجوف ظاهره ... ما لم تر قبلهم عاد ولا إرم

اتسع نطاق حكومة عاد أو الأمم السامية، وكانت بابل ومصر وأكثر المناطق في آسيا وإفريقيا، تحت سيطرتها، وكانت عاد مؤسسة لأقدم الحضارات، فتفرعت منها الحكومات العظيمة المترامية الأطراف، ولم يكن هناك قوم أعظم عبرةً للعرب، فتناول القرآن ذكرهم عدة مرات.

وقد مرَّ أن قوم عاد كانوا من ذرية إرم بن سام، أيد القرآن هذه الدراسة قائلاً: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ﴾ [سورة الفجر: ٦-٩]، شرح المفسرون القصاص أن المراد بـ «إرم» بستان فريد من نوعه مزخرف من آجر

الذهب والفضة، ومزركش من اللآلي واليواقيت، بناها شداد ملك عاد، عوضاً عن الجنة في الآخرة، لكن هؤلاء «العقلانيين» لم يفهموا أن ماذا يكون مَحَلّ عاد وإرم في الإعراب؟ وإنهما بدل ومبدل منه طبقاً للقراءة المشهورة، لعلهم يعتبرونهما جملة الإضافة، فهذا ما يضاد القراءة المتواترة ونظم القرآن.

بعث الله تعالى إلى عاد هوداً عليه السلام، قال القرآن: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥]، وقد أنزل الله عليهم عذاباً في الأحقاف بريح صرصر عاتية، وخارج الأحقاف بالسيوف المصلتة، والأحقاف هي صحراء عظيمة، تمتد إلى مئات من الأميال، تعرف اليوم بالربع الخالي.

وقد قيل: إن عاد كانت قامتهم طويلةً مثل الأعمدة، بالاستدلال بقول الله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [سورة الفجر: ٧]، رغم أن المراد بها هنا: ذات المباني الشامخة، كما أن المراد في قول الله: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [سورة الأعراف: ٦٩] القوة والسيطرة، وكذلك ورد في ذكر قصة طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧] أي زاده قوةً لا قامةً طويلةً وجسماً عريضاً.

إن كثيراً من المفسرين ظنوا أن عاد لما أنزل الله عليهم العذاب لم يبق أحد منهم في الدنيا، نظراً إلى بعض الآيات في القرآن الكريم: ﴿فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٨] ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٧-٨] الحقيقة أن هاتين الآيتين تكشفان حالة

عاد إبان نزول القرآن، أما الحال الذي جاء ذكره في القرآن بعد إنزال العذاب عليهم مباشرة فهو ما يتحدث عنه القرآن قائلاً: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ [سورة الأعراف: ٧٢] ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [سورة هود: ٥٨] نصت الآية الآتية المذكورة في سورة النجم على هذه الأغلوطة أن الهالكين كانوا عاد الأولى، وأما المتخلصون من العذاب فهم عاد الثانية، يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾ [سورة النجم: ٥٠][1].

قريش:

كان في نسب النبي ﷺ فهر بن مالك بن نضر بن كنانة، وكان لقب فهر قريشاً، فاعتبرته أبناء قريش اسمه الأسري، وردت كلمة قريش في اللغة العربية بعدة معان، ومن مشتقاتها تقريش وتقرش، معناه الكسب وحصول الرزق، وليعلم أن حرفة هذه الذرية كانت تجارةً، فسميت بقريش، وقيل: قريش اسم لحيوان بحري وحشي يتصيد الحيوانات البحرية الأخرى، فاختار فهر بن مالك لقب قريش، إظهاراً لقوته واستيلائه، وهذا ما اختاره حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قبيلة قريش قد تفرعت إلى عشر أسر مختلفة: هاشم، وأمية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد، وتميم، ومخزوم، وعدي، وجمح وسهم، ثم انقسمت هذه القبائل بالنظر إلى الحياة في جزيرة العرب إلى جماعتين مختلفتين: قريش الظواهر، قريش البطائح، إن قريش

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ١١٠-١٤٧.

الظواهر كانت تسكن في بوادي مكة كالقبائل الأخرى متنقلة من مكان إلى مكان آخر، وإن قريش البطائح كانت متعودة على الحياة المدنية، ذاك أن حرفتهم الخاصة تجارة، وكانوا يسافرون إلى ضواحي البلدان المتمدنة، فسكنوا في مكة بصورة عمرانية مستقلة، هناك فهرس لقريش الظواهر، وهو: بنو محارب، تميم الأدرم، خزيمة بن لؤي، سعد بن لؤي، جثم بن لؤي، بنو حارث، أما قريش البطائح: فبنو قصي بن كلاب، وبنو كعب بن لؤي، قال ابن خلدون: إن لجميع بطون قريش قريش الظواهر سوى بني قصي وبني كعب بن لؤي، فثبت أن قصي بن كلاب كان مؤسِّساً لعظمة قريش وهيمنتها السياسية، ولم يكن قبل قصي نظام قبلي، وكانت مكة مركز حجيجهم، فكانت هذه القبائل تنتقل من أرض إلى أرض أخرى قريبة منها، وأرخ المؤرخون زمن فهر عام ٣٢٥م، وزمن قصي بن كلاب عام ٤٧٥م.

أما عصر قصي فقد نقل في تاريخ حمزة الأصفهاني عن القاضي وكيع: كان قصي بن كلاب في زمن فيروز بن يزدجرد[1]، وقال المؤرخ القديم أبو طاهر المقدسي في كتاب البدو والتاريخ: قصي أول من أصاب ملكاً من العرب من قريش من بعد ولد إسماعيل في زمن المنذر بن النعمان على الحيرة، والملك بهرام جور في الفرس فقطع مكة رباعاً وبنى بها دار الندوة[2]، ذكر المؤرخ حمزة زمن قصي في عصر يزد جرد، واعتبره المقدسي معاصراً للمنذر بن النعمان وبهرام جور، فليس فيه خلاف أن زمن بهرام جور من ٤٢٠ إلى ٤٣٨ ثم

(١) تاريخ حمزة الأصفهاني ص: ١١٧.
(٢) كتاب البدو والتاريخ ص: ١٢٦.

جور، فليس فيه خلاف أن زمن بهرام جور من ٤٢٠ إلى ٤٣٨ ثم يبتدئ عصر يزد جرد الثاني في ٤٥٧م، وقد حكم إلى ٤٣٢، ثم يأتي عصر فيروز بن يزدجرد في ٤٨٤هـ، ويمتد عصر يزد جرد من ٤٣٢ إلى ٤٧٣هـ، فليعلم أن حمزة اعتبر بداية عهده، والمقدسي نهاية عهده، ويتقوى هذا الكلام من معاصرة المنذر بن النعمان، فعصر قصي أواسط القرن الخامس المسيحي.

تربى قصي في حدود الشام، وكان العرب أهل البدو آنذاك، فكان قصي أول من تعلّم حضارة الحياة، ونظام الحكومة وتأسيس أصول الوطنية، ثم جاء إلى الحجاز وجمع بطون قريش وذرياتها وأسس فيها دولة جمهورية صغيرة.

هذه الدولة الصغيرة كانت مشتملة على أربعة عشر منصباً، وكان يرشح لها عشرة أهل المناصب، وكلهم من قريش، فقد كانت هناك مناصب متعددة: دينية وقضائية وحربية.

الوظائف الدينية:

١	السقاية	توفير مواد غذائية للحجيج	بنو هاشم	عباس بن عبد المطلب
٢	العمارة	بناء الكعبة	" " " "	" " " " " " "
٣	الرفادة	إعانة مالية للحجيج	بنو نوفل	حارث بن عامر
٤	السدانة	حراسة الكعبة وحجابتها	بنو عبد الدار	عثمان بن طلحة
٥	أيسار	الاستخارة من الأصنام	بنو جمح	صفوان
٦	الأموال المحجرة	نظام نذر الأصنام وضياعها	بنو سهم	حارث بن قيس

المسئوليات القضائية:

٧	الندوة	نظام مجلس العدل والشورى	بنو عبد الدار	عثمان بن طلحة
٨	الشورى	الاستشارة في الأمور المهمة	بنو أسد	يزيد بن زمعة
٩	أشناق	دفع الدية أو الغرم	بنو تميم	أبو بكر الصديق
١٠	الحكومة	فصل الأقضية	بنو سهم	الحارث بن قيس

الواجبات الحربية:

١١	العقاب	حمل الراية القومية	بنو أمية	أبو سفيان
١٢	القبة	نظام المعسكرة	بنو مخزوم	خالد بن الوليد
١٣	الأعنة	قيادة كتائب الخيول	بنو مخزوم	خالد بن الوليد
١٤	السفارة	نظام السفر	بنو عدي	عمر بن خطاب

كان إيوان هذه الحكومة يُعرف بـ «دار الندوة»، وكان مؤسسها قصي بن كلاب، فكانت الأقضية الاجتماعية والتجارية والقضائية والسياسية تصدر قريش بالاجتماع في دار الندوة، حتى إن حفلات الزواج وتقاليد البلوغ وذهاب القوافل وإيابها هذا أو ما عدا ذلك يجري في دار الندوة[1] وقد كانت مؤامرة قريش لقتل النبي ﷺ أيضاً في هذا المبنى التاريخي.

كما مرَّ من قبل أن العرب كانوا متوزعين في قبائل، تسكن بعض القبائل في منطقة يبنى فيها بنيانها ثم تشكل هذه المباني صورة

(١) طبقات ابن سعد ج/١، ص: ٣٩.

عمران مستقل، تعرف هذه القبائل بالقبائل الحضرية، فإن مدن العرب الكبرى مثل مكة ويثرب، والطائف وصنعاء واليمامة وعدن وغيرها هي موطنها، وأكثرها تعيش حياةً بدويةً متنقلةً من مكان إلى مكان آخر، وتسكن في الخيم، كلما رأت مرعى لمواشيهم حلت فيها، ثم ارتحلت إلى مكان آخر، ففي هؤلاء كان المجرمون واللصوص أيضاً.

كانت قريش حضريةً، ومكة كانت موطنها، فليس معولها في الرزق النهب والسلب لأموال الآخرين، بل كان أفرادها يتجرون، وكانوا يسافرون من جزيرة العرب إلى الحبشة والعراق، وإيران، وسوريا، وآسيا الوسطى، وعند ما يأتي إليهم التجار الأجانب، فكانوا يأخذون منهم العشر والخراج [1].

إن القرآن الكريم وإن ورد فيه ذكر قريش ورجالها غير مرة إشارةً أو إيماءاً، لكن جاء ذكرها مرةً فقط بكل صراحة، وذلك في سورة إيلاف التي تعرف بـ «سورة قريش».

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش: ١-٤].

ذكر القرآن ثلاثة رجال من قريش ومواليها، أحدهم محمد ﷺ، وثانيهم زيد بن حارثة، وثالثهم أبو لهب، أما الأول، فإن الله عز وجل قد خاطب محمداً ﷺ باسمه، وقد ورد في القرآن أربع مرات.

---

(١) طبقات ابن سعد ج/١، ص: ذكر قريش.

١. ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]، هذه الآية نزلت بمناسبة أن الناس كانوا ينادون زيد بن حارثة ولداً لمحمد، فأنكر الله عليهم بهذه الآية.

٢. ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

٣. ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ [سورة محمد: ٣].

٤. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤].

أما ثاني قريش فهو زيد بن حارثة، ما كان قريشي الأهل والنسل، بل كان من قبيلة كلب، حينما كان صبياً اختطفه الأعداء وباعوه في سوق عكاظ عبداً، فاشترى الحكيم بن حزام خال أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ووهبه لبنت أخته خديجة رضي الله عنها للخدمة، فأهدته خديجة إلى النبي ﷺ، فأعتقه النبي ﷺ وربَّاه تربيةً جيدةً، وقد بلغ حب النبي ﷺ به إلى أن أصبح الناس يعرفونه بزيد بن محمد، فنزلت هذه الآية: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾، ثم اشتهر بزيد بن حارثة.

كان زيد بن حارثة سعيداً بحيث ورد ذكره في القرآن بالنسبة إلى مأة ألف من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، كان في تربية النبي ﷺ، فكان عضواً من أسرته، ثم زوجه النبي ﷺ من بنت عمته زينب، لكن لم يجر الرفاء والأنس بين الزوجين، فطلقها زيد، هذا ما أشار إليه القرآن: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

وثالث قريش كان أبو لهب عم النبي ﷺ، وأحد أبناء عبد المطلب، فلم يؤمن بمحمد ولم يشهد بنبوته، فأنزل الله عز وجل عليه

ويلاً وخسراناً إلى يوم القيامة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [سورة المسد: ١-٥].

كان اسم أبي لهب عبد العزى، وكنيته أبا لهب، إن معنى أبي لهب «ذو شعلة ولهب»، ظن بعض الناس أنه عادى المسلمين طول حياته، فصار لقبه ذا لهب أي نار، الحقيقة أن ذا لهب في اللغة العربية يستعمل في معنى حسن المنظر وبهي الطلعة، وقد كان جميلاً فأطلقت قريش عليه لقب أبي لهب قبل مجئ الإسلام، غير أن كفره وإشراكه بالله قد أيد المعنى الآخر لاسمه فيما بعد، كان سيد قريش وعدواً لدوداً للإسلام، مات في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر.

إن القرآن ما عني في هذه السورة هلاك ذاته فقط، بل أراده استئصال شأفته القومية، وقد تحقق ذلك في غزوة بدر، كما أن كل نبي قاوم في زمنه طاغيةً وشريراً، وكان ذلك الطاغية سبباً لإضلال الناس وإغوائهم، مثل نمرود في زمن إبراهيم عليه السلام، وفرعون في زمن موسى عليه السلام، كذلك كان فرعون الأمة المحمدية أبا لهب، فذكره القرآن خاصة غير الكفار الآخرين[1].

وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا [الأوس والخزرج]:

الأوس والخزرج قبيلتان مشهورتان في العرب، تسكنان في يثرب، فلما أشرقت شمس الإسلام كانتا من أول من تشرفوا بإشراقاتها الساطعة، فلقبوا بالأنصار، وذكر المؤرخون أن الأنصار

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٧٨ — ٨٨.

كانوا من ذرية قحطان وكهلان، لكنني أقول: إنهم من ولد إسماعيل، يدل على هذا الأحاديث النبوية فضلاً عن اتحاد اللغة والديانة، والتقاليد الخلقية، هناك عدة دلائل، منها:

ما ورد في الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله، أن أبا هريرة رضي الله عنه ذكر أمام الأنصار مخاطباً إياهم قصة هاجر، وقال: تلك أمكم يا بني ماء السماء (١) ؟

اتفق جميع علماء الأنساب على أن الأوس والخزرج متماثلتان في النسب لآل غسان، وقد ثبت أن آل غسان كانوا من نابت بن إسماعيل عليه السلام، فكذلك تكون الأوس والخزرج من ذرية إسماعيل عليه السلام.

كانت للأوس والخزرج أرحام مع قريش، وكانتا تزوران باستمرار مكة المكرمة في موسم الحج.

إن المنذر بن حرام جد حسان بن ثابت كان من قبيلة الخزرج، يذكر نسبه إلى نابت بن إسماعيل مفتخراً ومعتزاً به:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجداً مؤثلاً

موارث من أبناء نبت بن مالك ونبت بن إسماعيل ما إن تحولاً

كان لأوس ولد اسمه مالك، ثم تفرعت ذريته، وتعددت بطونها، فمن أهم الأسماء: عمرو بن مالك، عوف بن مالك، سالم بن مالك (بنو واقف)، سالم بن مالك (بنو سعد بن خيثمة)، عبد الله بن مالك، وكذلك الخزرج كانت له عدة بطون: جشم بن خزرج،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح باب اتخاذ السراري رقم الحديث: ٤٧٩٦.

عوف بن خزرج، حارث بن خزرج، (ذرية جد لأم النبي ﷺ)، وكعب بن الخزرج.

كانت الأوس والخزرج في يثرب بين شتى قبائل اليهود: بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع، وكان اليهود أكثر منهم مالاً وثروةً، فتأثرت هاتان القبيلتان بهم إلى مدة، ثم سرت إليهما فكرتهم الدينية، بحيث إن أفرادهما كانوا ينذرون أن ولدهم لو كان حياً يرزق لجعلوه يهودياً، لكن سرعان ما انقلب الأمر ظهراً لبطن، ذلك أن اليهود صاروا يستغلونهم، فالتجأوا إلى أن يطلبوا المساعدة من آل غسان، الذين كانوا من ذريتهم، فجاء الغساسنة وقصموا قوة اليهود، وحينما تخلصت هاتان القبيلتان من ظلم اليهود وجورهم، بدأتا تتحاربان فيما بينهما، ومن أهم أيامهم يوم الربيع، يوم البقيع، حرب القارع، يوم بعاث، ثم تصالحتا واتفقتا على أن تجعلا عبد الله بن أبي بن سلول رئيساً لهم، فبينما هما كذلك إذ طلعت شمس الإسلام واستنار منها اثنا عشر رجلاً من يثرب في موسم الحج، وآمنوا إيماناً صادقاً، ثم آمن سبعون رجلاً من الأوس والخزرج في العام المقبل، حتى تنورت يثرب بنور الإيمان والإسلام، وهاجر إليها المسلمون ونبي الرحمة ﷺ، فوفر الأنصار (الأوس والخزرج) للمسلمين المهاجرين جميع تسهيلات الحياة، وقد ذكره الله تعالى في القرآن قائلاً: ﴿وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٧٤][1]

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٦٩.

أمكنة القرآن

إمام مبين:

إن الطريق الرئيسي الذي مهده العرب للتجارة من اليمن إلى الشام مروراً بالحجاز سماه القرآن بـ «إمام مبين»، وقد كانت مستوطنات العرب الكبرى على سماطيه، وإن قريتي أصحاب الأيكة والمؤتفكات أي قرى لوط عليه السلام التي تقرب من البحر الميت كانتا على هذا الطريق، يقول القرآن: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، وورد في القوافل التجارية لسبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨] أشير في هذه الآية إلى المستوطنات نفسها، وما جاء في قصة يوسف من مرور قافلة تجارية كان بهذا الطريق [١].

الكعبة:

الكعبة هي ظل العرش الإلهي، ومكان رحمة الله وبركاته عند العلماء المسلمين، وكانت معبد الله تعالى في هذه الدنيا منذ الأزل، ومركز عبادته، زارها كبار الأنبياء والمرسلين، وكانت قبلة لعبادة الله قبل بيت المقدس كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وإن معنى الكعبة لغةً: بيت مربع الجوانب، ذلك لأن هذا البيت بني مربعاً، وهو الآن كما كان، فاشتهر بالكعبة.

كانت الكعبة بيت الله الحرام منذ الأزل، لكن الناس نسوها متسكعين في متاهات الضلالة والجهالة، فأنار الله هذا العالم المظلم بمصباح التوحيد، وأمر إبراهيم عليه السلام بأن يرفع سوار هذا البيت، ويعلن كلمة التوحيد من جديد، فكما صرح القرآن في سورة الحج بأن

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ٩٠ – ٩١.

الكعبة كانت البيت العتيق، ولم يكن البيت الجديد، فبحث إبراهيم عليه السلام عن هيكله القديم وشيَّد جدرانه بتعاون من سيدنا إسماعيل عليه السلام كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، اتضح من هذه الآية أن دعائم البيت كانت من قبل، فرفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعده المطمورة[١].

مكة أو بكة:

وتعرف مكة بـ «أم القرى»، وكانت عاصمةً للحجاز في قديم الزمان، بناها إبراهيم عليه السلام، وهاجر إليها إسماعيل، وولد فيها محمد ﷺ، تحفها الجبال من جوانبها الأربعة، تتكون السلسلة الشمالية والشرقية من جبل الخليج وجبل قيقعان، وجبل الهند، وجبل لعلع وجبل كداء، وفي الجنوب جبل أبي حديدة، وجبل كدي، وجزء من جبل أبي قبيس، وخلفه جبل خندمة، وفي الغرب جبل عمر، أما عرض مكة فهو ٢١ درجةً و ٣٨ دقيقة، وطولها ٤٠ درجة و ٩ دقيقة، ويرتفع موقعها من سطح الماء حوالي ٣٣٠/ متراً.

وقد نزلت هنا قافلة التجارة قبل ولادة عيسى عليه السلام بمأتي ألف وخمسين سنةً، ثمّ أسكن إبراهيم عليه السلام هنا ولده إسماعيل بمأتي ألف سنة قبل المسيح.

وقد أقام هنا الأب والابن (إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام) مذبحاً يُعرف بالكعبة، حكمها أولاد إسماعيل على القبائل الأخرى إلى مدة، ثم جاءت القبائل القحطانية فاستولت عليها، وأخيراً أسس قصي من بني إسماعيل دولته هنا، وكان قصي جداً لقريش، ثم ملكها

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٧٨.

قريش، وكانت شؤون المملكة ومناصبها مفوضةً إلى كل من شيوخ الأسرة، بالإضافة إلى هذا كانت القبائل الإسماعيلية أيضاً قاطنةً حول مكة، وقبيلة هذيل تسكن بين جبال وجنوب مكة، وهنا وادي القرى، وهو موطن القبائل الماضية، وقبائل كنانة تسكن في جوارها، وفي سفح الجبل الحبشي تقطن قبائل أحابيش[١].

يثرب:

كان اسم المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية يثرب، فسميت بعد الهجرة بمدينة النبي ﷺ، ثم جرى على لسان الناس اسم «المدينة المنورة»؛ يرتفع هذا البلد من سطح البحر بـ ٦١٩ متراً، أما طوله فهو ٣٩ درجة، و ٥٥ دقيقة، وعرضه ٢٤ درجة و ١٥ دقيقةً، يقع على خط الاستواء الشمالي، وتزداد نسبة الحرارة في الصيف إلى ٤٨، وفي نهار الشتاء من ٠٪ إلى ١٠٪، وفي ليله من ٠٪ إلى ٥٪، فيبرد الماء صباحاً على الأغلب.

كان يسكن هنا العمالقة، ثم سكنها اليهود وقبائل الأوس والخزرج، قال الباحثون: إن يثرب كلمة مصرية، ومعربة من «اتهريبس» وقد أكدت الدراسة أن العمالقة كانوا يحكمون مصر سنة ٢٣٠٠ق م، ثم أجلوا منها سنة ١٦٠٠ق م، فاتضح أن زمن عمران المدينة ما بين عام ١٦٠٠ق م، و٢٢٠٠ق م، ثم سكنها اليهود، وجاء فرعان من قبيلة أزد الأوس والخزرج، واعتنقا الإسلام وسميا بالأنصار، فخلد الله ذكرهما، وجعل بلدهما مهوى أفئدة ثلاث مأة وخمسين مأة مليون، (وقد بلغ هذا العدد الآن إلى أكثر من مليار)[٢].

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ٨٣-٨٤.

(٢) تاريخ أرض القرآن ج/١، ص: ٨٤.

كلمات القرآن

الإحسان:

الإحسان صفة تغطي كل نوع من الخير، فلا يمكن أن تحصى أنواعها وصورها، ومن صورها أن يتعامل الإنسان مع الآخر معاملةً تسرُّ القلب، وترتاح لها النفس.

ومن أحسن من الله تعالى إحساناً الذي لا تعد مننه ونعمه ولا تحصى، وكل ما يوجد من السماء إلى الأرض هو دليل على آلائه، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [سورة إبراهيم: ١٨].

وقد عبر يوسف عليه السلام عن شكر الإحسان إليه، بحيث إن الله تعالى نجاه من السجن، بدون شفاعة وسعي، وجاء بوالديه وإخوته إلى يوسف، فعبّر عنه سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠].

إن كلمة «إحسان» معناها: القيام بالعمل على أحسن وجه، لكن باللغة الأردية تأتي في معنى الفضل والمنة على أحد، وإذا استعملت هذه الكلمة في نفس المعنى فتأتي بحرف «إلى»، وأما ماجاء في القرآن الكريم من محسن أو محسنين، أو محسنون بدون أداة فيراد منه حسب المناسبات الفضل، والقيام بعمل على أحسن وجه أومباشرة عمل حسن، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠]، وقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر: ٥٨]، وقال: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٣٤][1].

الإحصان:

الإحصان مشتق من الحصن، معناه: القلعة أو المكان المحفوظ، واشتقت منه: حصان وإحصان ومحصن، إن كلمة حصان لم يأت ذكرها في القرآن الكريم، لكن ورد بيانها في كلام العرب[2] معناها: المرأة العفيفة، وأما المعنى الثاني: فهو الحفظ والكلاءة والصيانة، ورد في القرآن الكريم بثلاثة مواضع: مرتان في طهارة السيدة مريم، وذلك بصيغة الماضي، قال الله عز وجل: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [سورة التحريم: ١٢]، وقال: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩١]، مرة بصيغة المبني للمفعول، ومعناها إن رجلا نكح امرأة فصان عرضها، وقال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ [سورة النساء: ٢٤].

ومن هذه الصيغة اشتقت كلمة محصن ومحصنة (اسم الفاعل والمفعول)، وقال الله عز وجل: ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [سورة النساء: ٢٤]، وقال: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ [سورة النساء: ٢٥] أي من مقاصد النكاح أن تكون المرأة في قيد الكنف، لإزالة الشهوات البهيمية، فاستعملت هذه الكلمات (المحصنات) في

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٢٠-٢٢١

(٢) قال حسان بن ثابت رضي الله عنه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

حصان رزان ماتزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

معنيين مختلفين، المعنى الأول : هو النساء المتزوجات، قال الله عز وجل: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ﴾ [سورة النساء: ٢٤] ، والمعنى الثاني: النساء الحرائر الشريفات، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة النساء: ٢٥] وجاء تعبير في القرآن الكريم عن ذكر عصمة النساء: ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [سورة النساء: ٣٧] يعني أن هذه النساء يحفظن أعراضهن في غيبوبة أزواجهن [١]

الإخلاص :

إن أكبر مزية للإسلام أنه يخاطب قلب الإنسان، فمدار جميع شعب الإسلام العقدية والتعبدية، والخلقية والتعاملية مضغة لحم، وهذا هو العضو المهم في جسد الإنسان الذي يركز عليه الإسلام عنايته في قبول جميع نشاطاته، وقد أشار سيدنا محمد رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة في حديثه فقال : ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب [٢] .

إن هاجس القلب أساس كل عمل صالح أو سيئ للإنسان، وعلى هذا يقوم بناء جميع الأعمال الدينية، فالإسلام يوجّه الإنسان إلى أنه إذا عمل عملاً صالحاً فلا يكن وراء ذلك غرض دنيوي، ولا سمعة ورياء وجلب منفعة، ولا الحصول على مقابل مادي، بل

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٨٩-١٩١.

(٢) البخاري في الإيمان، باب من استبرأ لدينه : ٥٢، ومسلم في المساقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٥٩٩ : عن النعمان بن بشير .

عليه أن يبتغي من خلال ذلك وجه الله تعالى وامتثال أوامره، وعُرف ذلك بالإخلاص، وقد أمر الله رسوله ﷺ بذلك في القرآن الكريم فقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ❖ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر: ٢ ـ ٣]، المعنى أن لا يجعل لله نداً في عبادته لا الحجر ولا التمثال، ولا أي مخلوق في السماوات والأرض، ولا فكرة مصوغة من القلب، وقد اعتبر القرآن الهوى النفسية وثناً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [سورة الفرقان: ٤٣]، إن من أهم تعاليم الإسلام أن يكون عمل الإنسان خالصاً من كل وثنية ظاهرة وباطنة، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يصدع بهذا القول الرباني: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ❖ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ❖ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ❖ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ❖ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [سورة الزمر: ١١ ـ ١٥]، وقد ورد في سبعة مواضع من القرآن هذه الآية: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، فاتضح منه أن الركن الأول لكل عبادة وعمل هو أن يكون خالصاً من كل شائبة الشرك، ويكون شعاره ﴿إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾.

وقد أعلن الأنبياء عن دعوتهم وإصلاحهم أننا لا نبتغي من وراء ذلك منفعةً مادية ومقابلاً مادياً، قال الله عز وجل بلسانهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة هود: ٢٩]، وقد أمر رسولنا بهذا

الإعلان أي لا أطلب منكم لنفسي أجرةً ومنفعةً، وإن أردت شيئاً فهو لكم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة سبأ: ٤٧]، المعنى أن الله عالم بخفايا الصدور وخبير بالنيات، وهو يعلم أن جهدي طيب، وهو لله وفي الله، وقال الله في موضع آخر: ﴿لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [سورة الشورى: ٢٣] تعني هذه الآية أن الرسول ﷺ ما نفع الأمة من فوائد دينية ودنيوية من جهوده المخلصة لا يطلب منكم بدل ذلك منفعة شخصية، إن أراد شيئاً منكم فهو أن تؤدوا حقوق ذوي القربى وتحابوا فيما بينكم، وجاء مثل هذا في آية أخرى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [سورة الفرقان: ٥٧]، المعنى ليست أجرة جهدي هذا إلا أن تؤمنوا - يا أهل مكة - بالله ورسوله ﷺ.

فالإخلاص هو الأساس الأصيل للنجاح في الدنيا أيضاً، الواقع أن كل ما نؤدي من وظيفة لا يخلو من صورتين: مادية وروحية، فالصورة المادية تظهر من تحريك أعضائنا البدنية الظاهرة، والصورة الروحية تتكون ظاهرتها من نيات قلوبنا وأهداف أعمالنا الداخلية، فبقاء الأعمال وخلودها وبركتها في الدين والدنيا يتوقف على حسن الصورة الروحية وقوتها، إن تاريخ النشاطات الإنسانية لخير شاهد على هذا، فلا يتقبل عمل في الإسلام بدون إخلاص، سواء كان من العبادات أو الأخلاق والمعاملات، فالحاجة إلى أن تكون نياتنا مخلصةً عند بداية عمل، وبعيدةً من الأغراض المادية، ومتحررة من كل ربقة أجرة ومنفعة.

إن قصة ابني آدم هابيل وقابيل موجودة في التوراة والقرآن، فقد قدما إلى الله عز وجل قرباناً، فتقبل الله قربان أحدهما، وأنطق بلسانه هذا القانون الأبدي: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧]، فالمتقون هم الذين يعملون بإخلاص القلب لابتغاء وجه الله تعالى، فتقبل أعمالهم ويكرمون بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وينالون حظوة عند الله عز وجل، ويوضع لهم القبول في الدنيا، وتطبق شهرة أعمالهم الآفاق، وتخلد مآثرهم، وهم يكونون أصفياء للجماعات والأمم، ويستفيد الناس من خدماتهم جيلاً بعد جيل، ويسترحمون لهم من الله الرحمة، إن آل فرعون ما كانوا يفرقون في أول الأمر بين الساحر والنبي، وكانوا يرون أعمال النبي مثل أعمال السحرة، لأنهم كانوا يشاهدون عجائب وغرائب من أمورهما، فأخبرهم الله تعالى بأنه ليس هناك فرق في الظاهر فقط، بل في الباطن كذلك، هدف أحدهما لهو ومكر وخداع، وشعوذة، وثمرة ثانيهما ثورة على الحياة الروحية والخلقية، فقال عز وجل: ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [سورة طه: ٦٩]، فرأت الدنيا أن أعمال سحرة مصر المحيرة للعقول صارت قصة تروى، وأن معجزات موسى عليه السلام أحدثت ملة جديدة، وشريعة جديدة، وحياة جديدة، وحكومة جديدة ظلت في الدنيا إلى مدة مديدة.

تتكون الصورة الحقيقية للعمل في مصنع القلب، فالحاجة أكيدة إلى أن يدقق الأمر في نيات القلوب، فإذا علم هذا اتضح منه أن الإسلام لماذا أوجب إخلاص النية لصحة كل عبادة [1].

---

(١) سيرة النبي ج/٥ ص/٢٢٤-٢٢٦، مكتبة مدنية، لاهور باكستان صفر ١٤٠٨هـ.

والإخلاص هو أصل الآداب الباطنة في الصلاة، فالصلاة عبارة عن مراقبة الله واستحضاره، فإذا لم تحصل هذه الكيفية كانت الصلاة رياءً وسمعةً، وتكون شركاً عند بعض العلماء، قال الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩].

الذكر: إن الصلاة لذكر الله تعالى: فإذا كان القلب يخالف اللسان لم يكن ذكراً حقيقياً، قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه: ١٤]، فالذكر ليس ترديد الكلمات باللسان، بل هو عبارة عن موافقة اللسان القلب.

الفهم والتردد: يحسن للمصلي أن يفهم كل ما يقرأ، فإذا لم يلتفت القلب إلى المعاني غفلةً فلا يتأثر بها، وقد منع السكران من أداء الصلاة في حالة السكر، لأن قلبه ليس آنذاك في جنبه، قال الله عز وجل: ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء: ٤٣].

إخلاف الوعد:

إن إخلاف الوعد ذنب كبير، يرادف معنى الكذب، إن عزة الأقوام والشعوب توزن على ميزان الوفاء بالعهد والصدق في القول، فإن من وعد وعداً فقد تحمل مسئوليةً على نفسه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [سورة الإسراء: ٣٤] فالعهد الذي يسأل الله عز وجل عنه يحمل قيمةً كبيرةً، ورد في القرآن الكريم عن المنافقين أن قد حدث فيهم النفاق جراء غدرهم، قال الله عز وجل: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ اللهَ

مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٧]، وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد خلف، وفي رواية مسلم: آية المنافق ثلاث، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم (خ٢٥٣٦ م٢٢٢)[1].

أساطير الأولين:

هذه الجملة مركبة من كلمتين: أساطير وأولين، وأساطير جمع أسطورة، معناها الحكاية والقصة، وأولين جمع أول مجرور بالإضافة، معناها: الماضي، فمعنى الجملة قصص الأولين، وحكايات الأولين، وأحوال رجال الأمم الماضية، قال الراغب: ما سطر الأولون في الكتاب من القصص والأحاديث، قال الجوهري: الاساطير: الأباطيل، الترهات، قال السدي: أساجيع الأولين، وقال ابن عباس: أحاديث الأولين، كذب الأولين وباطلهم.

من طبائع الإنسان أنه يولَع بتاريخ القصص الماضية وأحوال الأمم السابقة وسير الرجال الماضين ويعتبر بها، وهذا هو السبب فيما إذا درس تاريخ الأمم كثيراً، عدا كتب العلوم والفنون الأخرى، وقد ذكر القرآن للاعتبار والاستبصار أحوال الأمم الماضية التاريخية، وسير رجالها وتفاصيل بقاء البلدان وسقوطها، وإن الكفار والملحدين الذين حرموا صفة البصر والبصيرة، وفقدوا سمع الاعتبار يقولون: ليس في القرآن سوى القصص القديمة والحكايات الماضية، ويعتبرون القيامة،

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٨٥.

والمعاد وأحوال الآخرة محالاً، وإن أول سورة كاملة من حيث ترتيب القرآن توجد فيها جملة (أساطير الأولين)، وهي سورة الأنعام، ورد في سبب نزولها: قال ابن عباس: حضر عند رسول الله ﷺ أبوسفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعقبة وعتبة وشيبة أبناء ربيعة وأمية وأبناء أبي ين خلف، والحارث بن عامر، واستمعوا إلى حديث الرسول ﷺ، فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ فقال: لا أدري ما يقول، لكني أراه يحرِّك شفتيه، ويتكلم بأساطير الأولين، كالذي كنت أحدثكم به عن أخبار القرون الأولى، قال أبو سفيان: إني لا أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبوجهل: كلا، فأنزل الله تعالى تلك الآية.

وردت هذه الجملة في تسعة مواضع من القرآن، لكن لم يأت في معنى سواه، فضلاً عن أن تكون إشارة إلى ذلك، ونذكر هنا هذه الآيات كلها: قال الله عزوجل: ﴿إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقال الله عزوجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٤]، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [سورة الفرقان: ٥]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ، لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة النمل: ٦٧ـ٦٨]، وقال: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨١]،

وقال: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأحقاف:١٧]، ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٠ـ١٥]، وقال: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٢ـ ١٣].

يتجلى من هذه الآيات أن أساطير الأولين ليست عبارةً عن مؤلَّف ديني، اقتبس منه القرآن، بل كان الكفار يعنون بها في موضع أنه ليس في القرآن سوى القصص والحكايات، وفي موضع آخر يريدون أنه لا وجود ليوم القيامة والمعاد والبعث بعد الموت، وهي أحاديث خرافة يؤمن بها الناس، وهذا من سوء الحظ أن هذا المعتقد الفاسد الذي كان في زمن ما للكفار، صار للمسلمين المتفرنجين، فلا يؤمنون بيوم القيامة ويكفرون عظمة الله وكبرياءه، وهم غافلون عن مؤاخذة الأعمال، أيها الغافلون! أم حسبتم أنكم لا تموتون، نعم، إنكم تموتون، ثم تحيون، ولا تموتون؛ قال الله عزوجل: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣١- ٣٢][1].

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٢٠٧ـ٢١٦.

اختان:

كان الحكم في فجر الإسلام أن الناس لا يتقربون أزواجهم في ليالي صيامهم، فقد كانت بعض الطبائع تتفزر منه كثيراً، فأنزل الله لهم التيسير، وبقي التقييد بالنهار، وقد جاء في سورة البقرة بهذه المناسبة: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] استعمل الله هنا للخيانة صيغة الجمع، فعلم منها أن الخيانة كانت ترتبط بالجماعة، ويتبين الاستمرار أيضاً من خلال دراسة أسلوب الآية، فهل يمكننا أن نقول: إن خيانة النفس كانت مستمرةً في حياتهم، فكما أرى أن تختانون من مادة اختان، والاختيان معناه: حدوث نفسية الخيانة، فكان مفهوم الآية أن هذا الحكم كان شاقاً على بعض الطبائع، فتحدث في نفوسهم وساوس نفسانية، رغم أنهم لا يعملون بها.

يقول تلميذ العلامة الشيخ المفسر محمد أويس النجرامي: شرح العلامة الشرح الوافي في إحدى دروسه التي كان يلقيها في مجمع دار المصنفين بأعظم جراه (الهند)، وقد كنت حاضراً في درسه، ثم كلف المستمعين أن يبحثوا عن دليله في كتب المصادر، راجعت مفردات القرآن للإمام اللغوي راغب الأصفهاني، فوجدت المعنى المذكور أعلاه، فلما أخبرته سرَّ به سروراً، واطمأن به [(١)(١)]

---

(١) الاختيان: مرودة الخيانة، ولم يقل تخونون أنفسكم، لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى: إن النفس لأمارة بالسوء (مفردات القرآن للأصفهاني) مادة خ و ن.

الاستقامة:

معنى الاستقامة لغةً: الاستواء أو المشي مستوياً، ويراد منه أن يستقيم الإنسان على موقف يفهمه حقاً، وإن تعرضت له العراقيل، وكثرت المناوءات، وغمطت الحقوق، وأن يتجرع كل مرارة، لكن لا يمكن أن يصرف وجهه عن الحق ويمشي مستوياً بكل ثبات، وقد أمر النبي ﷺ بأن يعلنه جهراً: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة فصلت: ٦] أي أن تكون العبادات لله عز وجل، ويكون هممنا ذاته سبحانه، ولا نلتفت يمنةً ويسرةً، بل نمشي إليه باستقامة، وقد أمر الرسول ﷺ والمسلمون بأن يسيروا على هذا الدرب، لا يضلوا ولا يطغوا عن الإطاعة، قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة هود: ١١٢].

كانت صحراء العرب الحارة ملتهبةً بالغضب والغيظ ضد الدين الحق، وكانت تجري ريح العداء للنبي ﷺ في كل ناحية من نواحيها، ولا تزال أرض الجزيرة العربية تتضايق رغم سعتها للمسلمين، فجاء التأكيد بالثبات على الحق والصدع به للرسول ﷺ وأصحابه، قال الله عز وجل: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة الشورى: ١٥]، وقد بشر هؤلاء المستقيمون بالنجاح الدائم، وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٣]،

---

(١) صحيفة تعمير حيات مايو سنة ١٩٦٤م، مقال حول "العلامة السيد سليمان الندوي وعلوم القرآن".

ذلك اليوم تنخلع القلوب من شدة الهيبة، وإن الذين كانوا يتمتعون بنعمة الثبات على الحق يكرمون الطمأنينة، ويبشرهم الملائكة بجزاء أعمالهم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٠]، ويشرح هذه الآيات الحديث الذي روي عن النبي ﷺ في سؤال: يا رسول الله ﷺ! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه بعدك أو غيرك؟ قال: قل آمنت بالله ثم استقم. {رواه مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي}.

وقد عمل الصحابة الكرام رضي الله عنهم بهذه النصائح بكل استقامة، وإن ما قاموا بمآثر شجاعتهم الإيمانية والخلقية التي مرّ عليها ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن، لهج به لسان التاريخ الإسلامي بكلمة الثناء والإشادة به، وقد صوَّر القرآن استقامتهم على الحق في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [سورة الأحزاب: ١٠-١١].

إن تعرض المشاكل في سبيل الله تعالى واستقامة رجال الله تعالى لمن سنن الله تعالى التي قامت منذ أن خلق الله الإنسان وستبقى إلى الأبد، وكلما كان الناس مقصِّرين في هذا الجانب، لم يكن النجاح حليفهم، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤].

إن هناك قصتين في القرآن الكريم ذكرهما الله تعالى في سبيل الاستقامة .

إحداها : قصة الكتيبة الصغيرة لطالوت ، التي واجهت مع قلة عددها وظمأها عدداً كبيراً لجالوت ، وحازت النجاح ، وكان لسانها رطباً بهذا الدعاء : ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٠] .

وأخراها : قصة أصحاب الأخدود ، وردت في كتب الأحاديث والسير ، كان في اليمن رجال من قوم عيسى عليه السلام ، وكانوا يؤمنون بالله إيماناً صادقاً قوياً ، فآذاهم اليهود وحفروا لهم حفرة ، وأشعلوا فيها النار ثم ألقوهم فيها ، لكن هؤلاء المؤمنين لم يتزحزحوا عن إيمانهم ، قال الله عز وجل في القرآن الكريم : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة البروج : ٤ـ ٨] (١)

أشداء :

إن هناك في القرآن آيةً ، تبيِّن شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وحبهم ورحمتهم فيما بينهم وقوتهم وثباتهم على الحق ، يمكن أن يستشهد بها المناوؤن للإسلام في توجيه تهمة القسوة والغلظة إلى الإسلام ، ذلك في سورة الفتح ، قال الله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ليس معنى الآية أن أصحاب محمد ﷺ يعاملون الكفار

---

(١) سيرة النبي ج/٦ ، ص : ٢٦١-٢٦٥

بالغلظة وعدم الرحمة وسوء الخلق، بل معناها أنهم أشداء بسبب جراءتهم وثباتهم على الحق، وتضامنهم وتمسكهم بحبل الله المتين، بحيث إن الكفار متحيرون منهم، وقد نُصر المسلمون بالرعب الذي لا يستطيع لأجله الكفار الهجوم عليهم، فليس معنى أشداء على الكفار شديدي البأس عليهم دائماً، بل معناها متغلبون عليهم، أقوياء لا يخضعون لهم، وفسر العلامة الزمخشري في تفسيره «الكشاف» وابن حبان الأندلسي في «البحر المحيط» والقاضي البيضاوي في «أنوار التنزيل» نفس المعنى لهذه القطعة من الآية، مثل ما فسر آية سورة المائدة هذه، قال الله عز وجل ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذا التعبير في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال الله عز وجل في سورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾[سورة هود: ٩٢]، وقال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨] وجاء في لسان العرب: ورجل شديد: قوي، والجمع أشداء، واستعمل في القرآن: أشد قوةً وأشد تثبيتاً، وأشد منهم بطشاً، وأريد في كل موضع معنى القوة والإحكام كما أريد نفس المعنى في المشتقات الأخرى، قال الله عز وجل: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: ٣١]، وقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ [سورة النبأ: ١٢] وقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص: ٢٠]، وقال: ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ [سورة محمد: ٤]، فالمعنى المشترك لكلمة شديد: الرجل الذي لا يخضع لقوة معادية، بل يظل ثابتاً أمامها ومقاوماً لها، وهذه هي صفة الصحابة رضي الله عنهم، لأنهم لم يحفلوا بعداوات مكثفة للكفار، بل قاوموا

إعداداتهم مقاومة شديدة، وواجهوا سنانهم بصدورهم، وضحوا بنفوسهم ونفائسهم في سبيل الله، وكانوا مثخنين بالجراح، بتقاطر الأرماح، لكنهم لم يتثلموا عن عقيدتهم، وظلوا مؤمنين بالله عز وجل، ومصدقين له بالقلب، حتى جعل الكفار يخضعون لهم رغم كثرة عددهم، ووقع رعب المسلمين الإيماني فيهم كل موقع، وقد تحقق ما تنبأ به القرآن الكريم: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [سورة لأنفال: ١٢]، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [سورة الحشر: ٢/ الأحزاب: ٢٦]، فلإدخال الرعب والمهابة في قلوب المخالفين، أمر الله عز وجل المسلمين بإعداد عدو الحرب دائماً، قال الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]، فليس مدلول الآية أن يرهب الكفار ويخوفوا، بل معناه لا بد لكم. أيها المؤمنون! من إعداد وسائل الحرب بحيث ينزل الرعب في قلوبهم، ولا يبقى أي جراءة للهجوم عليكم، فإعداد وسائل الجهاد كل وقت فريضة على المسلمين، واعتبر النبي ﷺ رباط الخيول لأجل الجهاد من أعمال الجهاد: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الخيل لثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال بها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنه انقطع طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، لو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي كان ذلك حسنات له فهي لذلك أجر، ورجل ربطها تغنياً وتعففاً، ثم لم ينس حق الله في

رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك ستر، ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر» {الجامع الصحيح للبخاري، كتاب المساقاة باب شرب الناس وسقي الدواب من الأنهار}.

قد اتضح من هذا الحديث أن للنية أهميةً كبيرةً في الشريعة الإسلامية، فالواجب أن لا يكون هدف المسلم الذي أمر بعدم الموالاة مع الكفار ومناوئي الإسلام، النفور الشخصي والقومي والبراءة الذاتية، بل لنصر الحق وفي سبيل الله تعالى، رغم ذلك كله لم يمنع الإسلام أتباعه من العدل والإنصاف والتعامل الحسن مع أنصار الباطل[1].

الإطاقة:

قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤]، كانت هذه القطعة من الآية موضع خلاف منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم، روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: أن صيام أيام معدودات كانت فريضةً محكمةً، قبل شهر رمضان. فكان بالنسبة إليها الخيار لمن شاء أن يصوم أو يفدي طعام مسكين، فلما فرضت صيام رمضان عن نسخ هذا الخيار.

(٢) وروي عنهم أيضاً: أن مرجع «يطيقونه» ليس الصوم بل هو الطعام، فكان معنى هذه الآية: إن الذين يقدرون على تقديم الفدية عليهم أن يقدموا فدية طعام مسكين مع كونهم صائمين، ثم نسخ هذا الحكم، وأراد الإمام الدهلوي رحمه الله بفدية طعام

---

(١) سيرة النبي ج٦/، ص: ٨٥-٨٦

مسكين صدقة الفطر التي يؤديها كل من يملك نصاب الأموال بعد قضاء شهر رمضان عن نفسه وأولاده الصغار .

(٣) وروي أيضاً : إن هذا الحكم غير منسوخ ، ويأتي في إطاره الشيوخ المعمرون والنساء الحبليات .

والحقيقة أن هذه الأقوال نشأت بعدم تحقيق كلمة «يطيقونه» لغةً ، فأريد بـ «إطاقة» معنى «السعة والقدرة» ، وصار معنى هذه الآية : الذين يقدرون على الصوم عليهم أن يطعموا مسكيناً ، نظراً إلى هذا إما أن نسلّم النسخ ، أو نتفوه مثلما يتفوه العقلانيون أي الذين يقدرون على الصوم وهم يتخلصون منه بأداء الفدية ، رغم أنه غلط فاحش ، فيكون معناه أن الفقراء يصومون ويقدم الأغنياء فدية للتخلص من هذا العمل ، لم يقر الإسلام هذا الفرق في أي حال ، ولم يشهده طوال التاريخ ، وهو يضاد قول الله عز وجل : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] .

إن معنى «الإطاقة» : مباشرة عمل بصعوبة ، فكان معنى الآية : الذين لا يصومون إلا بمشقه عليهم أن يفتدوا طعام مسكين واحد ، ورد في لسان العرب وتاج العروس وغيرهما من القواميس : الطوق والطاقة أي أقصى غايته وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه ، ويؤيده قول الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة : ٢٨٦] أي لا تكلفنا ما لا سعة لنا ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ويثبت هذا المعنى من الأحاديث النبوية أيضاً : عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، قال : كانت رخصة

للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً، فليس معنى يطيقان الصيام: يستطيعان أن يصوم، بل معناه اللذان لا يصومان إلا بمشقةٍ، وقال العلامة شمس الحق العظيم الآبادي في شرح هذا الحديث: لكن مع شدة وتعب ومشقة. وأبدى مثل هذا الرأي العلامة المحدث أنور شاه الكشميري.

فهناك نوعان للمعذورين، نوع يصاب بمرض طارئ أو سفر، فله هذه الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤] أي لا يصوم المعذورون من هذا النوع وقت حدوث العذر، فإذا زال العذر قضوا بما فات من الصيام، ويأتي ضمن هذا المعذور المرضعة والحبلى، ونوع للمعذور الذي يكون عذره موبداً، ولا يمكن إزالته، مثل أن يكون الرجل دائم المرض أو يكون ضعيفاً أو شيخاً فانياً لا يسهل له أداء الصوم، فهو يفتدى طعام مسكين واحد، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤][1].

أطراف النهار:

قال الله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، جاء في هذه الآية ذكر الصلوات الخمس، فالمراد بـ «قبل طلوع الشمس»: الفجر، و بـ «قبل غروبها»: العصر، و«من آناء الليل» العشاء، و بـ «أطراف النهار» الظهر والمغرب، لكن يحدث هنا سؤال هو أن كلمة «أطراف» جمع طرف، وهي تطلق على ثلاثة بأقل

(١) سيرة النبي ج/٥، ص: ١٥٨ — ١٦٠.

تقدير، فلا بد من أن تكون أطراف للنهار ثلاثة، والحقيقة أن أطراف النهار اثنان (الصباح والمساء)، فجواب هذا التساؤل اللفظي أن كلمة «أطراف» وإن كانت جمعاً، لكن تطلق على اثنين أيضاً في كلام العرب، وقد استعمل هذا في القرآن الكريم مثلاً: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وجاء في موضع آخر: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠] و ورد في سورة التحريم: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [سورة الآية: ٤]، فالظاهر أن هناك قلبين لرجلين، لكن جاءت كلمة «قلوبكما» بصيغة الجمع، هذا ما تجري به الألسن في تعبيرات اللغة، بناءاً على هذا يراد بـ «أطراف» طرفا النهار، ويعتبرهما الناس جزئين للنهار، أحدهما من الصباح إلى الظهر، وثانيهما: من الظهيرة إلى غروب الشمس[1].

إقامة الصلاة:

وردت في القرآن الكريم لأداء الصلاة كلمة "إقامة الصلاة" في مواضع شتى، فليس معناها أداء الصلاة فقط كيفما اتفق، بل المعنى أداؤها باستيفاء جميع الآداب والشروط، ومراعاة السنن والواجبات، وقد تجاوزها الله عن الأمة في حالة الخوف، فقال عز من قائل: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ [سورة النساء: ١٠٣] فإقامة الصلاة هنا الطمأنينة، وتعديل الأركان والتضرع والخشوع أمام الله عز وجل، فمن آداب الصلاة الباطنة القنوت، قال الله عز وجل: ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]، وقد روى الإمام البيهقي في السنن الكبرى عن زيد بن أرقم قال: كان أحدنا يكلم يعني صاحبه

---

(١) سيرة النبي ج/ه، ص: ٧٧ — ٧٨.

إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام (رقم الحديث: ٣١٥٩)، وإن كلمة «القنوت» التي وردت في القرآن الكريم كلمة جامعة، وقد جاء في لسان العرب: القنوت: الإمساك عن الكلام، والقنوت هو الخشوع والإقرار بالعبودية والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية، وقيل: القيام، وقيل: إطالة القيام، والدعاء والعبادة (لسان العرب: مادة قنت).

إن هذه المعاني لكلمة "قنت" تأتي في إطار قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]، لأن الصلاة هي السكوت الكامل عن الحاجيات الإنسانية سوى الذكر والقراءة والتسبيح والاستغفار والسلام والتشهد، فإنها عبودية ودعاء وعبادة وطول قيام وإظهار عجز، فإذا قلت أي صفة من هذه الصفات في الصلاة قلت الصلاة أجراً ومثوبةً.

الخشوع: ورد في القرآن الكريم ضمن صفات المصلين: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٢] ومعنى الخشوع لغة: الرمي بالبصر إلى الأرض وخفض الصوت والخضوع في البدن، بحيث يظهر من كل عمل الضعف والعجز والتواضع، فالصلاة إظهار الضعف والهوان والقلق أمام الله عز وجل، فإذا فقدت الصلاة هذه الكيفية فكأنما حرمت غايتها الأصلية.

التبتل: معنى التبتل لغة: الانقطاع، ومعناه اصطلاحاً: الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى، فالواقع أنه هدف لحياة المؤمن الحقيقي، لكن كلما وردت هذه الكلمة في القرآن أتت في سياق

الصلاة، قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [سورة المزمل: ٨] أي أن يكون القلب خالياً من الأفكار الفاسدة سوى عظمة الله تعالى، وعجز الإنسان وقت ذكره في الصلاة، روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في جامعه أن عمر بن عبسة السلمي قال: قلت يا رسول الله! حدثني عن الوضوء، قال: ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فيتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشمه .. إلى أن قال: فإن هو قام فصلىً فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه [١].

التضرع: معناه التذلل والخضوع، والتخشع، فلا بد أن يكون العبد في الصلاة في حالة العجز والابتهال إلى الله وإلا تكون صلاته ناقصة، قال الله عز وجل: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف: ٥٥] [٢].

الإلهام:

الإلهام لغة: الإلقاء في القلب، أما في الاصطلاح الشرعي فهو العلم الذي وقر في القلب بغير جهد، وبدون بحث وتدبر وترتيب، ويمكن أن تثبت صحته فيما بعد بالتجارب الحسية والدلائل العقلية، لكن هذا العلم لا يتمكن في القلب بتجربة أو دليل، بل يقع في القلب مباشرة، لماذا يقع هذا العلم في القلب؟ ومن أين يأتي؟ يمكن أن يختلف جوابه، لكن هذه حقيقة ثابتة لا مجال فيها للشك أن هذا العلم يأتي من التجارب الحسية، فمن أمثلته

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث: ١٩٦٧.

(٢) سيرة النبي ج ٥/٨٩-٩١ .

البدائية الطفيفة تلك الأخيلة التي ترتسم أولاً على أذهان الباحثين والعلماء والشعراء والمخترعين، فهم يقدمونها أمام العالم في صورة مخترعاتهم وإبداعاتهم [١].

الأمانة:

إن الجوهرة الخلقية التي تحمل مكانةً رئيسيةً في التعامل بين الناس هي أمانة وصدق، فالمعنى أن يكون الإنسان أميناً، ويؤدي كل إنسان ما عليه بكل أمانة، هذا ما يعرف بالأمانة باللغة العربية، وقد أطلق الله تعالى على التكليف الشرعي الذي أسنده إلى النوع البشري اسم الأمانة، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]، فاتضح منه أن الشريعة الإسلامية كلها أمانة إلهية، أسندت إلى الناس.

إن رسول الله (جبرئيل عليه السلام) الذي كان يأتي برسالة الله إلى أخص عباده، يتصف بالأمانة، ليفهم أمر الله تعالى الذي أرسله إلى الناس، بدون زيادة أو نقصان، فسميٌ ذلك الرسول بالأمين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣] وقال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [سورة التكوير: ٢١] ووردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في صفات أكثر الأنبياء أنهم قالوا لأمتهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٧] يعني أرسل إليكم ما أوتيت من

---

(١) سيرة النبي ج٤، ص: ٤٤، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

الله بدون نقص، وليس فيه شائبة مني، وقد لقب رسولنا العظيم محمد ﷺ قبل نبوته من أهل مكة بالأمين، لأنه كان أميناً متديناً في أعماله التجارية، وكلما أودع الناس عنده شيئًا ما، رده كما كان وقت الإيداع، وجاء في صفات عباد الله الصالحين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨][١].

الآيات:

إن القرآن الكريم تناول ببيان آيات لهؤلاء الأنبياء على الأقل: نوح، ولوط، وصالح، وهود، وشعيب وزكريا، ويونس، وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهناك بعض الأنبياء لم يذكر عنهم الآيات أمثال: إسحاق وإسماعيل وذي الكفل واليسع وغيرهم، فليس معناه أنهم لم يكرموا بأي آية ودليل إلهي، وقد ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن أو آمن عليه البشر[٢].

نظرة على قصص الأنبياء في القرآن الكريم تبين لنا أن الآيات الخارقة للعادة لم يكرم بها إلا الأنبياء الذين واجهوا من جاحديهم عداوةً شديدةً، وكانوا في حاجة ملحة إلى آيات عجيبة تقنع مخاطبيهم وترد على شبهاتهم، أما الأنبياء الذين بعثوا إلى أقوامهم للإصلاح والتجديد فليس لهم حاجة إلى أمثال هذه المعجزات، لأن أقوامهم لم يبدوا التمرد والعصيان مثلما أبدى الأولون.

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٩٩-٢٠٠

(٢) كتاب الاعتصام باب قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم للجامع الصحيح للإمام البخاري، وكتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد الجامع الصحيح للإمام مسلم.

وقد عبر القرآن الكريم عن معجزات هؤلاء الأنبياء بالآيات، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ [سورة القصص: ٣٦] وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٣]، وورد في قول فرعون لموسى: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٦-١٠٧] إن الكفار كانوا يطالبون النبي ﷺ بالمعجزة فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٩] وقال: ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ﴾ [سورة العنكبوت: ٥٠]، وورد في مطالبة الكفار أيضاً: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥] وقال صالح عليه السلام عن آيته: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [سورة هود: ٦٤].

معنى الآية: العلامة، والدليل، وإن ما منح الله الإنسان من وسائل العلم والإحساس هو في الواقع سبب التذكير بهذه الآيات والعلامات، فإن روح الآيات والعلامات هي العلم والمعرفة، وهو الذي يميز بين الحيوان والإنسان، والعاقل والأحمق، فبالآيات يصل الإنسان إلى المراد، بحيث إذا أزيلت آيات الأشياء لا يستطيع الإنسان أن يعرفها، ولا يمكنه أن يقيم الحجة على وجودها، مثلاً إذا ذهبنا إلى أرض قاحلة ووجدنا هنا مبنى شامخاً، فإننا وإن لم نزر صنّاعه، لكننا نوقن برؤية هذا المبنى أن له صانعاً.

وقد وردت كلمة "الآيات" في القرآن الكريم في هذا المعنى، بحيث إنها دليل على خالقها وصانعها، يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٣-٤] ويقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤] ويقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [سورة فصلت: ٣٧] هذه الآيات الإلهية تدل على وجود الله تعالى وصفاته العليا الكاملة.

وللآيات نوعان: آيات ظاهرة، وآيات باطنة، أما الآيات الظاهرة فهي الخوارق المادية التي يعرفها الناس بالمعجزات مثل إحياء الموتى، وكون العصا حيةً، وتفجير الأرض عيناً من الأصابع، وشفاء المريض وغيره، وأما الآيات الباطنة فهي عصمة الأنبياء وصدقهم وتزكيتهم قلوب الناس، وتعليمهم وإرشادهم إلى الصواب، هذه الآثار آيات حقيقية من النبوة لأولي الألباب وذوي البصائر، والآيات الظاهرة تكون لأولي الأبصار، الذين ينظرون كل شيء بعيون مادية، فالآيات الباطنة هي أرجح الآيات لدي، لأن الآيات الظاهرة لا يطالبها إلا الجاحدون والمعاندون ولا يجدون في الآيات الباطنة شفاء، مثال ذلك: أن موسى عليه السلام قد أظهر عدة معجزات أمام فرعون، فرد عليه بقوله: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النمل: ١٣] وقوله: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [سورة طه: ٦٣]، وقد جاء في كتاب الخروج للتوراة أن فرعون صار قاسي القلب بعد رؤية المعجزات، وإن عيسى عليه السلام

قد أبدى كثيراً من المعجزات أمام قومه، فقد جاء في الإنجيل أنه كلما قدم المعجزة انقسم الناس إلى فئتين: فئة تؤمن به، وفئة تقول: إن مع عيسى شيطاناً، (يوحنا، الباب العاشر ص: ١٩) وإن كفار مكة طلبوا من النبي ﷺ المعجزات، فلما رأوها لقبوه بالكاهن والمجنون، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٣-٢٥].

إن القرآن الكريم قد استوعب كلا النوعين من الآيات قال الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الرعد: ٧]، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فالمقصود أن حقيقة النبوة ليست المعجزة المحيرة للعقول، بل هو الإنذار والهداية، وقد ذكرت في سورة المائدة علامات النبوة، وهي آيات باطنة، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] وقال: ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

إن أولي البصائر في عصر الإسلام الأول كانوا يبحثون عن الآيات الباطنة، حتى إن اليهود والنصارى الذين لم يوفقوا للإيمان بالنبي ﷺ كانوا متأثرين داخلياً بالإسلام ورسوله ﷺ، وإن بني إسرائيل كانوا أعرف الناس بالعلامات الإلهية، يأتون إلى النبي ﷺ بأسئلة ويوجهونها إليه فيجيب النبي ﷺ عنها، ثم يستخبرون عن أخلاقه،

ويسألونه عن صحف بني إسرائيل، وكانت أسئلتهم حول الأمور الدينية والعلمية، وقد ذكر الله سؤالين لهم في القرآن الكريم، قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [سورة الكهف: ٨٣]، وفي القرآن تساؤلات أخرى لأهل الكتاب، لكن ليس فيها ما يدل على أنهم سألوا قط عن الخوارق، وأما جاء في القرآن: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة النساء: ١٥٣] فليس معناه أنهم طالبوا المعجزة، بل كانوا يتخيلون عن التوراة أن ألواحها أنزلت بعد ما كتب الله عليها بيده، فنظراً إلى هذا الظن كانوا يرجون نزول القرآن على هذا الأسلوب لكونه منزلاً من عند الله عز وجل.

إن العرب لم يطلبوا من محمد ﷺ الآيات الظاهرة بعد ما رأوا الآيات الباطنة واقتنعوا بها، بل آمنوا به، فأوّل من أسلمت في النساء هي خديجة الكبرى رضي الله عنها، لما ذكر رسول الله ﷺ أمامها مشاهدته الروحية آمنت بها اعتماداً على مكارم أخلاقه وكرمه، وأبدت انطباعتها لما أظهر ﷺ هلعه وخوفه: والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق [١]، ولما علم أبو ذر عن بعثة رسول الله ﷺ أرسل أخاه إليه وقال: اذهب إلى الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الوحي من السماء، إنه أتى مكة، وتعرف على أحوال النبي ﷺ ثم رجع وقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر(٢) [١].

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي

(٢) صحيح مسلم، مناقب أبي ذر.

أياماً معدودات :

وردت في ذكر صيام رمضان جملة : أياماً معدودات ، والظاهر أن المراد منها ثلاثون أو تسعة وعشرون يوماً ، فإن قال قائل : إن أياماً جمع القلة ، ولا تطلق على أكثر من تسعة أيام ، فجوابه أن يحصر القائل «أيام العرب» التي تبلغ إلى المئات في تسعة أعداد ، وقد استعمل القرآن الكريم لالآف من حوادث الدنيا كلمة «أيام الله» ، وإن الرحلة التي يقوم بها العرب من اليمن إلى الشام تنتهي في شهور ، لكن الله عز وجل قال وهو يمتن على العرب : ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾ [سورة سبأ : ١٨] وقال : ﴿فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وأريد منها العمر الكامل للإنسان ، وقال عن القرون والدهور : ﴿تِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ، فلو حصرنا الأيام في جمع القلة لكان المعنى فاسداً .

وليعلم أن قواعد جمع القلة والكثرة ليست كليةً ، بل هي تستعمل عامة في معنى الكلمات التي تأتي للقلة والكثرة ، وليست كلمة «أيام» من هذه الكلمات ، بل يأتي لها جمع واحد فقط ، وهو «أيوام» ثم صارت أيام بعد تعليل يسير [٢] [٣] .

انتقد بعض المتنورين أيام صيام رمضان ، وقالوا : أيام جمع قلة ليوم ، فلا يراد منها إلا ثلاثة إلى تسعة أيام ، فليس صوم شهر رمضان ٣٠/يوماً ، بل أقل من عشرة أيام ، فتقول لهم : إنَّ لجمع التكسير نوعين باللغة العربية ، جمع قلة وجمع كثرة ، فجمع القلة

---

(١) سيرة النبي ج٣/ ص: ١٢٣- ١٤٥ بتلخيص

(٢) شرح الكافية للرضى ولسان العرب لابن منصور .

(٣) سيرة النبي ج/٥ ، ص: ١٥٦.

يطلق على ٣ – إلى ١٠ ، وجمع الكثرة يطلق على ١١ – إلى ما فوقها ، فليست القاعدة هكذا فقط ، ولو كانت هكذا فما معنى قوله تعالى : ﴿تِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٠]، وقوله : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وقوله : ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم : ٥]، فالمراد من «تلك الأيام» القرون الغابرة والأزمان الماضية التي فيها آلاف من الأيام ، هل تنحصر في تسعة أو عشرة ؟ ومعنى الأيام الخالية : الحياة التي قضاها الإنسان في الدنيا ، ومعنى «أيام الله» الأيام التي ظهر فيها عجائب قدرة الله تعالى .

إذاً ، فما هي القاعدة ؟ إذا كان لكلمة جمعان ، قلة وكثرة ، استعمل لإبداء معنى القلة جمع القلة ، ولبيان معنى الكثرة جمع الكثرة ، لكن ليست هذه القاعدة للكلمات التي يأتي لها جمع واحد فقط ، فلا يختص بالقلة والكثرة صيغة واحدة ، وإلا يلزم أن لا نستعمل كلمة لبيان أكثر من عشرة أيام ، مثال ذلك أن كلمة «سيف» جمع كثرة لها «سيوف» وجمع قلة لها أسياف ، فإذا أراد المتكلم القلة استعمل كلمة أسياف ، وإذا أراد الكثرة استعمل السيوف ، لكن هذه القاعدة لأغلب الأحوال ، يقول الشاعر الجاهلي مفتخراً بسيفه : وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً ، فالمراد هنا كثرة السيوف ، ويقول عمرو بن كلثوم التغلبي :

وأيـــام لنـــا غـــر طـــوال عصينا الملك فيها أن نـدينا

فليس المراد من «أيام» أياماً عديدة ، بل أيام كثيرة وكثيرة.

وجاء في كتاب الرضي شرح الكافية : واعلم أنه إذا لم يأت للاسم إلا جمع القلة كأرجل، أو جمع الكثرة كرجال في الرجل، وكذا كل جمع تكسير للرباعي الأصلي حروفه، وكما لا يجمع إلا جمعه كأجاول ومصانع، فهو مشترك بين القلة والكثرة، وقد يستعار أحدهما للآخر مع وجود ذلك الآخر كقوله : ثلاثة «قروء»، مع وجود «أقراء»، ولا يأتي ليوم جمع سوى أيام، وقال ابن منظور في لسان العرب : اليوم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، والجمع أيام، لا يكسر إلا على ذلك، ولم يستعملوا فيه جمع الكثرة (مادة : ي ، و ، م).

فاتضح من هذا أنه سواء كانت عشرة أيام أو أضعاف مضاعفة منها، تستعمل لها أيام [1].

الآية:

تسمى الأعمال التي تصدر من الأنبياء كخوارق للعادة معجزة، ولكن هذا المصطلح لا يصح لأسباب عدة.

أولاً- لم ترد في القرآن والسنة هذه الكلمة، وإنما الذي ورد في معناها كلمة (الآية) و(البرهان)، وكلتاهما تدلان على مفهومها بكل وضوح، أما المتقدمون من المحدثين فقد استعملوا مكانها كلمة (الدلائل) و(العلامات) التي ترادف ألفاظ القرآن المستعمل في هذا المعنى.

ثانياً: أن كلمة (المعجزة) بدأت تحمل مفاهيم خاصة لا تصح في أي حال، مثلاً تعتقد طبقة الجمهور أن (المعجزة) هي عمل يقوم به

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٢٥٤ – ٢٦٠.

نبي نفسه، ويصدر ذلك من جوارحه المادية، كما أن كلمة (المعجزة) سبب تشويه الحقيقة، وجعلت الناس يؤمنون بأن الإعجاز داخل في حقيقة النبي، فلا يكون النبي نبياً بدون أن تظهر على يديه معجزة، وهذا خطأ جسيم يقع فيه كثير من الناس.

ولذلك فإننا نحتاج إلى كلمة جامعة تشمل جميع نواحي النبوة، الخارقة منها وغير الخارقة، وكيفياتها ومشاهداتها وخواصها أجمع، أما كلمة: (المعجزة) فلا تجمع هذه المعاني كلها.

الإيمان بالغيب:

اشترط القرآن للتقوى الحقيقية أن تكون متصفة بالإيمان بالغيب، قال الله عز وجل: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٢ ـ ٣]، فللاطلاع على تفسير «يؤمنون بالغيب» لا بد لنا من التأمل في كلمة: «الغيب»، وقد تعددت آراء المفسرين في شرح هذه الكلمة، وهي تتلخص في عدة نقاط:

- المراد من الغيب: الله، لأنه يغيب عن الرؤية بالأعين المادية.
- الغيب: تعني القضاء والقدر.
- الغيب: القرآن المجيد وكل ما أخبر فيه عن معاني الغيب.
- الغيب: القلب، فالمتقون هم الذين يؤمنون بالقلب.
- قوانين الإسلام التي تكون خلافاً للعقل هي الغيب.
- تدعي فرقة أن المراد من الغيب الإمام المهدي الذي يختفي من الأعين.

وقال الإمام أبو مسلم الأصفهاني: الغيب مصدر في معنى اسم الفاعل، وهو حال في الجملة.

وعند جمهور المفسرين كان معنى الغيب : الأمور الغيبية ، مثل الله والرسل .

وروي عن كثير من الصحابة أن المراد من الغيب : الجنة وجهنم والبعث بعد الموت ، وعذاب القبر ، والميزان والصراط .

إن نظرة عابرة على هذه الأقوال تكشف أن تفسير «الغيب» بالقضاء والقرآن المجيد ، وبالقلب ، والإمام المهدي تفسير جائر ، وفي تفسير الأصفهاني شيء من الكلفة ، أما الآراء الأخرى فهي متحدة الأهداف رغم تفاوت قليل أو كثير في المعنى ، وفكرة واحدة عبرت عنها في كلمات مختلفة ، وخلاصتها أن هناك نوعين من الكلام في كل ديانة .

أولاً : الكلام الذي يمكن تجربته أو مشاهدته بالحواس ، وتستمر ، وبتعبير آخر : الكلام الذي يتعلق بالماديات والطبيعيات .

ثانيا : الأمور التي هي خارج حواسنا ، وهي تعرف بما بعد الطبيعيات أو الروحانيات [١] .

البخل:

البخل من الأمراض الأساسية ، وهو أساس كثير من الأخلاق الدنيئة ، فالخيانة والفساد الخلقي ، وعدم الاستحياء والغلظة وسوء التعامل والدناءة تنشأ منه ، ويتفرع منه الحرص والطمع وضيق النظر والجبن والخسة وغيرها من الأمراض الأخرى ، فلما جاء الإسلام قضى أول ما قضى على أساس هذا المرض بعد الكذب ، واعتبر إطعام الجائعين وإلباس العراة وإعطاء المساكين ومستحقيها ، وهي أكبر فريضة بعد الصلاة ، حينما ذكر رسول الله ﷺ أمام أم المؤمنين خديجة رضي الله

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ١٧٥ — ١٧٧.

عنها حال قدوم جبرئيل عليه السلام إليه، وقالت خديجة نظراً إلى هذه الدلائل: كلا! والله لايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، {صحيح البخاري، رقم: ٣، عن عائشة رضي الله عنها}.

تدبر أن الصفة التي تحمل أهميةً كبيرةً بين هذه الصفات البدائية للنبوة أن النبي ﷺ كان لا يبخل، وإلا ما كانت هذه الصفات للجود من خصائص النبوة.

البخل من الأمراض التي تنتج من عدم الإيمان الكامل بجزاء الأعمال، لأن الذين لا يؤقنون بجزاء الأعمال لا يحملون دافعاً على إنفاق مالهم الذي كسبوه من جهدهم في سبيل الله تعالى، إن سورة المدثر من السور التي نزلت في بداية الإسلام، ذكر فيها حوار لأهل جهنم أنهم حينما يسألون: لماذا أدخلوا في جهنم، يقولون: إنهم كانوا لا يصلون ولا يطعمون المساكين وينتقدون الدين الإلهي، وذلك أنهم لا يؤمنون بيوم الدين، قال عز وجل: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ، قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة المدثر: ٤٢-٤٥]، فظهر من هذا أن البخل يصل بالإنسان إلى جهنم، وكان ذلك نتيجة عدم الإيمان بجزاء الأعمال، هذه النكتة أعيدت في سورة الماعون التي هي من السور المكية، قال عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ، فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ، وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون: ١-٣].

إن أكبر مثال للبخل في القرآن هو قارون الذي وردت قصته

في سورة القصص، قال عز وجل: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، .... أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً﴾ [٧٦ـ ٧٨]، وكان قارون العصر المحمدي أبا لهب، فقيل عنه: ﴿مَآ أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [سورة اللهب: ٢] (١).

برزخ:

وردت كلمة «برزخ» في القرآن الكريم ثلاث مرات، معناها: الحاجزبين شيئين، ففي سورة الرحمن جاء ذكر البحرين أحدهما عذب فرات، وثانيها ملح أجاج، وبينهما جدار سميك ينفصل بعضهما من بعض، قال الله عز وجل: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٠]، وجاء مثله في سورة الفرقان قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ [سورة الفرقان: ٥٣]، نظراً إلى هذا يعرف المكان الذي يحول بين الحياة الحاضرة والحياة الأخروية بالبرزخ، جاء في سورة «المؤمنون» ضمن ذكر احتضار الإنسان: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٠]، وهذا المنزل المتوسط المعروف بالبرزخ هو القبر عند العرب وغيرهم، سواء كان الميت تحت التراب أو في قعر البحر أو في بطون الطيور والسباع، فقال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٠٢-٣٠٨

[سورة الحج: ٧] وليعلم أن هذا البعث لا يختص بالرجال الذين هم تحت أكوام من التراب، بل يعم جميع الموتى، في أي صورة كانت، فالمراد من القبر كل مكان انتقل إليه الجسد بعد الموت [١].

بعل:

هذا الصنم إله أهل الشام، واستعمله القرآن بهذا المعنى أيضاً، أما بعل فمعناه اللغوي: القوة، واستعير منه معنى السيد والزوج، فكثيراً ما استعمل في المعنى الثاني، هبل صنم مشهور لقريش، وهو شكل محرف لبعل، ففي العبرية «ه» كلمة التعريف، وبعل يسمى بـ «هبعل» أيضاً، صورته مثل صورة الإنسان، صنع من حجر العقيق [٢].

البغي

معنى البغي لغةً: الاعتداء على أحد، والتطاول على أحد، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة ص: ٢٢]، ولو مُنح الناس المال بكثرة، لأفسدوا في الأرض، قال عز من قائل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الشورى: ٢٧]، ورد في نفس السورة: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الشورى: ٤٢]، تعلم من هذه الآيات أن معنى البغي الاعتداء على الآخر [٣].

---

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٣٣٠.
(٢) أرض القرآن ج/ ٢ ص/ ١٧٩-١٨٣.
(٣) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٧٢

البهتان:

البهتان هو أن يعتبر رجل برئي مجرماً متعمداً، أو ينسب إليه ذنب أو سوء لم يفعله هو، فهذا نوع من الكذب، بل الواقع أن القرآن سمَّاه خيانةً، وقد لا يكون لبهتان أصلٌ، لكن يرفع إلى بريئ على سبيل الإفساد، وللإساءة إليه، فعرف ذلك في القرآن بالإفك، فكلا الأمرين كذب وزور، ورغم أنهما مضادان للكرامة والشرف، فالذين يشاركون في قذف هذا البهتان عمداً أو سهواً، إنما هم مذنبون وخائنون.

كانت في الزمن الجاهلي عادة سيئة، وهي أن كانت المرأة ترتبط مع عدة رجال، ثم إذا ولدت تنسب إلى واحد منهم ابنها، أو يلحق ولدها المولود إلى واحد منهم، عبَّر عنه القرآن بالبهتان، وأمر النبي الحبيب ﷺ أن مثل هذه المرأة إذا جاءت فبايع على أن لا ترتكب مثل هذا الفحش، قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [سورة الممتحنة: ١٢].

إن تناول مسلم مسلماً بأدنى إيذاء عادة شنيعة، ثم إيذاء بافتراء البهتان عليه بدون أي جريرة، أشنع وأفظع، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠].

إن توجيه التهمة إلى النساء الكريمات عبارة عن تعريض حرماتهن للخطر، فقد عين عقاب ذلك في الدنيا أنه يجلد إن لم يقدم الشهادة على دعواه، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ

شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ [سورة النور : ٤ـ٥]، نقدر فداحة هذا السوء من هذا أن المفتري اعتبر فاسقاً، وكانت شهادته ساقطةً على وجه دائم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني أبو القاسم نبي التوبة ﷺ قال: من قذف مملوكه وهو بريئ مما قال: جلد له يوم القيامة حداً. {سنن أبي داوود: ٥١٥٦} كأن هذا عقاب مثالي للقذف (التهمة الجائزة) [١].

التبذير:

التبذير أن ينفق الإنسان مالاً أكثر من مكانته ومناسبته، إن الإسلام جاء في جزيرة العرب، وكان التبذير بالغاً إلى آخر حد فيها، فإنه قد فرض الحظر على التبذير، وأمر بالإنفاق نظراً إلى حدوده، ولا شك أن الثروة القومية تفنى بمثل هذا البذل والإنفاق فناءً فاحشاً، ولا يحصل أي فائدة للقوم، هذا التبذير عامةً يكون في لباس الفخر والكبر.

وقد اعتبر القرآن المبذرين إخوان الشياطين، قال الله عز وجل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوْا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [سورة إسرائيل: ٢٦ـ٢٧]، فثبت من القطعة الأخيرة للآية الكريمة أن التبذير كفران للنعمة، وقال الإمام الرازي: قال بعض العلماء: خرجت هذه الآية وفق عادة العرب، وذلك لأنهم كانوا يجمعون الأموال بالنهب والغارة، ثم كانوا ينفقونها في طلب الخيلاء والتفاخر، وكان المشركون من غيرهم ينفقون أموالهم، ليصدوا

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٨٩-٢٩١

الناس عن الإسلام وإهانة أهله، وإعانة أعدائه، فنزلت هذه الآية تنبيهاً على قبح أعمالهم في هذا الباب.

ولا يأتي في نفس أحد أن الإسلام يرجح جانب الضعف والخسة، بل يشجع جانب الكفاف في كل شيئ، في الأكل والشرب واللباس، وعلى كل إنسان أن يكون في دائرته من الوسطية والاعتدال، ولا يخرج منها، قال الله عز وجل: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

ليس هنا عمل خير من الصدقات والخيرات، فقد قال بعض المفسرين: إنه ليس من الحسن أن ينفق الإنسان أكثر من مكانته ومرتبته، قال الله عز وجل: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٢][1].

التزكية:

معنى كلمة زكى لغةً: طهر، ونظف، استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في معنى أن تطهر النفس البشرية من كل نوع من النجاسة والرجس، وتصقل مرآتها من الصدأ وتُجلى، وقال الله عزوجل في سورة الشمس: [٧ ـ ١٠]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٣ـ١٤]، وقد اعتبر القرآن ثمرة دعوة الإسلام في موضع بكلمة تزكية وتزكى، وقال الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَن جَآءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ١ـ ٤].

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٤٣-٣٤٥

قد انكشف من هذه الآيات مدلول التزكية في القرآن الكريم، والتزكية من أهم أهداف بعثة النبي ﷺ، وكان من وظيفته أن يجلي النفوس البشرية، ويطهرها من السيئات والنجاسات، ويحليها بحلى الأخلاق والأعمال، وقد اعترف بهذه الصفة القاصي والداني من الناس، حتى أعداء الإسلام [١].

التطفيف:

التطفيف من أهم أنواع السرقة، وكثيراً ما يبتلى به التجار، ويضرون بالفقراء، ولا شك أن من قوانين الله الفطرية العدل، وهو يقتضي أن يعطى كل ذي حق حقه، وهو ما يعرف بالميزان الذي أقامه الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِى الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ الْمِيزَانَ﴾ [سورة الرحمن: ٩] ويوزن عمل وقول كل إنسان بهذا الميزان ويبقى به نظام العالم.

النقص في الكيل والوزن غمط حق الآخر، الذي يزيده الرجل في الأخذ، وينقصه في الإعطاء، ويقبض مال غيره بضعف الإيمان، وهذا نوع من السرقة، فجاء التحذير في القرآن الكريم منه، كان قوم شعيب عليه السلام تجاراً، فتكرر ذكر ملاحظة الإيمان في الكيل والوزن، وقال شعيب عليه السلام: ﴿أَوْفُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ، وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٨٣].

إن هذا المرض ينتج من أن الناس ينسون الله عز وجل، ولا

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٠

يذكرون أن الله تعالى سوف يحاسبهم يوم القيامة، فقد جاء في سورة المطففين علاج لهذا المرض: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

التقوى :

التقوى أصلها: وقوى، معناها الاجتناب والاحتراس، لكنها في اصطلاح الوحي المحمدي عبارة عن حالة القلب التي تستحضر وجود قدرة الله تعالى كل حين وآن، وتميِّز بين الخير والشر، وتكون سبباً لممارسة أعمال الخير والنفور من الشر، وبتعبير آخر: هي اسم ليقظة الضمير التي ترغب صاحبها في أداء أوامر الله تعالى بكل نشاط ورغبة، وتبعده من مخالفتها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ضمن بيان أركان الحج: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢]، فاتضح من هذه الآية أن التقوى تكون في القلب الذي يحمل في طيه الكيفية الإيجابية نحو أعمال الخير والطاعة، وينشط للقيام بأعمال الخير ويملؤها من تعظيم شعائر الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ٣]، وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «التقوى ههنا»، وأشار النبي ﷺ إلى صدره ثلاثاً، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن التقوى حالة خاصة بالقلب.

إذا أردنا أن نلخص تعاليم الرسول ﷺ في كلمة فقط فيمكننا

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣١٤-٣١٦

أن يعبر عنها بالتقوى، لأنّ غاية الشريعة الإسلامية إنشاء روح التقوى في قالب كل عمل، وقد أعلن القرآن في سورته الثانية من حيث الترتيب أن المتقين يستفيدون منه كل الاستفادة : قال الله عز وجل : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] .

إن عبادات الإسلام كلها شُرعت للحصول على التقوى، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة : ٢١]. وقال عن الحج : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج : ٣٢]، وقال عن الأضاحي : ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [سورة الحج : ٣٧]، ويريد الله أن يكون سجود المرء له في المساجد على أساس من التقوى فقال : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة : ١٠٩]، وقال : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [سورة التوبة : ١٠٨]، وإن التقوى هي خير زاد للإنسان في حياته والحاج في سفره إلى بيت الله عز وجل بدلاً من الأموال والأمتعة المادية، قال الله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [سورة البقرة : ١٩٧]، وإن لباس التقوى أفضل من ألبستنا المادية المزركشة، قال الله تعالى : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف : ٢٦] ، ويقوم صرح الخلق الإسلامي على هذا الأساس قال الله تعالى : ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة : ٢٣٧] وقال : ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة : ٨]، وقال : ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] وقال : ﴿وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٤) وقال : ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّهَ

[سورة النساء : ١٢٨] .

إن أهل التقوى ينالون جميع النعم الأخروية، وهم جديرون بها، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [سورة الدخان: ٥١]، ويقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [سورة الطور: ١٧]، ويقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الذاريات : ١٥]، ويقول : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٤]، ويقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]، ويقول: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، ويقول: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ [سورة النبأ : ٣١] ويقول : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [سورة ص : ٤٩] .

إن المتقين هم أحباء الله وأولياؤه، إذا آثروا رضا الله تعالى في أعمالهم ونشاطاتهم، ولم يتوخوا جزاءهم في صورة ثناء إنسان، على عملهم، أو الجائزة أو التقرب إليه فأكرمهم الله تعالى بجزاء حبهم، وبالتالي يوضع لهم القبول العام والحب الصادق والاحترام البالغ في قلوب العباد، قال الله تعالى : ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الأنفال : ٣٤]، وقال : ﴿فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران : ٧٦]، وقال: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة : ٤] وقال: ﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الجاثية : ١٩].

يسعد أهل التقوى بشرف معية الله تعالى ونصره وتوفيقه في جميع الأحوال، وإذا كان توفيق الله حليف المرء فمن يهزمه ؟ قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤] ﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٣] ويمكن أن يباشر الإنسان عمله لآلاف من الأغراض، لكن الله لا يتقبل إلا من

المتقين، كما قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وبعد ما علمنا أن التقوى هي الغاية الحقيقية لتعاليم الإسلام، وجوهر أحكامه، وأن جميع النعم الدنيوية والأخروية لأهل التقوى، يجدر بنا أن نعرف من هم المتقون؟ فقد أجاب القرآن الكريم عنه، وجوابه مختصر للغاية، وذلك ما جاء في سورة الزمر: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ❖ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣ـ٣٤] وقد وصف الله أهل التقوى وصفاً كاملاً في سورة البقرة فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوْا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

لم تذكر في هذه الآية صفات المتقين فحسب، بل تجلت منها ملامح أمورهم وأسرة وجوههم، وأخبر بأن المتقين هم الصادقون والمرضيون عند الله تعالى.

إن التقوى تحمل في الإسلام أهمية كبيرة تزول بها جميع الفوارق الإنسانية القائمة على أساس القوم واللون والوطن واللغة والأسرة والمال والنسب، فقد محا الإسلام مئات من المراتب المصطنعة في النوع البشري، وجعلها ميزاناً للأعمال الصالحة، والتقوى روح جميع الحسنات، فقد صدع القرآن بهذا الإعلان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، وقال ﷺ في كلمتين وجيزتين: الكرم التقوى [١]، وأعلن في حجة الوداع: لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي، على غربي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى [٢].

التوكل:

التوكل كلمة ذات أهمية من مصطلحات القرآن الكريم، يرى عامة الناس أن معناها البطالة والامتناع عن العمل جلوساً في المعتكف أو الزاوية، وإيماناً بأن الله تعالى يفعل ما يشاء، ولا حاجة إلى اختيار الأسباب والتدابير اللازمة للأمر، الحقيقة أن هذا وهم وخيال، ونظرية معسولة للرجال العجزة المتدينين، ولا علاقة لها بالإسلام في شيء.

إن معنى التوكل لغةً: الاعتماد على شيئ، وفي اصطلاح الشرع هو الاعتماد على الله مع اختيار أدوات العمل كلها بكل قوة وعزم، وسعي وجهد، بالإيقان بأن الله سيكلّله بالنجاح إن كان فيه خير وصلاح لصاحبه، فإذا كان عدم الجهد والسعي وإهمال التدبير عبارةً عن التوكل ما بعث الله الأنبياء والرسل لإفهام الناس، وما أكد لهم إبلاغ رسالته إلى كافة الناس، وما أمرهم بتضحية الأموال

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ويقولون: الكرم، إنما الكرم قلب المؤمن (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: إنما الكرم قلب المؤمن رقم الحديث/٦١٨٣).

(٢) سيرة النبي ج/٥. ص: ٢١٨ — ٢٢٣ بتلخيص.

والأنفس في سبيله، وما كانت الحاجة في ساحات بدر وأحد والخندق وحنين إلى الكماة والرماة والأبطال والشجعان، وما اضطر الرسول ﷺ إلى إيصال دعوته إلى كل قبيلة.

فالتوكل مفتاح رئيس لنجاح المسلمين، يأمر الله عز وجل المسلمين أنهم إذا أصيبوا بقتال أو ببلية فعليهم أن يتشيروا من الرجال المعنيين به، وإذا تركزت آراؤهم على نقطة واحدة فالواجب عليهم أن يهبوا للقيام بها، ويبدؤا ذلك العمل بكل نشاط ورغبة ويتوكلوا على الله إيماناً بأنه سيثمر جهدهم حسب مشيئته، وإذا لم تظهر النتيجة حسب إرادتهم فعليهم أن يتصوروا أن وراء ذلك حكمةً ومصلحةً ومشيئةً لله تعالى، ولا ييأسوا، وإذا ظهرت النتيجة حسب رأيهم فلا يغتروا بأن هذا نتيجة جهودهم وتدابيرهم، بل ليفهموا أنه فضل الله عليهم، وأنه أكرمهم بالنجاح والفوز في هذا الأمر، قال الله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ❖ إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ، وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩ — ١٦٠].

هذه الآيات قد كشفت معنى التوكل وحقيقته وأهميته أن التوكل ليس معنى العجز وترك العمل، إن المنافقين كانوا يؤامرون مؤامرةً شنيعةً ضد الإسلام والمسلمين صباح مساء، فأمر الله تعالى محمداً ﷺ أن لا يبالي مكرهم الخبيث ويتوكل على الله تعالى، وهو الذي يتولى أمره وشأنه، قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ [سورة النساء: ٨١]، لما أمر الله محمداً

ﷺ في فجر الإسلام بأن يصدع بدعوته بعد مواصلة عمله الدعوي ثلاث سنين سرياً، علّمه بأن لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يقدِّر قوة الأعداء وكثرة مخالفيه، ووجهه إلى التوكل على الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ❖ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ❖ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ❖ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ❖ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ❖ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤ — ٢١٩].

فبالرغم من أن النبي ﷺ كان محاطاً بأنواع من مؤامرات الأعداء، لكنه كان يستخبر أحوال المسلمين العابدين ساهراً وحده في الليالي، هذه الجراءة وعدم الخوف نتيجة لهذا التوكل على الله تعالى، وقد أمر المؤمنون بالاعتماد عليه في الضراء، وإن بداية سورة الأحزاب كما تخبر المسلمين بعدم الاكتراث بالجهود المناوئة للمنافقين والكافرين والاشتغال بأعمالهم، كذلك تسلط الضوء على هذا التوكل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ❖ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ١-٤٢]، وقد قال الله تبارك وتعالى بعد ما ذكر قتال المسلمين، مع الكافرين باستمرارية: إن جنح الكافرون للصلح فاجنحوا لهم، وصالحوهم، ولا تظنوا أن هؤلاء يخدعون، وتوكلوا على الله، فإنه يخيِّب آمالهم فيبور مكرهم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❖ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦١ — ٦٢].

وقد أرشد الله تعالى محمداً ﷺ في مواجهة مصايب تبليغ الإسلام ونشره، إلى التوكل والاعتماد على الله، الذي لا يفنى ولا يبيد، قال عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ❖ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ❖ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان: ٥٦ ـ ٥٨] أمر الرسول ﷺ بأن يواصل عمله بكل اهتمام، ولا يبالي بالأعداء وأن يتوكلوا على الله الذي لا إله إلا هو، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٩]، إن اختلافات المسلمين تحتاج إلى حكم الله وقضائه، وهو الذي يُتوكل عليه في الشدة والرخاء: قال الله عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللّهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: ١٠].

هذا، وأمثاله من آيات القرآن الكريم حول التوكل بين أيديكم، إذا تأملنا فيها عرفنا أنها ليست في المعنى الذي نفهمه بسوء فهمنا وجهلنا، بل معناها أن لا نبالي بالمشكلات وكثرة العوائق والجهود المناوئة الشديدة، ونشتغل بأعمالنا بقوة وإرادة صادقة، مؤقنين بظهور نتيجة وفق السعي المبذول، وقد ورد في الأحاديث النبوية عن أنس بن مالك قال: جاء رجل على ناقة له، فقال: يا رسول الله ﷺ! أدعها وأتوكل؟ فقال: اعقلها وتوكل[1]، هذه الرواية وإن لم تكن قوية لكنها توافق معاني القرآن الكريم.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ١٢٠٩.

يؤمن بعض الناس بالرقية والشعوذة والسحر ويعتقدون أن حصول الأسباب المادية بهذه الوسائط عبارة عن التوكل، وكان يتصور مثل هذه النظرية المتوهمون في العصر الجاهلي، لكن الرسول ﷺ رفض هذا الخيال رفضاً باتاً، وقال: قال الله تعالى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون [١] وقال ﷺ: من اكتوى أو استرقى فهو برئ من التوكل [٢] ليس المقصود من هذا نفي التدبير بل استئصال الخرافات الجاهلية، وقال ﷺ بمناسبة: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً [٣] يدل هذا الحديث على أن التوكل ليس إهمال العمل أو نبذ التدبير، لأن الطيور لا توصل الأرزاق إلى أوكارها وأعشاشها، بل إنها تطير إلى الحقول والبساتين طلباً للرزق، فالمعنى أن الذين حرموا التوكل والاعتماد على الله تعالى تتضايق صدورهم للرزق، وهم يقترفون كل نوع من الكبائر والصغائر لحصوله، فلو كانوا مؤمنين بهذه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾ لما ارتكبوا السرقة، والنهب والقتل، والخيانة والغش، ولا ضاقت صدورهم، ولا يئسوا من مستقبلهم، بل حاولوا في طلب الرزق بأحسن طريق، ووجدوا رزقهم، وقد كشف قول الله عز وجل مفهوم

---

(١) متفق عليه (خ/٥٧٠٥ (م: ٢٢٠)

(٢) عن المغيرة بن شعبة، رواه الترمذي رقم الحديث/٢٠٥٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي: ٢٣٤٥، وقال: حديث حسن.

الأحاديث المذكورة أعلاه كشفاً صحيحاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ❖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣].

لقد تجلى مما سبق أن التوكل اسم لليقين القلبي، ويرادفه كلمة الثقة بالنفس في التعامل الراهن على حد كبير، ويقال: السعداء هم الذين توجد فيهم هذه الجوهرة الغالية، لكن يجاور الثقة بالنفس الكبر والاغترار بالنفس، لذلك أبدله الإسلام بالثقة بالله عز وجل التي هي مصونة من كل غائلة وشر[1].

الجار ذي القربى والجار الجنب:

اختلف المفسرون في معنى كلمتي «القربى» و «الجنب» فبعضهم يقول: معنى القربى: أولو الأرحام، ومعنى الجنب: الغريب، وابن السبيل، والذي لا قرابة بينك وبينه، أي الجار المجانب، وبعضهم يقول: معنى القربى أهل ملة واحدة، ومعنى الجنب: أهل ديانات أخرى مثل اليهود والنصارى والمشركين. {تفسير الطبري في تفسير الآية}.

الواقع أن هذا الاختلاف لا طائل فيه، إن غاية التعليم المحمدي أن الرجال الذين لهم صلة قوية بأناس سواء كانت هذه الصلة للقرابة أو الملة أو الصداقة والمودة، إضافةً إلى الجوار، جديرون بالتفضيل على الآخرين الذين ليست لهم إلا رابطة الجوار، وقد فسَّر رسول الله ﷺ هذا الحكم الإلهي في أحاديثه المختلفة، فالأولى في ذلك

---

(١) سيرة النبي ج/٥، ص: ٢٢٧ — ٢٣٤.

والأهم أنه اعتبر ثمرة الإيمان ونتيجته مباشرةً، مرة كان النبي ﷺ جالساً بين الصحابة، إذ قال بأسلوب شيق ممتع: والله لايؤمن - ثلاثاً - قيل: و من يا رسول الله! قال: لا يأمن جاره بوائقه، (متفق عليه عن أبي هريرة,خ٦٠١٦، م٤٦) وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (خ٥١٨١، م٤٧) وقد عدَّ رسول الله ﷺ الإحسان إلى الجار سبباً للتقرب إلى الله تعالى، فقال: خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله، خير لجاره {رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث: ١٩٤٤}، وقال تعليماً لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: مازال جبرئيل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه {متفق عليه خ ٦٠١٥، وم ٢٦٢٥}، وفي هذا إشارة إلى أن علاقة الجيران مثل علاقة أولي الأرحام وذوي القربى.

إن أفضل وسيلة لتوثيق العلاقات وتنمية الحب مع الجيران تبادل الهدايا والتحف، وقد يأمر النبي ﷺ أزواجهن بهذا الأمر، مرةً سألت عائشة رضي الله عنها: يارسول الله! إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً، (البخاري: ٢٢٥٩)، وهذه الهدية لا تعني شيئاً غالياً، بل تتأدى بشيئ تافه رخيص، وإذا لم يكن شيئ، فمرق، ولوكان كثير الماء، وقد نصح رسول الله ﷺ أبا ذر الصحابي المتوكل على الله كثيراً، يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك[1] {مسلم: ٢٦٢٥}.

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٣٦-١٣٨.

الجن:

الجن من خلائق الله عز وجل، قال أصحاب المعاجم: إن كلمة الجن مشتقة من جن، معناه: ستر واستتر، ذلك أن هذا الخلق يكون مختفياً عن أعين الناس فسمِّي بالجن، ومن العجب أن هذه الكلمة توجد في كل لغة من لغات العالم في نفس المعنى أو ما يقاربه، ففي اللغة الفرنسية جني (Genee)، وفي اللغة الإنجليزية (Genei) في المعنى نفسه، وإن الجني في اللغة العربية يماثل "جينيوس" (Genius) وجيني (Genii) في اللاطينية.

وقد ورد ذكر الجن والشيطان في الكتب السماوية أيضاً، فإن أكثر المعجزات لعيسى عليه السلام تشتمل على تخليص الناس والحيوانات من براثن الجن والشياطين، أخبر القرآن الكريم أن الجن خلقوا قبل الإنس، وهم من النار، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [سورة الحجر: ٢٦-٢٧] وقال: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [سورة الرحمن: ١٥].

كان للجن سيطرة على أذهان الناس في الزمن الجاهلي، فكانوا يعبدونهم[1] ويستغيثون منهم، ويبذلون الصداقة لمن كان عنده معرفة بالجن، ويعتمدون على أقاويل الكهان، وكانت

---

(١) وجاء فيما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ (الإسراء: ٥٧) قال: كان نفر من الجن أسلموا، وكانوا يعبدون، فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم، وقد أسلم النفر من الجن. (كتاب التفسير، رقم الحديث/ ٧٥٥٤).

السكاكين توضع تحت وسادة الأطفال في المنام، لأن الجن لا يقتربون منهم بسببها، وكان العرب يعتقدون أن لكل شاعر جنياً، ومن أساطيرهم أن الجن يتجولون على الشوارع والطرقات وفي مجتمعات الناس بتغيير أشكالهم، ويتناولونهم بالأذى، وهم يتصرفون في الكون كيفما شاءوا، ويقتلون الناس في الغابات ويختطفونهم من الطرقات، ويمرضونهم ويتسلطون على عقولهم وأذهانهم، فكما أن العرب كانوا يشركون الآلهة والإلهات في ألوهية الله كذلك كانوا يضمونهم إليها أيضاً، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠] وقال: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ [سورة الصافات: ١٥٨] وقال: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة سبأ: ٤١].

لما جاء الإسلام فَنَّدَ هذه المعتقدات الباطلة، وعلّم الناس بأن هناك قوةً فقط، وهي قوة الله عز وجل، وأخبر الإسلام بأن الجن أيضاً عاجزون مستكينون كالإنس، وهم أيضاً من خلائق الله، ففيهم الكافر والمؤمن، والسعيد والشقي، وهم مكلفون للعمل بالشريعة الإسلامية والاعتقاد بالتوحيد والرسالة كعامة الناس، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] (١)

الجنة:

إن الجنة هي مأوى الصالحين والصالحات من البشر، وقد

---

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٢٩٨ – ٣٠٠.

ورد ذكرها في القرآن مفردةً ومركبةً، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [سورة البقرة: ٨٢]، وجاءت مركبةً مثل: جنة النعيم وجنة الخلد، وجنّات عدن، وجنة المأوى، وهناك أسماء للجنة وردت في القرآن الكريم أمثال فردوس، روضة، دار الخلد، دار المقامة، دار السلام.

فالجنة عبارة عن عالم تكون نعمه خالدةً، وأفراحه باقيةً، بحيث تكون الحياة دون الموت، والراحة دون الأذى، واللذة دون الألم، والفرح دون الحزن، والهدوء دون الهلع، وقد مثل الشيطان أمام آدم عليه السلام الجنة قائلاً: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، وقال الله عز وجل: ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيراً﴾ [الفرقان: ١٥][1].

الجِهَاد:

يراد من كلمة «الجهاد» عامةً معنى القتال والحرب، لكن تحديد هذا المفهوم بالقتال خطأٌ، لأن الجهاد مشتق من «جهد»، فالجهاد والمجاهدة مصدران من «جهد» على وزن المفاعلة، ومعناه لغةً: السعي، ومعناه اصطلاحاً: بذل كل ما يمكن من السعي في إعلاء كلمة الله، ونشرها وصيانتها، واستخدام جميع الاستعدادات البدنية والمالية والعقلية التي أنعم الله بها على صاحبها في سبيله، حتى لا يتلكأ في فداء الأقارب والأهل والأسر والقوم للدين، وفي إزهاق جهود المناوئين للإسلام وإحباطها، ومدافعة هجومهم، وإذا كانت الحاجة للقتال في

---

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٤١٦.

ميدان الحرب فالاستعداد الكامل له عبارة عن الجهاد، والجهاد ركن للإسلام وذروة سنامه، وعبادة عظيمة فيه.

استعمل القرآن مقابل «الجهاد» كلمة القعود التي تدل على الكسل والغفلة وترك الفريضة، قال الله عز وجل في سورة النساء: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة النساء: ٩٥].

هناك شبهة لا بد من دحضها، وهي أن كثيراً من الناس يظنون أن الجهاد والقتال معناهما واحد، غير أن الأمر بالعكس، وردت كلتا الكلمتين في القرآن الكريم لمعنيين خاصين، فليس معناهما واحد، بل يوجد بينهما عموم وخصوص من وجه، فليس كل جهاد قتالاً، بل إن القتال أحد أقسام الجهاد، فقد لوحظ الفرق بين الجهاد والقتال في القرآن الكريم، فهناك جهاد بالنفس وجهاد بالعلم وجهاد بالمال في ضوء آيات القرآن الكريم، وقد قال العلماء الربانيون: إن أفضل أقسام الجهاد هو الجهاد بالنفس، وهذا هو الجهاد الأكبر، عن أبي جابر رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ من غزاة له، فقال لهم رسول الله ﷺ: قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ﷺ، قال: مجاهدة العبد هواه[1] وورد في كنز العمال: أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله {رقم الحديث:

(١) تاريخ بغداد ج/١٣، ص: ٥٢٣- ٥٢٤

١١٢٦٥} وروي عنه : ليس عدوك الذي يقتلك، فيدخلك الله به الجنة، وإن قتلته كان لك نوراً، ولكن أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك، وامرأتك التي تضاجعك (١١٢٦٣) وفي رواية زيادة : وولدك الذي من صلبك، فهؤلاء أعدى عدو لك (١١٢٦٤) .

إن هذه الأحاديث وإن كانت ضعيفةً من حيث الرواية، لكن معناها ثابت من بعض الأحاديث الصحاح، وهي تفسير لهذه الآية الكريمة : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٩]، فقد أرشد الله تعالى المسلمين في سورة العنكبوت إلى الثبات على الحق عند كل مصيبة وأذى وإلى عدم الخوف، وذكر مواقف الأنبياء السابقين أنهم كيف تحمَّلوا المشاق، ففازوا برضا الله تعالى، ولقي أعداؤهم مصيرهم المشئوم، قال الله تعالى في مفتتح هذه السورة: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت : ٦]، هذا الجهاد هو معراج النجاح ووسيلة الرقيّ الروحي، قال الله تعالى في سورة الحج : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الحج : ٧٨]، فهذا الجهد في الله هو الجهاد الأكبر، الذي يقوم عليه صرح الملة الإبراهيمية، وقد ورد في جامع الترمذي، والطبراني والحاكم وصحيح ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: المجاهد من جاهد نفسه {سنن الترمذي: ٤٧٠٨}، وفي الجامع الصحيح للإمام مسلم رحمه الله : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٢٦٠٩) أي الذي يصارع البطل ويقهر الخصم

الذي يكمن في صدره .

أما الجهاد بالعلم فهو في الواقع الجهاد بالقرآن، وإن الشر والفتنة ينتجان من الجهل، فيجب إزالتهما على رجل يحمل علماً ضئيلاً، إن قوة السيف لا تؤثر في القلب مثلما تؤثر فيه قوة الدلائل والبراهين ، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل : ١٢٥]، وقد مُنح محمد ﷺ معجزة القرآن الكريم لإزالة الأمراض الروحية، وأمر ﷺ بالجهاد به، قال الله عز وجل : ﴿فَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [سورة الفرقان : ٢٥]، وقد قال الإمام أبو بكر الرازي الحنفي في أحكام القرآن : إن درجة الجهاد بالعلم أفضل من الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، وإن ما أعطى الله الإنسان من المال حقه أن يبذل ابتغاءً لوجه الله عز وجل، فلا يقل أهمية الجهاد بالمال، وإن ما قام الصحابة الكرام به من الجهاد بالمال في أحرج عهود الإسلام رغم فقرهم وإفلاسهم بتربية النبي ﷺ هو باب مشرق في تاريخ الإسلام، واخضرت بسقياهم حدائق الدين الإسلامي، فلهم مكانة عالية في الإسلام، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنفال : ٧٢].

قد وردت في القرآن الكريم آيات، تحرِّض المسلمين على الجهاد بالمال، بل قلما وردت آيات لا يوجد فيها ذكر للجهاد بالمال، والجدير بالذكر أن الله عز وجل قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في كل موضع، قال الله عز وجل: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة التوبة : ٤١]، وقال : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات : ١٥] وقال : ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [سورة النساء : ٩٥]، إن هناك أسباباً على هذا التقديم، منها أن الاشتراك البدني في ميدان الحرب لا يمكن لكل رجل، لكن الاشتراك المالي سهل لجميع الناس، وأن الجهاد بالجسم لا تمس حاجته كل وقت، لكن الجهاد بالمال يبقى كل حين وآن، وهذا من ضعف طبيعة الإنسان أن حب ماله يتغلب على حب نفسه .

وهناك أنواع جزئية للجهاد في ضوء الأحاديث النبوية .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ﷺ: ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور {صحيح البخاري كتاب الجهاد رقم الحديث : ٢٧٨٤} .

وعن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله : أ أجاهد ؟ قال : ألك أبوان ؟ قال: نعم، قال : ففيهما فجاهد {سنن أبي داود : ٢٥٣١} .

وكذلك قول كلمة حق في أخطر الأحوال نوع من الجهاد، جاء في سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائرٍ{رقم الحديث : ٤٣٤٦} .

إن الجهاد بالنفس الذي مر ذكره آنفاً لا تأتي مناسبته للمسلم كل وقت، فإذا أتت أمكن ذلك في العمر مرةً أو مرتين على الأقل،

لكن الجهاد الدائم في سبيل الله تعالى هوالذي يكثر وقوعه للمسلم كل وقت، وهو ما فرض على كل رجل من أمة محمد رسول الله ﷺ أن يحمي دينه، وينشر رسالته، وينصره ويمد الفقراء، ويساعد العالة، ويرشد الضالين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقيم العدل، ويرد الظلم، ويشتغل بالامتثال لأوامر الله تعالى كل وقت، حتى يكون كل نشاط حياته جهاداً، وتكون حياته سلسلة غير منقطعة له، إن آخر آية من سورة آل عمران التي تشتمل على أحكام تفصيلية للجهاد تؤكده تأكيداً بالغاً، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠].

هذا هو الجهاد المحمدي، الذي يعتبر مفتاح نجاح المسلمين ورمزاً لفتحهم وغلبتهم [١].

الحرص:

الحرص أو الطمع هو المرض الذي ينتج من دناءة النفس، وإذا كان الحرص والطمع ممتزجاً بالبخل يعرف في اللغة العربية بالشح، وورد ذم ذلك مراراً في القرآن الكريم، وإن سوء التعامل في الحياة العائلية يحدث جراء ذلك، فإن رب البيت لا يريد أن يعطي مالاً كثيراً، وأفراد أسرته يطلبون منه كثيراً، وإن الأزواج يكونون مولَعين بأموالهم التي كسبوها، فلا ينفقونها، رغم أن الزوجات يطلبن كثيراً فكثيراً، حرصاً وطمعاً، وقد ذكر القرآن علاج ذلك بأن

---

(١) سيرة النبي ج/٥، ص: ٢١٠ — ٢١٦.

يكون هناك إحسان إلى الآخر وإيثار على النفس، ويحب كل إنسان الراحة للآخر، ويشعر بأذاه، بذلك يكون البيت الذي كان بيت الهموم والأحزان بيت الطمأنينة والراحة، وقد ورد عن العلاقة بين الزوجين: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [سورة النساء: ١٢٨].

في هذا العصر التجاري يكون لكل شيئ جانب اقتصادي، فإن الإنسان إذا لم ينفق ماله ممسكاً طمعه وحرصه في أعمال الخير لا ينجح، سواء كان هذا النجاح للدين أو للدنيا، قال عز وجل: ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْراً لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة التغابن: ١٦]، وفي موضع آخر: ذكر ضمن صفات المسلمين أنهم يقدِّمون حاجيات الآخرين على أنفسهم، قال عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩] هذا ما يعرف بالإيثار، وهو ذريعة لنجاح كل قوم في الدنيا والدين، ولا ينال هذا إلا أن يكون الحرص والطمع زائلاً من النفس، لذلك قال عز وجل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١].

الحسد:

إذا أنعم الله على أحد بنعمة، ومنحه علماً وفضلاً، وأكرمه بالمال والتكريم والصيت الحسن أو أفاض عليه نعماً دنيوية أو دينية، فإذا اشتاق رجل إلى نيل هذه النعم بالنظر إليها، عرف ذلك في

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٠٨-٣١٠

الشريعه بالغبطة والمنافسة، وليس هذا سوء خلق، بل هو محمود في الشؤون الدينية، لكن إذا لم يحبه ذلك الرجل لأخيه، وينتمي أن تزول منه نعم الله كلها سمي ذلك بالحسد، وقد استنبط هذا الحد أيضاً من القرآن الكريم، لأن المسلمين قد أنعم الله عليهم بحيث أكرمهم بنعمتي القرآن والإيمان، فكلما رآهم اليهود احترقوا بغضاً وعداوة، قال الله عزوجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء: ٥٤] ويتمنون أن تزول هذه النعمة من المسلمين، قال الله عزوجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٩].

الحسد له ثلاثة أنواع:

النوع الأول هو أن يتمنى رجل زوال نعمة غيره، فلا تحصل لذاك ولا لهذا، وهذا نوع للحسد مذموم، فكان المنافقون يودون أن يكون المسلمون كافرين مثلهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [سورة النساء: ٨٩].

والنوع الثاني هو أن تحصل للحاسد تلك النعمة، ففي هذه الصورة تكون غايته إحراز هذه النعمة، لكن إذا لم تسلب تلك النعمة من الآخر لايجدها الأول، فتكون نيته أن تؤخذ من الأول وترد إليه.

أما النوع الثالث فهو أن رجلاً يريد أن ينال مثل النعم التي أكرم بها أخوه، لكنه لا يتمنى أبداً أن تسلب من أخيه.

فالنوع الأول مستنكر ومستهجن، وفي النوع الثاني لا يَهُون زوال النعمة هدفاً ولا غايةً، فلا يسمى حسداً في معنى الكلمة، لكن

القرآن الكريم أشار إليه قائلاً: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة النساء: ٣٢]، فثبت منه أن النعمة التي يتمتع بها رجل يستحسن طلبها بعينها، فيكون مذموماً، لكن حصول النعم الأخرى مثلها ليس عيباً، قال الله عزوجل: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء: ٣٢]، أما النوع الثالث فهو ليس مذموماً، بل مستحسن ومحمود في الأمور الدينية، ويعرف بالمسابقة.

للحسد أسباب، منها:

١. البغض والعداوة.
٢. الفكرة الخاطئة للاستعلاء الذاتي.
٣. فكرة إجبار رجلٍ أحداً على الانقياد والطاعة، ثم إذا ترك طاعته تمنى زوال شرفه وعزته.
٤. إن الناس تارة يظنون أحداً وضيعاً، ثم ينال هو شرفاً عظيماً فيتعجبون منه، وبالنظر إلى هذا العجب ينكرون شرفه كما كان الكفار ينكرون رسالة الرسل، ويقولون: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾ [سورة الإسراء: ٩٤].
٥. إذا كان هدف رجلين واحداً نظر بعضهما بعضاً غبطةً، ثم إذا حاز أحدهما غايته أساء الآخر ظنه إليه.
٦. طلب المنصب والجاه.
٧. خبث النفس وسوء القلب.

وقد أوجد الإسلام نظاماً عالمياً واسعاً لإبقاء الأخوة بين المسلمين، فكان يمكن أن تنشأ عاطفة الحسد بكل سهولة، ولكن جميع درجات وأسباب الحسد تكاد تضمحل في هذه الأخوة العالمية، فإن

السوءات التي تشتت شمل هذه الأخوة حذر منها رسول الله ﷺ، وقال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً [١]، ونقل الحافظ ابن حجر قول الإمام القرطبي في شرح هذا الحديث: المعنى كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة، لكن هذه الأخوة لا تقوم إلاّ إذا اجتنب هذه السوءات، وإلا تنشأ العداوة، وتفنى جميع خصائص الأخلاق التي هي نتيجة الأخوة، يكتب الحافظ ابن حجر هذا الحديث، كأنه قال: إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخواناً، ومفهومها إذا لم تتركوها تصيروا أعداء، ومعنى كونوا إخواناً اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً مما سبق ذكره، وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك نفياً وإثباتاً [٢].

وأخطر هذه السوءات الحسد، لأنه لا يخلو منه قلب، وقد أشار إلى ذلك حديث رسول الله ﷺ: الذي رواه عبد الرزاق ابن معمر في مصنفه: عن إسماعيل بن أمية قال: قال النبي الكريم ﷺ: «ثلاث لا يعجزهن ابن آدم: الطيرة وسوء الظن، والحسد، قال: فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به، وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءاً» [٣].

وهذا المرض إذا ظهر عملياً قضى على جميع مزايا الأخلاق، وقد حثّ النبي الكريم ﷺ على اجتناب هذا المرض

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.
(٢) فتح الباري: ج/١٠، ص: ٣٠٤.
(٣) مصنف عبد الرزاق باب الطيرة: ١٩٥٠٤.

قائلاً: إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب [١] فعلم منه أن الحسد أخطر شيء خلقياً، لذلك حذر الله النبي الكريم ﷺ والمسلمين جميعاً من فداحة هذا الخطر: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق: ٥].

حفظ الفروج:

استعمل القرآن للعفة وطهارة النفس كلمة "حفظ فروج"، والعفة روح المحاسن الخلقية التي تنتمي إلى الأعراض، فعدَّها الإسلام في الصفات النبيلة التي هي سور وجوه المسلمين، ومعنى الحفظ: الصيانة والوقاية، وكلمة فروج مجاز في استعمالها، والفرج هو الشق بين شيئين، ويطلق على الثغر الذي يخشى منه هجوم الأعداء، ويُراد به أيضاً عضو الناس الذي يكون بين رجلين، ويكون فيه خطر مجيئ العدو، ويضطر الإنسان إلى الإشراف والمراقبة عليه كل وقت، بواسطة ضباط أمن، فكان معنى العفة وتزكية النفس في هذه الكلمة أعمق وأرفع من كل شيئ [٢].

الحكم والعلم:

ورد في القرآن الكريم أنَّ الله تعالى منح كثيراً من الأنبياء حكماً وعلماً، معنى الحكم: القضاء، والتمييز بين الحق والباطل، قال الإمام راغب الأصفهاني: والحكم بالشيء أن تقضي بالشيء بأنه كذا، أو ليس كذا، ألزمت ذلك غيره أو لم تلزمه، وقال صاحب لسان العرب: الحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل.

---

(١) سنن أبي داوود: كتاب الأدب في الحسد

(٢) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٨٩.

إن الأنبياء الذين لم يثبت نزول كتاب عليهم أكرموا بالعلم والحكم، فاتضح منه أن هناك إشارة إلى فضل من الله خاص بهؤلاء الأنبياء غير الكتاب المنزل عليهم، فقال في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ [سورة يوسف: ٢٢] وقال عن لوط: ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ [سورة الأنبياء: ٧٤]، وقال عن داوود وسليمان عليه السلام: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩]، وقال مخاطباً يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [سورة مريم: ١٢]، وقال وهو يذكر نعمه على بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [سورة الجاثية: ١٦]، فعلم أن بين الكتاب والحكم والنبوة فرقاً، فلا يتخيل أحد أن المراد من الحكم هنا الحكومة الدنيوية والسلطة المادية، لأن هذا اللفظ لم يستعمل في هذا المعنى في اللغة العربية الأصيلة، وهو تعبير غير عربي، فقد استعمله القرآن في معنى القضاء وقوته، قال الله عز وجل ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص: ٢٢]، وقال: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص: ٢٦]، وقال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة المائدة: ٤٢]، وقد قضى داوود وسليمان عليهما السلام في قضية، قال الله عز وجل عنها: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٨]، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: ١٠]، والأولى من هذا والأهم أن العلم والحكم والنبوة ذكرت في سورة الأنعام بعد ذكر كثير من الأنبياء والرسل فقال: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٩]، فالأنبياء والرسل الذين ذكرت

أسماؤهم ما قبل الآية المذكورة أعلاه، وأشير إليهم هم إبراهيم، إسحاق، يعقوب، نوح، داوود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، عيسى، اليسع، يونس، لوط، فإذا أردنا من الحكم الحكومة والسلطة فلم يكرم في هؤلاء الثمانية عشر بها إلا اثنان: سليمان وداوود، ولو قمنا بشيء من التأويل لأضفنا إليها يوسف وموسى، أما البقية الآخرون فلم يجدوا شيئاً من ذلك، فعلم أن كلمة «الحكم» استعملت هنا في معنى القضاء وقوته، فقد منح الأنبياء هذه الموهبة بالإضافة إلى الكتاب.

ويؤيد هذا المعنى قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، خوطب في هذه الآية أهل الكتاب، وما جاء فيها من ذكر «بشر» إما يُراد منه عيسى عليه السلام أو محمد ﷺ، فإذا كان المراد منه محمداً ﷺ فكان هذا بمناسبة أن اليهود كانت لهم سلطة في ضواحي يثرب خاصة والحجاز عامة، وكان الإسلام في بداية أمره غريباً، فإكرامه بالحكم في هذه الآية ليس يعني إلا أمراً يشبه الكتاب والنبوة، ذلك أن عيسى عليه السلام ما كانت له علاقة بالحكومة والسلطة، وأن النبي محمداً ﷺ لم يحصل له من الغلبة في المدينة حتى الآن، فالمراد بالحكم: القضاء، ويشرحه قول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

فاتضح من هذا التفصيل أن الأنبياء عليهم السلام يُكرمون

مع النبوة والكتاب بالحكم الذي هو العلم والفهم، والقضاء وقوة التمييز بين الحق والباطل، بالنسبة إلى هذا وجب العمل بما يظهر نتيجةً لهذه المنحة الربانية التي أكرم بها الأنبياء عليهم السلام[1].

الحكمة:

الحكمة من أهم النعم التي أكرم الله سبحانه بها الأنبياء عليهم السلام ـ وقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى وهو يذكر امتنانه على إبراهيم عليه السلام: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ [سورة النساء: ٥٤]، وقال عن لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان: ١٢]، وقال في داوود: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص: ٢٠] ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١)، وقال بلسان عيسى عليه السلام: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [سورة الزخرف: ٦٣]، وقال ممتناً على عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [سورة المائدة: ١١٠]، وقال عن الأنبياء: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [سورة آل عمران: ٨١]، وقد دعا إبراهيم عليه السلام الله تعالى لبعثة محمد ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فاستجاب الله دعاءه، وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو

---

(١) سيرة النبي ج/٤ ص/٩٤ – ٩٧.

عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وقد ذكر الله نعمة بعثة محمد ﷺ وفقاً لدعاء إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران قائلاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وكرر الله ذكر هذه النعمة في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، أخبر الله محمداً ﷺ بمنته هذه مخاطباً إياه: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال وهو يخاطب المسلمين: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١] ويخاطب أزواج النبي ﷺ قائلاً: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، إن هذه النعمة يكرم بها عامة المسلمين أيضاً، قال الله عز وجل: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقد أمر الدعاة بنشر الدعوة إلى الله بهذه النعمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وأطلقت كلمة الحكمة على القيامة والقصص المؤثرة، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأَنبَاء مَا فِيهِ

مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٤-٥].

قد ذكرت هنا جميع الآيات التي وردت فيها كلمة الحكمة، فتارةً جاءت مفردةً، وتارةً أخرى ورد ذكرها متصلاً بالكتاب، والكتاب له معنيان: (١) صحيفة ربانية، وكثر استعمال هذا اللفظ في المعنى نفسه، (٢) قضاء الله وعلمه مثل: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٨]، فقد أريد في الآيات السالف ذكرها بالكتاب: الكتاب السماوي والصحيفة الربانية، أو بتعبير آخر: المراد بالوحي الكتاب مثل التوراة والإنجيل والقرآن وغير ذلك، لكن ما المراد بالحكمة في هذه الآيات؟

إن معنى الحكمة لغةً: الرشد، لكن ما المدلول لهذا اللفظ؟ فللبحث فيه نحتاج إلى أن ننقل هنا أقوال اللغويين الموثوق بهم والبارعين في علم القرآن ونعلّق عليها، كتب أقدم اللغويين ابن دريد (ت ٣٢١) في كتابه «جمهرة اللغة» عن كلمة الحكمة: فكل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح، فهي حكمة وحكم [١]، وقال الجوهري في صحاح اللغة: الحكمة من العلم، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة والحكيم المتقن للأمور [٢] وجاء في أبسط وأصح القواميس لسان العرب: والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم [٣] وقال الإمام اللغوي الشهير راغب الأصفهاني في مفردات القرآن: والحكمة إصابة الحق بالعلم

---

(١) ج/٢، ص: ١٨٦ طبع حيدر آباد.
(٢) ج/٢ ص: ٢٧٦ طبع مصر.
(٣) ج/١٥، ص: ٣ طبع مصر

والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام من الإنسان ومعرفة الموجودات وفعل الخيرات [١] هذه هي تصريحات أئمة اللغة العربية.

أما العلماء الذين يجمعون بين اللغة العربية وبين معرفة القرآن من حيث الأحكام الشرعية، وطبيعة زمن نزول القرآن وطريقة الاستدلال بالأمثال وغيرها فأقوالهم جديرة بالتأمل فيها، وقد جمع ابن حبان أكثر أقوال هؤلاء العلماء في تفسيره «البحر المحيط»: قال مالك وأبو رزين: الحكمة الفقه في الدين، الفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى، وقال مجاهد: الحكم فهم القرآن، وقال مقاتل: العلم والعمل به، لا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعها، وقيل: الحكمة القضاء، وقيل: ما لا يعلم إلا من جهة الرسول، وقال أبو جعفر محمد بن يعقوب: كل صواب من القول ورث فعلاً صحيحاً فهو حكمة، وقيل: وضع الأشياء مواضعها، وقيل: كل قول وجب فعله.

وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره هذه الأقوال الآتي ذكرها: قال مالك: المعرفة بالدين والفقه في الدين، والاتباع له، قال ابن زيد: الحكمة الدين الذي لا يعرفونه إلا أنه ﷺ يعلمهم إياها، قال: والحكمة: العقل في الدين، وقرأ: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾

---

(١) ص: ١٢٦ طبع مصر.

[سورة آل عمران: ٤٨]، وقرأ ابن زيد: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥]، قال: لم ينتفع بالآيات حين لم تكن معها حكمة، قال: والحكمة شيء يجعله الله في القلب وهونور له، وعن قتادة: والحكمة أي السنة، وقد أبدى الإمام الطبري رأيه بعد ذكر هذه الأقوال: والصواب من القول عندنا في الحكمة أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، وقد رجح الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه «الرسالة» مذهب قتادة، يقول: وسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن، يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ [(١)]، وذكر أقوال بعض العلماء في الكتاب نفسه: وسنته الحكمة التي ألقيت في روعه عن الله عز وجل [(٢)].

إذا تأملنا قليلاً في هذه الأقوال وجدناها أنها تعبيرات مختلفة لمعنى واحد، فالحكمة هي المجموعة الكاملة للعقل والفهم، التي تميِّز بين الصحيح والخطأ، والحق والباطل، والخير والشر لا بالتأمل والبرهان والاستقراء، بل بالتجلي فجاءةً، ويكون عمل صاحب الحكمة مطابقاً لذلك.

لعلماء كل فن صنفان: صنف يكسب أصوله بجهد ويتمرن عليها، ويمهر فيها، وصنف آخر من يحمل استعداداً فطرياً موهبة طبيعية، ويبدي رأيه السديد بالنظر إلى جزء من الفن، بذوقه السليم

---

(١) ص: ٢٧

(٢) ص: ٢٨

وشعوره الصحيح، فإذا كان ذلك في التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل فهو النور الإلهي والمعرفة الربانية التي ليست نتيجة للسعي والجهد، بل هي بفضل من الله تعالى، وهي الحكمة في الاصطلاح، وهذه المعرفة الربانية تتفاوت، فالأنبياء هم الذين أكرموا بأعلى مراتبها كاملةً، ثم أتباعهم.

فالحكمة ليست المعرفة الربانية فقط، بل هي آثار ونتائج هذه المعرفة، ومن آثارها الشكر لله، وترك الشرك، وبر الوالدين كما قال الله تعالى في سورة لقمان، وسورة الإسراء، لذلك أطلق لفظ الحكمة على الزبور والإنجيل، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [سورة آل عمران: ٨١]، وقد ورد في سورة الجمعة عن محمد ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩]، هنا ينشأ سؤال أن ما هي الحكمة التي يعلّم النبي ﷺ الناس، فالظاهر أنها عبارة عن أقواله وأفعاله، وجاء في سورة النساء: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [سورة النساء: ١١٣] معنى ذلك أن النبي ﷺ يجتنب مكايد المنافقين من الكتاب والحكمة، هذه هي الحكمة النبوية، التي تصدر من صدر النبي ﷺ، هذه الحكمة لا يحرمها الآخرون أيضاً، فإنهم يكرمون بها باتباعه ﷺ، بحيث يفهمون فهماً صحيحاً، ويقبلون الحق، ويعملون به، وقد ذكرت الحكمة في بداية آداب نشر الإسلام، قال الله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وإن القول الحق، والكلام الواضح يصل إلى القلب ويؤثر في الإنسان، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [سورة القمر: ٥] والحكمة أساس كل خير وأصل كل بر، وأي نعمة تعادلها؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٦٩] تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى الحديثين المشهورين اللذين ورد فيهما حقيقة الحكمة، فيتضح مرادها، وعلى الأقل قد يظهر مفهومها في زمن النبي ﷺ: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجلان من الشرق، فخطبا فقال ﷺ: إن من البيان لسحراً [١] وعن أبي بن كعب، قال، قال رسول الله ﷺ: إن من الشعر حكمةً [٢].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها [٣] [٤].

الحلم:

معنى الحلم: كظم الإنسان أمراً ملتهباً أو مكروهاً رغم قدرته على الثأر، وعدم تعرضه للمخطئ، هذه القدرة أكثر بكثير عند الله عز وجل، لكنه يعفو عن سيئات عباده ولا ينتقم منهم، فوصف نفسه بالحليم، وكلما ذكر هذه الصفة ذكر معها علمه ومغفرته، ليعلم أن حلمه رغم علمه نتيجة مغفرته، قال الله عز وجل: ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ٥١٤٦.
(٢) رواه البخاري، رقم الحديث: ٦١٤٥.
(٣) متفق عليه (خ/٧٣) وم (٨١٦)
(٤) سيرة النبي ج/٤ ص/٨٥ — ٩٣.

غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٥]، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [سورة الإسراء: ٤٤]، ذكر الله تعالى في هذه الآيات كلها مغفرته مع حلمه، فانكشف منه أن حلم الله هذا ليس نتيجةً لضعفه ولا عدم قدرته، بل سبب غفرانه، وذكر في موضع آخر صفة علمه مع حلمه، قال الله عزوجل: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة النساء: ١٢]، وقال: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٩]، وقال: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾ [سورة الأحزاب: ٥١]، فالمراد من هذه الآيات أن الله لا يظهر حلمه بسبب علمه المحدود، أو عدم اطلاعه على الحقيقة، مثل الإنسان، بل إنه يظهر حلمه مطلعاً على كل نتيجة وحقيقة، وذكر الله تعالى في موضع صفة استغنائه أيضاً مع حلمه، قال: ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٣]، هذه الآية نزلت في الصدقة وكشفت عن أن الله مستغنٍ وحليم.

إن دراسة آيات القرآن تبين أن الحلم جماع الصفات الحميدة، مثل العفو والصفح والرفق والصبر والثبات على الحق، فاستعمل القرآن ضمن بيان صفاته كلمة «غفور» مع ذكره الحليم، واستعمل في صفات إبراهيم عليه السلام مع كونه حليماً، «أواها»، يتجلى منه أن العفووالصفح والرفق والملاطفة لازم مع الحلم، ولكن ذكر الله تعالى في آية عن إسماعيل عليه السلام، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات: ١٠١]، ثم لما أمره بذبحه في سبيله قال: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢]، تبين الآية أن الصبر جزء من الحلم، وصفة الحلم محبوبة عند الله، فقد مدح النبي ﷺ رجلاً بهذه الصفة، روي عن ابن

عباس أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، {باب ماجاء في التأني والعجلة، أبواب البر والصلة}، وروي عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علّمني شيئًا، ولا تكثر علي، لعلي أعيه، قال: لا تغضب، فردد ذلك مراراً، كل ذلك يقول: لا تغضب، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب {باب ما جاء في كثرة الغضب، أبواب البر والصلة} [١].

الحُلم والرؤيا:

وردت في اللغة العربية كلمتان للرؤيا، والحلم التي جمعها أحلام، معناها الوهم والخيال، والرؤيا هي المنام الذي يتضمن معنى معرفة الحق وإدراك السر، هناك فرق أيضاً بينهما أن الحلم يحمل معنى الوسوسة الشيطانية، والرؤيا تكون بعيدةً منها، يتضح هذا الفرق في الآيات المذكورة في سورة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾ [سورة يوسف: ٤٣-٤٤]، وقال النبي ﷺ: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان [٢].

حنيف:

وردت كلمة «يتحنث» في كتب الأحاديث لبيان أعمال رسول الله ﷺ التعبدية قبل النبوة، معناها: يتعبد، هذه الكلمة وإن كنت أحمل لها تقديراً، لكنها لا توافق هواي، ولا تنسجم مع

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٣٢-١٣٥

(٢) سيرة النبي ج/٢، ص: ٢٠٠ — ٢٠٢ طبع مكتبة مدنية لاهور عام ١٤٠٨م.

تفكيري، فالأصل بهذه المناسبة: يتحنف، معناه: يتخذ الدين الحنيفي مذهباً له أي الابراهيمي.

يقول تلميذه الشيخ محمد أويس النجرامي رحمه الله: من أحسن المصادفات أني كنت أراجع البداية والنهاية لابن كثير فوجدت أثناء البحث قول ابن الأعرابي هذا: «وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله: يتحنث أي يتعبد؟ فقال: لا أعرف هذا، إنما هو يتحنف عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام»[١]، فقدمت هذا القول إلى العلامة الندوي فتسبم[٢].

وقال ابن منظور في لسان العرب: حنف عن الشيء وتحنف: مال، والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق، وقال أبو عمرو: الحنيف المائل من خير إلى شر أو من شر إلى خير[٣].

لو سلمنا أن الإنسان اختار الشر بعد ما ترك الخير لكان معنى «حنيف» الكافر والمنافق.كما في العبرية والسريانية، ولو قلنا: إنه مال إلى السلوك الحسن انقطاعاً عن العمل السيئ لكا ن مفهومه ما يتكلمه العرب: الدِّين، المتعبد، فعلم منه أن معنى هذه الكلمة يتعين وقفاً لمواضع الاستعمال في معرض المدح والذم، وحروف الصلة، كانت كلمة «حنيف» تستعمل أولاً مختصةً بالله أو بالدين نحو: الحنيف لله، الحنيف للدين، ثم لم تبق الحاجة إلى ذكر الصلة من كثرة الاستعمال، فصار الاستعمال مطلقاً للحنيف في المعنى المذكور

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج/ ٣ ص/ ٥-٦، طبع مكتبة المعارف بيروت، وقال ابن هشام: العرب تقول: التحنث: التحنف.

(٢) تعمير حياة مايو سنة ١٩٦٤م.

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة: ح، ن، ف، دار صادر بيروت ١٩٩٤م.

أعلاه، وقد ورد في القرآن استعمالها بالصلة وحذفها، ففي سورة الحج جاء بالصلة، قال الله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [سورة الحج: ٣١]، وفي سورة البينة استعمل بحذف الصلة: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة: ٥]، فمعنى حنفاء، حنفاء لله أي مائلين إلى الله، انقطاعاً من كل شيء [١].

لقد ثبت مما سلف ذكره أن كلمة "حنيف" مشتقة من مادة «حنف» معناها: مال، وانعطف، لكن الكتاب الأوربيين يقولون: إن معناها في السريانية الكافر، وفي العبرية المنافق[٢]، ويطعنون أن أتباع محمد (ﷺ) لم يتناولوها بالتحقيق اللغوي، ويشيرون عليهم أن يسلموا مادتها من بني «حنيفة»، بحيث إن كلمة «مسلم» اشتقت من مسيلمة الكذاب، وكلمة «حنيف» أخذت من بني حنيفة، ويعلم الجميع أن لقب حنيف كان موجوداً من قبل، ومسيلمة الكذاب ادعى بالنبوة في آخر عهد النبي ﷺ، فانظر - يا ترى - قصر باع أروبا في العلوم الشرقية رغم ادعائها بالمهارة فيها، لا جرم أن «حملة لواء العربية في أوربا الذين يُفتخر بهم «ليسوا مطلعين على بداية تاريخ الإسلام فحسب، بل إنهم جاهلين بأعراف العرب ولا سيما بقواعد لغتهم، لأن كلمة «حنيف» من بني حنيفة، و «مسلم» من مسيلمة لا تجريان وفق أي قاعدة عربية، وليس على ظهر الأرض أحد يختار اسم العدو سمةً لنفسه ولأسرته، فشتان بين دراية الإنجليز المهرة في

---

(١) أرض القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي ج/٢، ص:١٦٢، طبع دار المصنفين أعظم جراه، الهند.

(٢) لائف آف محمد لمارغوليث ص/ ١١٦.

اللغة العربية، واطلاعهم على العلوم الشرقية، يقول الشاعر الفارسي:

عشق بازان ديكر اند　　عشق سازان ديكر اند

آنجه در فرهاد مي بينيم　　در برويز نيست

(معناه: بين العشاق المتيمين والمتظاهرين بالحب فرق كبير، فلا أرى في حب برويز ما أرى في حب فرهاد).

كان لقب إبراهيم عند العرب حنيفاً، فسموا دينهم ملة حنيفية، وإن بعض رجال العرب الصالحين الذين يخرجون في البحث عن الدين الحقيقي فراراً من مفاسد الديانات الموجودة آنذاك: الوثنية، اليهودية، والنصرانية، وكلهم يجدون بغيتهم في هذا الدين الحنيفي ويطمئنون به.

بُعث إبراهيم عليه السلام إلى قوم صابئين، ففند أثناء دعوته ديانتهم بدلائله وعمله، وأبدى كراهيته من أهل الهوى، وآمن بالله عز وجل، فبناءاً عليه اختار هو لنفسه أو لأتباعه فيما بعد لقب «حنيف» يعني منقطع من عبادة الكواكب، ومائل إلى الله تعالى، تثبت صحة هذا القول من جودة استعمال هذا اللقب في القرآن، حيث ذكر الله رفض إبراهيم عليه السلام لربوبية الكواكب بأساليب شتى، ثم قال في آخره: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٩ـ٨٠]، كأن إعلان إبراهيم عليه السلام هذا كان فاتحةً لتاريخ دينه الحنيفي، فالجزء الأول: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات، ثم ذكر "حنيفاً" كلاهما يدلان

على أن معناهما واحد، يعني من يتوجه إلى الله منقطعاً من عبادة النجوم وأمثالها، وتثبت الآيتان التاليتان أن معنى حنيف هو ما ذكرناه آنفاً، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ [سورة يونس: ١٠٥]، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٣٠]، ثم صارت تستعمل كلمة «حنيف» في معنى زاهد في ملذات الدنيا، وعابد ومتدين، يقول الشاعر الجاهلي جران العود:

وأدركن أعجازاً من الليل بعد ما ... أقام الصلاة العابد المتحنف

وقال أبو ذويب الهذلي:

أقامت به لمقام الحنيف ... شهري جمادى وشهري صفر(١)

هنا نكتة دقيقة لا بد من التنبيه عليها أن معنى الصابئ في اللغة العبرية: الطاهر النظيف، لكنها تستعمل في العربية في مفهوم: الكافر، كذلك كلمة حنيف، فإنها تماثل في العبرية والآرامية مدلول الكافر والمنافق، وترادف في العربية معنى الموحد والمتدين، فاتضح أن هاتين الكلمتين: «صابئ»، و«حنيف» اسمان لفرقتين متقابلتين، ومعناهما الصالح، والطالح وهما يتوقفان على الاتحاد والمخالفة دينياً، وذلك السبب فيما إذا سمى المسلمون أنفسهم حنفاء، لكن الكفار لحنقهم وغيظهم ينادونهم باسم «صباة» جمع صابئ.

إطلالة على آيات القرآن تكشف لنا أن كلمة حنيف تضاد كلمة «مشرك» فكلما جاء ذكر الأول في القرآن الكريم ورد ذكر

---

(١) كلا البيتين من لسان العرب لابن منظور.

الثاني أيضاً، وإليكم طائفة من الآيات:

﴿حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٩].

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الحج: ٣١].

﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠٥].

﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٥].

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٥].

﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧].

﴿دِيناً قِيَماً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣].

يثبت من هذه الآيات أيضاً أن الحنيفية كانت دين إبراهيم عليه السلام، وقد بقيت بعض شعائرنا في أولاده الصالحين تذكاراً له، لكن اليهود والنصارى يقولان للمسلمين: الدين الحق هو اليهودية والنصرانية، فمن أين نجم هذا الدين الثالث؟ أجاب القرآن: اليهودية والنصرانية فرعان للدين الحنيفي، والحنيفية ما دعا إليه «أبو الأمم» [1]

---

(١) ذكر في التوراة أن المعنى اللغوي لإبراهيم أبو الأمم.

إبراهيم عليه السلام، قال عز وجل: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠] اتضح من هاتين الآيتين أن اليهودية والنصرانية ظهرتا بعد هؤلاء الأنبياء، لأن الإسلام يدعو إلى الدين الصحيح الذي لا تشوبه شوائب: الديانات الماضية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، ويقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فيأيها العرب أولاد إسماعيل! ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

هذا التراث للأب كان موجوداً لدى أبنائه، فمن أكبر مظاهره الختان الذي كان يختص بأولاده، وكان العرب يتوارثونه نسلاً بعد نسل، وكان طواف بيت الله الحرام من الذكريات القديمة للدين الإبراهيمي، خلد العرب دائماً هذه الذكرى الموروثة أيضاً، أما بقية المعتقدات فقد امحت خروجاً من صدورهم، فكان معنى كلمة «حنيف» لدى العرب: الرجل الذي اختتن وحج بيت الله الحرام[1].

لما كانت الديانتان اليهودية والنصرانية في مرحلة النمو في العرب قبل ظهور الإسلام بقليل سعى بعض الطبائع السليمة والعرب العارفين بكنه الأمر في إحياء الدين القديم الذي لم يبق له إلا هيكله، من جديد، لكن صورته قد تبدلت إلى حد لا يمكن أن

---

(١) لسان العرب مادة: حنيف.

يحيا بجهد إنسان بدون قدرة الخلاق الفعال لما يريد .

كان لفيف من الرجال الصالحين في فجر الإسلام تتجمل أسماؤهم بلقب «حنفاء» ، بالرغم من هذا لم يكونوا مطلعين على دينهم وظلوا باحثين عن الحق ، فقس بن ساعدة ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن حويرث ، وأمية بن الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن نشية وعبد الله بن جحش هؤلاء كلهم قد قذروا الوثنية ، فبعضهم قد تنصروا أمثال قس ورقة ، وبعضهم ماتوا باحثين عن أصل الدين الحنيفي ، أمثال زيد وأمية ، وعدد منهم رأوا نور الحق بأم عيونهم وقت شروقه ، واطلعوا على الدين الحقيقي فقبلوه بطواعية نفس ، وهم عثمان وعبد الله بن جحش وقيس بن نشية وغيرهم .

يزخر الشعر الجاهلي بشعراء تلمع في أشعارهم كلمات الصدق والعدل كالشمس في رابعة النهار ، مثل لبيد وزهير وأمية بن الصلت وعلاف بن شهاب التميمي وقس بن ساعدة الأيادى وغيرهم ، وتوجد في ثروتهم الشعرية معاني التوحيد والحشر ومكارم الأخلاق ، فنظراً إلى هذه المفاهيم العالية قال بعض الكتاب المسيحيين المعاصرين عن أمثال هؤلاء الشعراء : إنهم كانوا نصارى ، لا شك أنهم قد استندوا إلى دليل واهٍ ، ولم يتمكنوا فيما بعد من تقديم دليل آخر لصحة دعواهم ، فكما أظن أن هؤلاء الشعراء كان في عقائدهم حنفاء تظهر آثار ذلك في أبياتهم .

هذا موضع الانتباه أن بعض المسلمين «البسطاء» أو بعض الطبائع الشريرية للعصرين الأموي العباسي قد قرضوا أشعاراً ، ونسبوها إلى الشعراء القدامى الجاهلين ، أو تناولوا آيات القرآن ثم صاغوها على مشوار

بحر العروض وانتحلوها إليهم، فالكتاب الغربيون المعاصرون الذين يحملون كفاءة ضئيلة عن اللغة العربية قالوا بالنسبة إلى هذه الثروة المنحولة بكل مكرودهاء: انظروا أن محمداً كيف تناول أبيات العرب وبدل تركيبها الغنائي وصاغها في صورة معلومة ثم قدَّمها إلى الناس، وادعى بأنه تنزيل من رب العالمين، نزل به الروح الأمين، الواقع أن معرفة الصدق والكذب والتمييز بين صحة الكلام وسقمه تتوقف على الأدباء البارعين المطلعين على أسرار الكلام، فهؤلاء المهرة يستطيعون أن يبينوا الفرق بين كلام المولدين والجاهليين في أول نظرتهم أن ما هو الدر وما هو الخزف»[1].

خاتم النبيين:

معنى ختم: إغلاق شيء بحيث لا يمكن للمظروف أن يخرج منه، ويدخله شيء آخر[2]، ومعناه الآخر: إغلاق شيء ثم الختم عليه، وإن وضع الختم هو العمل النهائي فمعناه الانتهاء والختم أيضاً، وقد وردت مادة «ختم» في القرآن وفقاً لهذه المعاني، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [سورة يس: ٦٥]، هنا معنى ختم: الإغلاق التام، وقال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٧] وقال: ﴿خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [سورة

---

(١) أرض القرآن ج/٢، ص: ١٦٦-١٧٢.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب: ختم: وهو الختم على القلب، أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنه طبع، وقال أبو إسحاق: معنى خَتَمَ وطَبَعَ في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء، كما قال الله عز وجل: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (لسان العرب: مادة: ختم).
قال الجوهري: ختم وختمت الشيء فهو مختوم ومختم شدد للمبالغة، وختم الله له بخير، وختمت القرآن: أي بلغت آخره، واختتمت الشيء: نقيض افتتحته (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري) وقال الزمخشري: ختم: وضع الخاتم (مادة: ختم).

الجاثيـة: ٢٣]، وقـال: ﴿يُسْقَوْنَ مِـن رَّحِيـقٍ مَّخْتُـومٍ﴾ [سـورة المطففـين: ٢٥) أي أن المـشروب الـذي يقـدم إلى أهـل الجنـة يكـون خالـصاً، ولا يكـون فـم الكـأس مفتوحـاً بحيث تخرج منهـا رائحته الطيبة، أو مزجه الصانع بشيء آخر، ثم قال: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [سورة المطففين: ٢٦] أن الشارب يلتذ برائحة المسك المتضوعة من داخله أو أن فم القارورة أو الجرة يكون مغلقاً بالمسك الخالص، وهو في غاية من النقاء والطهارة.

على كل، فإن هذه الاستعمالات تدل على أن معنى «ختم» المشترك والعام: تغطية فوهة وعاء حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه، وقد جاء في سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ففي كلمة «خاتم» قراءتان [١]، أشهرهما خاتم (بكسر التاء) معناه: المنتهي إلى الغاية، والمكمل، والمغلق، وأخراهما: خاتم (بفتح التاء) معناه: طينة يغلق بها شيء ويوضع عليه الختم، بحيث لا يمكن فتحه ولا يدخله شيء، فمفهوم الآية في كلا الوجهين أن محمد ﷺ مغلق سلسلة الأنبياء وخاتمها، بحيث لا ينضم إليهم أحد من الدجالين

---

(١) قال ابن جرير الطبري: واختلف القراء في قراءة قوله: وخاتم النبيين، فقرأ قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين بمعنى أنه ختم النبيين، ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله، ولكن نبياً ختم النبيين، فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء أنه الذي ختم الأنبياء عليه السلام، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم خاتم النبيين بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين (جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة بيروت، لبنان ج/٨ ص: ١٣، ط — ٣ سنة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م) و وافق عليه ابن حبان الأندلسي في تفسير البحر المحيط ج/٧، ص: ٢٣٦، ط ٢ - ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

المكذبين، وهو ليس أباً نسبياً تجري بالنسبة إليه أحكام الوراثة وحرمة نكاح أزواجه، بل هو أب روحاني، فلا بدّ للمسلمين من أن يتشبثوا بذيله ويطيعوا أمره، بدلاً من أن يطالبوا حقوقاً باعتبار كونه أباً.

ورد في الأحاديث الصحيحة شرح كلمة خاتم النبيين بكل وضوح، وروى الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان وحذيفة والإمام الترمذي عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من قبائل أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح [١]، وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ثوبان أيضاً {رقم الحديث/ ٢٢٣٩٥}، وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: في أمتي كذابون ودجالون، سبعة وعشرون، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدي {رقم الحديث/ ٢٣٣٥٨} [٢].

الخليفة:

وردت قصة خلافة آدم في القرآن الكريم على النحو التالي: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لسورة البقرة: ٣٠]، وهذا الخليفة كان سيدنا آدم عليه السلام، الذي تشرف بالخلافة نيابةً عن بنيه، فقد كرم الله عزوجل أولاده كلهم بهذه الميزة، واستعملت صيغة الجمع بالنظر إليهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

---

(١) سنن الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون رقم الحديث/ ٢٢١٩

(٢) سيرة النبي ج/ ٣ ص/ ٤٦٠ — ٤٦١.

عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [بني إسرائيل: ٧٠]، وقال: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ، وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف ١٠ـ ١١]، يتبين من هذه الآيات أن ما أنعم الله به على آدم عليه السلام من عز وشرف وكرامة، ورثه بنوه بعده وخلفوه، وإن خلافة الأرض التي أكرم بها آدم عليه السلام نالها جميع أبنائه بواسطته، وقال الله عزوجل في آخر سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام ١٦٥]. ولكن من ذا الذي ينوب عنه بنو آدم ويخلفون عنه، وقد وردت كلمة الخلافة في القرآن في أمكنة مختلفة كما جعلت قوم عاد خليفةً لقوم نوح، يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] وقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، ثم جعلت ثمود خليفةً لعاد، قال الله عزوجل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: ٧٤]، ويحذّر هود عليه السلام قوم عاد من أنهم إن لم يطيعوا الله فيستبدلهم بقوم آخرين: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [هود: ٥٧]، ويقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]، ويقول بلسان محمد ﷺ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ

ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وقد ذكر القرآن في أربع آيات تعيين أمة خليفةً لأمة أخرى قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ، ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣ـ١٤]، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ [يونس: ٧٣]، ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [فاطر: ٣٩]، وأكرم سيدنا داوود عليه السلام بالخلافة، قال الله عزوجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

واشتقت كلمة الخليفة من «خلف»، ومعناه: النيابة عن أحد مطلقاً، يقول: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [سورة ص: ٢٦]، ويقول موسى عليه السلام لأخيه هارون، وهو ذاهب إلى الطور ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢]، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٦٠]، ويقول الإمام راغب الأصفهاني في معجم مفردات القرآن: «الخلافة النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف»[1].

هذه ثلاثة معان، وساق في صددها عدة آيات، ورجَّح الثالث منها لأن هذا المعنى الثالث هو يليق بخلافة الله، وقد نقل

---

(١) مفردات القرآن ص: ٥٥ طبع مصر، مادة خلف.

المفتي الآلوسي مؤلف التفسير الشهير«روح المعاني» هذه المعاني الثلاثة عند كل آية وردت فيها كلمة الخلافة ومشتقاتها، ولم يأت بقول فصل، ويخطر ببالي في بعض الأحيان أن المتكلم إذا نص على أن أحداً يخلف فلاناً فيتعين هناك أنه سيكون خليفة لذلك الشخص الفلاني، وإذا لم تأت منه صراحة تقرر أن المراد هو خلافة المتكلم والنيابة عنه، وفي ضوء هذا المبدء العام الشامل نحاول أن نفهم الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة، يقول الله عزوجل: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [سورة الحديد: ٧]، لم تنص هذه الآية على المستخلف (بكسر اللام)، ومن هنالك اختلف المفسرون، فذهب بعضهم إلى أن الناس أنفسهم يخلف بعضهم بعضاً في الأموال كما يخلف الابن أباه في ماله، وذهب بعضهم إلى أن المال هو ملك الله، فمن فوضه إليه فقد استخلفه فيه، ولكن المبدأ الذي قدمت يرجح هذا المعنى الأخير، وقد جاء هذا المعنى في الكشاف والبيضاوي وروح المعاني كذلك، كما في الكشاف: «إن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موَّلكم إياها وخوَّلكم للاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها»، وجاء في البيضاوي: «من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها». وجاء في روح المعاني: «جعلكم سبحانه خلفاء عنه عزوجل في التصرف فيه، من غير أن تملكوه حقيقة. يتمخض من ذلك كله أن ملك الأموال رجع إلى الله تعالى كما ذهب إليه المفسرون، وأن بني آدم خلفاؤه فيها».

ثم نرجع إلى الآية التي هي موضوعنا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، وأخرج الطبري عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ مني في الحكم بين خلقي، وأوضح معناه تفسير ابن زيد قبل ذلك بقوله: «إن الله تعالى أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة لا يحكم فيها بين خلقه إلا بحكمه»[١].

ويقول القاضي البيضاوي: «المراد به آدم عليه السلام، لأنه كان خليفة الله تعالى في أرضه، وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغيره بغير وسط»[٢].

ومما قدمنا من الآيات يتبين أن الخلافة شملت بني آدم كلهم عن طريق أنبيائهم، والتفسير الذي قدمناه تدعمه وتؤيده الدلائل التالية:

(١) إن المفسرين بأسرهم قد ذكروا هذا المعنى.

(٢) تشير الآيات والأحاديث إلى أن الله عزوجل لم يزل يخلق خلقاً بعد خلق.

فلم يكن خلق آدم بدعاً من الأمر، ولكن امتاز عن غيره من الخلق بخلافته وسجدة الملائكة له ودخوله الجنة، ثم عصيانه لله تعالى ثم الأمر بهبوطه منها إلى الدنيا وإلباسه خلعة النبوة.

الأمر الذي يشير إلى أهمية وخطورة هذا الخلق، وأنه ليس

---

(١) تفسير الطبري ج/١، ص: ١٠٤، طبع مصر.

(٢) تفسير البيضاوي ص: ٥٩.

خليفةً عمن سبقه من الخلق، وإنما هو خليفة خلقه وأكرمه بهذه النعم.

(٣) المبدأ الذي تقدم من أن المتكلم إذا نص على المستخلف (بكسر اللام) تعين هو، وأما إذا لم ينص عليه فلا بد أن يعتبر المتكلم نفسه مستخلفاً(بكسر اللام).

(٤) الآيات التي تنص على شرف آدم عليه السلام وبنيه، هي كما يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة بني إسرائيل: ٧٠]، وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: ٤]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الجاثية: ١٣]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ [النحل: ١٤]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ [سورة الجاثية: ١٢]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢]. وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢].

وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]. تبين من هذه الآيات أن الإنسان هو حامل الأمانة والخلافة من بين سائر المخلوقات.

إن نظرية الدولة والحكومة في الإسلام قائمة على فكرة تصل بالبشرية إلى الذروة العليا التي تجمع بين المادة والروح والسياسة

والأخلاق والدنيا والدين .

فلا بد أن يخضع سيد الخلق أمام ربه وبعبده، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦][1].

الخمر وتحريمها:

إن شرب الخمر من عادات العرب المذمومة التي كانت سوءاتها مكشوفةً للجميع، لكن أكثر أقوام العالم ترتكب هذه الفعلة، وقد أشارت إلى تنديد هذا المرض الكتب السابقة، ولم يحسن شربها فيها، لكن الإسلام هو الذي حرم الخمر تحريماً قطعياً، وكان شرب الخمر في طبيعة العرب، ويُعتبر ذلك مسلاةً ومفخرةً في البيوتات الشريفة، فكانت تسقي الزوجات أزواجهن، والصغار كبارهم.

لما أضاءت شمس الإسلام أرض جزيرة العرب بدأ استنكار الخمر رويداً رويداً، فقال: إن الخمر ليست بشيئ، قال الله عز وجل: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ٦٧] فوضع الله السكر في هذه الآية مقابل: الرزق الحسن، فعلم منه أن السكر ليس رزقاً حسناً، وفي آيات سورة النحل ذكر تشبيهاتٍ لالتباس الخير والباطل، بحيث جاء ذكر اللبن والروث والدم، ومعه العسل أنه يخرج من بين الأنجاس مصفىً وطاهراً، وكذلك التمر والعنب، يخرج منهما النجس مثل السكر، والطاهر مثل الغذاء.

---

(١) سيرة النبي ج/٧، ص: ٧٦-٧٨.

الخمر هي ما يستولي على شيئ، فكل طعام وشراب يخامر العقل والدماغ يأتي في إطار الخمر، وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة: {الجمع بين الصحيحين: ١٣٧٠}[1].

كان العرب قبل الإسلام مولعين بشرب الخمر، وقد طفحت أشعارهم بذكرها، رغم أن الباحثين اتفقوا على أن مخترع الخمر كان جمشيد ملك العجم، ولا يوجد نص على حرمة الخمر في التوراة، بل تدل نصوصه على أن الخمر كانت حلالاً، وكان الناس يشربونها بوجه عام، وقد ورد في سفر التكوين الباب (٩) والدرس: ٢٠ و٢١: «أن نوحاً عليه السلام كان يزارع العنب، ومرّةً شرب الخمر فأغمي عليه»، وكذلك الإنجيل لا يخبر شيئاً عن حرمة الخمر إلا إشارات إلى عدم جودة شربها، فعلم منه أن شرب الخمر كان في أول أمرها حلالاً، ثم صار استعمالها في العهد الوسط للنبوة خلافاً للأولى، ولما نزل القرآن الذي جاء لإكمال الدين وشريعة الله في العالم قضى قضاءً مبرماً عن الخمر، فحرمها تحريماً قاطعاً.

فليس شرب الخمر حراماً في الإسلام فحسب، بل هو مضاد للفطرة، وجاء في الجامع الصحيح للبخاري: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به (في حديث طويل) قال: ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال جبرئيل: هي الفطرة

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٢٢-٣٢٥

أنت عليه وأمتك (والفطرة، أي أصل الخلقة التي يكون عليها كل مولود، إذ يكون اللبن ما يدخل جوفه ويشق أمعاءه) {رقم الحديث : ٣٦٧٤، باب المعراج، كتاب فضائل الصحابة} .

فكما أن الإسلام وأحكامه فطرية ، كذلك كان أسلوب تعليمه يتفق وطبيعة الإنسان، فقد تدرج في الأمر بتحريم الخمر أمام أتباعه، بحيث يمكن نبذ عادتهم القديمة المتغلغلة في أحشاء قلوبهم رويداً رويداً، فأول آية نزلت في هذا الشأن حسب تساؤل الصحابة رضي الله عنهم هي ما قال الله عز وجل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة : ٢٢٠]، فلم يأمر الله بتحريم الخمر واضحاً، بل أخبر المسلمين بأن في الخمر منافع ومضارً أيضاً، لكن جانب المضرة كثير من المنفعة، فتدل الآية على ثلاثة أمور :

(١) في الخمر منافع كثيرة .

(٢) وفيها مضار أيضاً .

(٣) جانب المضرة أكثر من جانب المنفعة، هذه الأمور الثلاثة تدل عليها العلوم الطبيعية والدراسات الحديثة، لا شك أن النشاط والحرارة تزداد في أعضاء البدن من شرب الخمر، وخاصة في الغرائز، لكن تصاب القوى الدماغية والبدنية بصدمة شديدة، وبما أن هذه الآية لم تذكر تحريم الخمر بصراحة، ترك بعض الصحابة شرب الخمر، وباشره بعض منهم، ثم حدث حادث أن دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عدة رجال إلى مأدبة، وكان فيها الخمر، فلما شربوا الخمر وقاموا إلى الصلاة، قرأ الإمام فيها سورة الكافرون،

وغيَّر آية منها ففسد المعنى، هنالك نزلت آية أخرى في الخمر على رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ﴾ [سورة النساء: ٤٣]، تدل الآية على أن شرب الخمر في أوقات الصلاة محظور في الشريعة الإسلامية، فعن علي رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف، فسقاهما قبل أن يحرم الخمر، فأمهم علي في المغرب، وقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، فخلط فيها، فنزلت: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾{السنن الكبرى للبيهقي، باب صفة أقل المسكر ج/١ ص: ٣٨٩}، ثم دعا عتبان بن مالك عدداً من أصدقائه مثل سعد بن أبي وقاص إلى طعام، فلما شربوا الخمر وأغمي عليهم بدأوا الفخار القومي الذي أدى بهم إلى مقاتلة ومحاربة، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر بتاتاً في الآية الآتية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩٠-٩١].

إن ما يمتاز به القرآن عن الكتب السماوية الأخرى هو أنه لا يجبر أتباعه على الإيمان التقليدي، بل يبني حكمه على المصلحة والفلسفة، فيذكر بعد كل حكم مصالحه، وقد شرح القرآن مصالح أحكام العبادات: الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، فبالنظر إلى هذا لما حرم القرآن الخمر تناول مصالح تحريم الخمر وأسبابه بكل تفصيل وإيضاح، وسماها رجساً أي نجاسة روحية وخلقية [1]،

(١) يعني عامة الفقهاء الرجس نجاسة حقيقية، هذا غلط فاحش، لأن كلمة "رجس"

وذكر سببين لهذه النجاسة الخلقية والروحية، أحدهما أن الخمر تُحدث البغض والعداوة بين الناس، وآخرهما أن الخمر تُحدث الغفلة في الإنسان وتجعله بعيداً من الحسنات، وذلك ما أشار إليه القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩١].

يحتال بعض الناس فيقول: إذا شربت الخمر بمقدار لا يسكر، فلا حرج فيه، لكن لسان النبوة على صاحبها الصلاة والسلام قد أزال هذه الحيلة بقوله: ما أسكر كثيره فقليله حرام {سنن الترمذي} فلم يمنع الإسلام من شرب الخمر فحسب، بل منع من بيعها وتجارتها.

هناك شهادات أجنبية للخبراء الأوربيين الذين اكتشفوا مضار الخمر التي تترتب على الجسد الإنساني، فقال الباحث الشهير في أوربا «جارلس دارون» (Charles Darwin): قد وثقت نظراً إلى التجارب المتواترة من الآباء والأجداد بأن موت الناس يقع كثيراً من استعمال المسكرات دون الأمراض الأخرى، وقد اعتبر علم الكيمياء الخمر أخبث غذاء يتناوله الإنسان، وقال البروفيسور "كريملن"(Gremlin)الذي يجري دراساته منذ ٢٥/عاماً حول أمراض

في آية المائدة خبر للخمر والميسر والأنصاب والأزلام، فإذا أردنا بالرجس نجاسة حقيقية لزم أن يكون الميسر والأنصاب نجاسة حقيقية، ووجب غسل اليد من مسها، رغم أنهم لا يقولون مثل هذا، وإذا أردنا من الخمر النجاسة الحقيقية ومن بقية الأشياء النجاسة المجازية أدى ذلك إلى الجمع بين الحقيقة والمجاز، فالمراد من "رجس" نجاسة روحية.

الدماغ في جامعة ميونخ بألمانيا : إن الخمر تهلك الأمم المثقفة وتدمرها، وقال «بروتلو» أحد علماء الكيميا: إني أشهد مع جميع الأطباء الماهرين أن الخمر سم ناقع للحياة الإنسانية وأعدى عدو للصحة والعقل، وقد كشفت الدراسات أنَّ ما يعم في فرنسا خاصة من نقص في العمران وضعف القوى وقصر القامة وقلة الأعمار يرجع سببه إلى شرب الخمر.

يظن بعض الناس الذين يعرفون بمضار الخمر أن قليل الخمر ليس بضار، ولا شك فيه، لكن هذا المقدار القليل إذا كان كل يوم باستمرار انتشرت الأجزاء المسمومة للخمر في الجسم وأضرت به إضراراً، فالذي يشرب قليلاً يصاب بالأمراض بتأخير، والذي يكثر يصاب على عجل، وكثيراً ما نشاهد أن الشباب الذين يشربون بنسبة قليلة ويظنون أن هذا المقدار لا يضرهم يبتلون عامة في عهد الشيخوخة بأمراض مزمنة، ويصابون بالضعف الشديد، والنزلة الدائمة ووجع المفاصل وغير ذلك، ويقول بعض الناس : لا بد من شرب الخمر للرجال الذين يكدون طوال النهار، حتى يتخفف الهم والتعب، ويتجدد النشاط في أعضاء الجسم، وليكن على بالهم أن هذا النشاط الصناعي يضعف عضلاتهم، ثم لا يستطيعون أن يعملوا عملاً في حياتهم [1].

الخيانة :

الخيانة هي التقصير في أداء حق ذي حق، وفقدان الأمانة فيه، فإذا كان عند أحد وديعة، وهو يتصرف فيها، حسبما شاء،

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٣٥١ — ٣٦٥)

ولا يردها وقت الطلب، فهو خيانة، أو كان عند رجل سر لأحد، أو أخبره معتمداً عليه أن لا يفشي ذلك السر، فإبداؤه نوع من الخيانة، وإذا وُكل إلى رجل عمل، هو لا يقوم به بأمانة فيعرف ذلك بالخيانة، وقس على هذا الثورة على عامة المسلمين وأئمتهم، وعلى المصالح القومية المتفق عليها، فهي كذلك من الخيانة، وعدم أداء حقوق ذوي الحقوق، وعدم الوفاء مع الزوجة وإبداء ما ليس في القلب نوع من الخيانة، فإن الإسلام قد منع عن هذه الخيانات، قال الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٧]، المراد من خيانة الله والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام عدم العمل بما فرضه الله معترفاً بألوهيته، وعدم الامتثال لأحكامه بكل أمانة، والغدر مع مصالح الدين والقوم، ومساعدة أعداء الله وأعداء المسلمين بطريق خفي أو ظاهر أو اطلاعهم على أسرار المسلمين الخفية، والمراد من خيانات المسلمين أن لا يتصرف فيما ائتمنوه تصرفاً جائزاً، وإفشاء سر أحد على آخر يُعتبر خيانةً، وورد في شعب الإيمان للبيهقي(٥٢٦٦) عن عبد الله بن مسعود قال: القتل في سبيل الله يكفّر الذنوب كلها، إلا الأمانة، قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أدِّ أمانتك، فيقول: أي رب! كيف، وقد ذهبت الدنيا، قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق به إلى الهاوية ويمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها، حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم

قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها وأعظم ذلك الودائع، قال زاذان (راوي الحديث): فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود، قال: كذا، قال كذا، قال: صدق، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨]، وكان النبي الكريم ﷺ يتعوذ من السيئات، فكان منها الخيانة، عن عبد الله بن مسعود قال: كان من دعاء النبي الحبيب عليه السلام والتسليم: اللهم إني أعوذبك من الخيانة، فإنها بئست البطانة {المستدرك على الصحيحين، رقم: ١٩٥٧}.

ومن صور الخيانة أن ينضم الإنسان إلى جماعة لاستئصال شأفتها، وكان المنافقون يبدون غير ما يضمرون في صدورهم، ويكنون في بطونهم عداوة للإسلام والمسلمين، ولكن مؤامراتهم هذه لم تتحقق، وانكشفت سرائرهم، قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٣]، فإن خبر خيانتهم يصل إلى النبي الكريم ﷺ.

إن اعتماد الإنسان على أحد وعدم إيفائه بهذا الوعد نوع من الخيانة، إن سيدنا يوسف عليه السلام سعى لأن يكتشف الأمر حول توجيه التهمة إليه، ثم قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى كَيْدَ الْخَآئِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٥٢]، وغدرت امرأتا نوح ولوط زوجيهما، وكان غدرهما أنهما لم تؤمنا بزوجيهما، وكانتا مع المشركين، قال الله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ

فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ [سورة التحريم: ١٠]، وكانت هذه الخيانة من القلب.

لكن الخيانة لاتكون مع القلب فقط، بل تصدر من كل عضو، حتى من إشارات العيون، فإذا كان المرء يؤمن بأن هناك من يطلع على هذه الأعمال في كل وقت، فلا يتجرأ على أي نوع من الخيانة، فإن الإسلام يزيل مثل هذه الخيانات بإيداع اليقين في القلوب، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [سورة المؤمن: ١٩]، فكيف يمكن أن يصدر عمل من شخص بخفية منه[1].

دلوك:

شرح بعض المفسرين كلمة «دلوك» بـ «وقت زوال الشمس» وبعضهم بـ «وقت غروبها»، وكتب أهل المعاجم هذين المعنيين في معاجمهم، وهناك معنى آخر، هو: الانصراف عن جهة نظر موازية، واستشهد فيه بشعر شاعر جاهلي، وجاء في لسان العرب: ودلكت الشمس تدلك دلوكاً: غربت، وقيل: اصفرت ومالت للغروب، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [سورة الإسراء: ٧٨]، وقد دلكت: زالت عن كبد السماء.. وقال الفراء عن ابن عباس رضي الله عنهما في دلوك الشمس: إنه زوالها وقت الظهر، قال: ورأيت العرب يذهبون بالدلوك إلى غياب الشمس، قال الشاعر:

هذا مقام قدمي رباح ذبيحتي دلكت براح

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٨٦-٢٨٨

يعني الشمس، قال أبو منصور: وقد روينا عن ابن مسعود أنه قال: دلوك الشمس: غروبها، وروى ابن هانئ عن الأخفش أنه قال: دلوك الشمس من زوالها إلى غروبها، وقال الزجاج: دلوك الشمس زوالها في وقت الظهر، وذلك ميلها للغروب وهو دلوكها أيضاً، يقال: دلكت براح وبراج أي قد مالت للزوال حتى كاد الناظر إذا تبصرها أن يكسر الشعاع عن بصره براحته، ...فإن قيل: ما معنى الدلوك في كلام العرب، قيل: الدلوك: الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار: دالكة، وقيل لها: إذا أفلت: دالكة، لأنها في الحالتين زائلة..، قال الفراء في قوله: راح جمع راحة، وهي الكف، يقول: يضع الإنسان كفه على عينيه ينظر هل غربت الشمس بعد.

ذكر شعراء العرب أن معنى «دلك» هو وضع الكف على العين وقت وقوع أشعة الشمس على الأعين بعد دلوكها، قال عجاج:

والشمس قد كادت تكون دلفاً أدفعها بالراح كي تزحلفا

يؤيد هذا الشعر الشعرَ المذكور أعلاه أن معنى «دلوك» ليس وقت الزوال ولا وقت الغروب، بل المراد منه الوقت الذي تأتي فيه أشعة أمام الأعين بعد دلوكها، وهذا وقت العصر، وإن كلمة "دلوك" تطلق على كل ميل للشمس، فيكون ميلها الأول وقت زوال الشمس، حينما تزول قليلاً من خط الاستواء، ويكون ميلها الثاني وقت العصر حينما تذهب إلى الأمام وتكون قدام السائرين إلى الغرب، ويضطر الإنسان آنذاك إلى وضع الكف على العين أو وضع شيء سميك على وجهه اتقاء أشعة الشمس، ويكون ميلها الثالث

وقت غروبها حينما تغرب من جانب الأفق، هذه الأوقات التي تمتد من زوال الشمس إلى غروبها مدلول «دلوك» كما قال بعض أهل المعاجم مسامحةً، والحقيقة أن كلمة «دلوك» تطلق على ثلاثة ميلانات للشمس، أولاً من جهة الرأس، ثانياً من جهة العين، ثالثاً من جهة الأفق على الميل الكامل، وهذه الأوقات تأتي من وقت الزوال إلى الغروب رويداً رويداً بعد ساعات عديدة..

فخلاصة القول أن المراد من ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ثلاث صلوات: الظهر والعصر والمغرب، ثم أريد من غسق الليل وقرآن الفجر صلاتا العشاء والفجر، فهذه الآية التي هي من سورة الإسراء تدل دلالة واضحة على أوقات إقامة الصلاة[1].

ذبح عظيم:

اليهود يدعون أن الولد الفريد الذي أمر الله بذبحه إبراهيم عليه السلام في المنام كان إسحاق، لكن المسلمين يقولون: إنه إسماعيل عليه السلام، فاشتهر لقب إسماعيل عليه السلام بـ «ذبيح الله»، وإن معنى ذبيح الله لغةً: المذبوح من الله أو المذبوح في سبيل الله تعالى، وإن استناد هذا الأصل ما جاء في القرآن أن إبراهيم ذهب بإسماعيل إلى المذبح، الذي كان بعيداً من مستقره، وحينما وضع السكين على حلقوم الابن وجعل يمرها إمراراً شديداً، جاء نداء من السماء: يا إبراهيم! ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٥]، لم يمض وقت حتى أرسل الله كبشاً، وهو كما قال الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ

---

(١) سيرة النبي ج/٥، ص: ٧٥ — ٧٧.

عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧] هذا الذبح هو كبش من الجنة، فذبح مكان إسماعيل عليه السلام، إن ذكر كلمة الكبش موجود في التوراة بكلمة صريحة، لكن القرآن عبَّر عنه بذبح عظيم، أثار المفسرون هذا السؤال وأجابوا عنه بعدة وجوه:

١ـ إن هذا الكبشْ جاء من الجنة فسمي ذبحاً عظيماً.

٢ـ هذا الكبش نفس الحيوان الذي قدمه هابيل قرباناً لله، فتقبله الله عز وجل، نظراً لما تقبله الله تعالى عبر عنه بالذبح العظيم.

٣ـ إن أحسن ما قيل في هذا الباب قول الإمام الحسن البصري رحمه الله: ليس المراد بالذبح العظيم هو الحيوان الذي قدم إلى إبراهيم بدلاً عن إسماعيل، بل المراد منه التضحية المطلقة الهامة التي جعلت سنة متبعة كذكرى إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة.

مما لا شك فيه أن عيد الأضحى في ملة إبراهيم أو المهرجان السنوي لعيد الأضحى وذبح حيوان فيه لإبداء الفرح والسرور وإطعام الفقراء والمساكين واستضافة الأصدقاء من ذكريات قصة إبراهيم عليه السلام، لأن في الإسلام عيدين للمسلمين: عيد الفطر وعيد الأضحى، فكان عيد الأضحى ذكرى لهذه القصة العجيبة التي تأسست عليها ملة إبراهيم، وبنى في مكة بيت الله العتيق، وصار هذا البيت قبلةً للملة الإبراهيمية، وإن عيد الفطر احتفال للملة المحمدية، أي ذكرى لنزول القرآن الذي كان مصدر الملة المحمدية.

ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام أنه يذبح ابنه الفريد، وللرؤيا في الشريعة نوعان: رؤيا تمثيلية، ورؤيا حقيقية، فالرؤيا الحقيقية ما يكون فيه الأمر مطابقاً لها، وهو المراد بها، وأما

التمثيلية فإنها صورة مشابهة للحقيقية، كما كان قد أرى ملك مصر القحط والجدب في صورة سبع بقرات عجاف وسبع سنبلات يابسات، قال الإمام الخطابي في معالم السنن :

«وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك، بل يأتي كالمشاهدة» [1]

بالنظر إلى هذا لا بد لنا أن نتدبر بأن الرؤيا التي رآها إبراهيم لذبح ولده كانت تمثيلية أو حقيقية ، فاذا بحثنا في هذا الموضوع تبين لنا معنى ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

الواقع أن الرؤيا التي أراها الله تعالى إبراهيم تمثيلية أي أنه يذبح ابنه معناها أنه ينذره لخدمة بيت الله ونشر دينه الى يوم القيامة، رآى إبراهيم عليه السلام هذه الرؤيا نظراً إلى صدقه في التضحية وامتثال أمر الله حقيقة، وذهب بابنه جسديًا لذبحه في منى، وأراد أن يمر سكينه على حلقومه، بل جعل يمر حتى جاء نداء من السماء : قد صدقت الرؤيا، أخبر الله تعالى بالوحي بأن هذه الرؤيا ليست حقيقية بل تمثيلية، وما كان المقصود من ذبح إسماعيل ذبحه جسدياً، بل كان ذبحه روحيًا، وأن ذبح الكبش صورة لهذه التضحية الروحية، تأملوا في هذا يتضح لكم أن الذبح العظيم الذي قدمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان تضحيةً روحيةً .

إن التضحية الروحية في جنب التضحية الجسمية ذبح عظيم، وإن آلام التضحية الجسدية تكون موقتةً، لكن التضحية الروحية

---

(١) فتح الباري ج/١٣، ص: ٤٠٢ .

عبارة عن تقديم النفس لأمر شرعي في سبيل الله عز وجل، فليس فيها الموت، بل إنها تعني تحمل جميع المصائب حياً واستعداداً كاملاً للموت كل وقت، وقد ترك إسماعيل واحة خضراء لبلاد الشام وتنازل عن راحته وطمأنينته، وترك أهله وأقاربه، وتحمل مصيبة العيش في وادٍ غير ذي ذرع، ورفع هناك جدران بيت الله وجعله مثابةً للمسافرين وقوافل التجار، فلم يكتف بهذا الأمر، بل جعله سلسلة ذهبية إلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ لنشر دين الله وصيانة بيته الحرام، هذا هو الذبح العظيم الذي رُئي إبراهيم في صورة ذبح إسماعيل حقيقة، فهذه التضحية الروحية أصل الملة الإبراهيمية، وشريعة إسماعيل، وذبح الحيوان مجاز لهذه الحقيقة.

اتضح من هذا التفصيل أن فدية الذبح العظيم التي كانت عوضاً عن إسماعيل عليه الصلاة والسلام كانت تضحيته الروحية التي فرضت على ذريته عبر العصور، وإن تمثيله الجسدي ظهر في صورة ذبح الحيوان، وكان هذا العمل فريضة محكمة في عيد الأضحى كل عام على ذرية إسماعيل النسبية والمعنوية، إن الجهاد وقتل النفس الذي جاءت فضائلهما في الإسلام تفسير لهذا الذبح العظيم، فكل مسلم يمثل الذبح العظيم يكرم من الله عز وجل بالحياة الخالدة، وبشرى «بل هم أحياء» وتفتح له أبواب الجنة ويكرمه الله بأرزاق من عنده، وقال شاعر فارسي، معناه:

(إن القلب الذي يكون مفعماً بالحب الصادق، لا يموت، هذا ما قضى به الله عز وجل) [1]

---

(١) مقالات سليمان ص: ٣٠٦ — ٣١٢.

الذنب:

وردت في اللغة العربية للسيئة كلمات متعددة: الذنب، والإثم، والحنث والجرم، فإن هذه الكلمات سوى الذنب تطلق على السيئة التي يتعمدها الإنسان، لكن الذنب معناها أمر غير صحيح، سواء ارتكبه الإنسان عمداً أو سهواً، أو خطأ ونسياناً، لكن يتناول لفظ الذنب معنى الأمور (نحو الغفلة) التي ليست إثماً للأمة، لكن الأنبياء مؤاخذون عليها، وقد قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وردت كلمة الذنب عند ذكر استغفار الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، لا الحنث والاثم والجريمة، وكلمة الذنب تفيد معنى الخطأ، وتحوي معنى الغفلة والعصيان أيضاً، وذكر اللغوي المسيحي الأب ينريكوسلا في كتابه: فرائد اللغة في الفروق: الاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه، ولا يوصف به إلا المجرم، والذنب فوق من حيث إن الذنب مطلق الجرم عمداً كان أو سهواً، بخلاف الاثم، فإنه ما يستحق فاعله العقاب، فيختص بما يكون عمداً، والحنث أبلغ من الذنب، لأن الذنب يُطلق على الصغيرة، والحنث على الكبيرة، والجريمة لا يُطلق إلا على الذنب الغليظ (ص: ٩٦ – ٩٧)، فإذا ذكر استغفار نبي في القرآن فمعناه استغفاره من السهو والغفلة، لا من العصيان الصريح والاثم البواح، يوفقه الله عز وجل بفضله وكرمه للاستغفار وتغشاه رحمته.

وهنا نكتة أن السهو والغفلة لا يؤاخذ عليه الإنسان العام، لكن الأنبياء ينبهون عليه بالنسبة إلى مكانتهم العالية، لأن قولهم

وعملهم يكونان شريعةً، فلا بد من أن تحفظ أقوالهم وأعمالهم لصيانة الشريعة، بناءً على ذلك إذا صدر منهم شيء نَبَّهم الله تعالى وكانوا حذرين، ومبشرين بنعمة الله بالعفو عنه، ويتطهرون من كل أمر دقيق أو جليل سواء صدر منهم سهواً أو عمداً، قال الله عز وجل ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ٣٧] وقال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [سورة طه: ١٢٢] وقال: ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة التوبة: ١١٧] وقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٨] وقال: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: ٢].

هذه المغفرة الكاملة والعفو الدائم لا يتحققان إلا للأنبياء فقط في الحياة الدنيا [١].

الربا:

إن الربا الذي نسميه باللغة الإنجليزية (Interest) أطلق عليه العرب اسم الربا، معناه باللغة العربية: الكثرة والزيادة، فكل ما كان زائداً من الدين عرف بالربا، الذين يبررون جواز الربا يقولون: إن الإعراب ما كان على القرآن في القرن الأول، فقرأ المسلمون كلمة الرِّبا بالكسرة، رغم أن الكلمة الأصلية بالضمة الرُّبا، معناها: النهب والسلب، فليس الربا حراماً في الشريعة الإسلامية، بل المراد منه المال الذي أخذ سلباً ونهباً، هو الربا وهو حرام، ومنشأ هذا السؤال هو ما يتعامل به اليهود والنصارى تعامل الربا مع الآخرين، رغم أنهم مُنعوا في صفحهم السماوية، فقد جاء في التوراة قول

---

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٦٥ — ٦٦.

موسى عليه السلام : إذا أعطيت أحداً من أتباعي دَيناً فلا تتقاضى منه كثيراً، ولا تأخذ منه رباً، وإذا أخذت لباس جارك فلترد إليه قبل غروب الشمس (الخروج : ٢٥ – ٢٦)، وورد في الزبور قول داوود عليه السلام : يا رب ! لا يقيم في خيمتك إلا من لا يطلب الربا، ولا يرتشي ظلماً واعتداءً على الأبرياء (زبور سام : ١٥)، وليس في الإنجيل المعاصر أحكام وقوانين إلا نصائح عديدة، فلا توجد فيها جملة عن الربا، لكن يتجلى من عبارات إنجيل متى أنه قد انتشر هذا المرض في المجتمع النصراني، وإن رسائل بولس التي هي بمثابة الإنجيل لدى النصارى تثبت حرمة الربا .

إن جزيرة العرب التي يسكنها اليهود يأخذون الربا بوجه عام، كما تدل عليه هذه الآية ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [النساء : ١٦٠ – ١٦١]، وبتأثير اليهود انتشر الربا في جزيرة العرب، فكان عباس بن عبد المطلب يرابي، فلما آمن مثل هؤلاء الرجال منعهم الله تعالى من هذا العمل الخبيث، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة : ٢٧٥]، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ـ ٢٧٩]، فالذين يأخذون الربا ضعفين أو ثلاثة أضعاف من رأس المال، قال الله

عز وجل عنهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٠]، إن كثيراً من الناس يأخذون الربا لزيادة مالهم وثروتهم، فلا يكون عند الله عز وجل أدنى زيادة من حيث الطهارة والروح، كما قال الله عز وجل : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] يفهم كل واحد منا من هذه التصريحات أن الربا حرام بالاتفاق لدى كل دين وديانة : الإسلام واليهودية والنصرانية، ونهى جميع الأنبياء من هذه الطريقة الاقتصادية [١].

الرفث:

الرفث له أنواع :

نوع يتعلق بقوة حيوانية، ويكون مرتكبه عامةً شباباً شراب خمر، ويعرف هذا باللغة العربية بالرفث، وورد في القرآن الكريم النهي عنه : ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]، وخصّ زمن الحج هنا، لأن هناك اجتماعاً للرجال والنساء وتكون المواظبة على الحجاب أمراً صعباً، فكان من الممكن أن يكون مثل هذا الكلام بكل حرية وانطلاق .

والنوع الثاني للرفث ما يتعلق بقوة غضبية، ويعرف بالسب والشتم، وتحدث مثل هذه الصورة بمناسبة الحرب والقتال، وإن زمن الحج يشهد اجتماعاً عاماً، ويخشى وقوع النزاع والخصام في هذه الحالة، فحذر الله الناس من كلمة الفسق، قال الله عزوجل : ﴿فَلاَ

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٣٢٢ — ٣٣٥ .

رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ وتوجد للسباب صور مختلفة، تارة يسب الإنسان والدي رجل، ويطعن في نسبه، وتاره يبدي مساوئه، حتى إذا كان في مرض مثل البرص والجذام لمزه، وإذا صدر منه عمل سوء أو عُومل معه معاملة سيئة أبداه، فقد جمع القرآن الكريم هذه الصور كلها مجملةً في كلمة واحدة، قال الله عزوجل: ﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ [سورة النساء: ١٤٨].

ذكرت في القرآن والسنة مصالح وحكم اجتناب السوء من القول في مواضع مختلفة، منها: أن الناس يجاوزون الحدود في السباب، فإذا سب رجل سبةً واحدةً سبه الآخر سبتين، وإذا لعن رجل والد رجل، لعن الآخر والديه، فأحسن صورة للوقاية من تعدي الآخر أن لا يسب رجل رجلاً، ذكر الله عزوجل هذه النكتة في القرآن الكريم: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨]، وكشف عنها النبي الكريم ﷺ في حديث قائلاً: إن من أكبر الكبائر: أن يلعن الرجل والديه قيل: يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه، قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسبُّ أباه وأمه [١][٢].

ولقد ذكر القرآن الكريم الأحوال الروحية للأنبياء أو الدلائل والبراهين بأقوى تأثير واعتبار، وكذلك الصحف السماوية الأخرى ذكرتها في قصص الأنبياء ووقائعهم، فإن (سير الملكوت) و(المكالمة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه.

(٢) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٤٩- ٣٥٣.

الإلهية) و(رؤية الملائكة) و(الرؤيا الصادقة) و (إجابة الدعوات) و(طوفان نوح) و(النار البادرة) و(عصا موسى) و(نفس المسيح) وغير ذلك، من أحوال وكيفيات شتى ذكرت في القرآن الكريم غير مرة، كما ذكرت نتائجها أيضاً بالتفصيل، وكل ذلك يدل على أنها لم تزل معقودةً بسير الأنبياء في كل زمان حتى أصبحت كجزء لازم لحياتهم.

الرياء:

معنى الرياء لغةً: طلب السمعة، وإن مدار الأعمال الإنسانية النية والغاية، فإذا صلحت النية صلح العمل، وإذا فسدت النية فسد العمل، جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات، وإن الغاية الأساسية للرياء أن يحدث الإنسان حسن الظن نحو نفسه في الناس، بأداء خصيصة له، ويتطاول عليهم، والكبر جزء منه، فقد ذكرهما الله عز وجل في القرآن الكريم في موضع واحد، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ [سورة الأنفال: ٤٧]، وهذا الرياء يظهر من كل عمل للإنسان الذي لم يُبتغ منه وجه الله، بل أريد من ذلك غرض دنيوي، فقد سماه الإسلام الشرك الخفي والشرك الأصغر[1].

السائل:

معنى السائل: الطالب، ولا يصح أن يراد بكلمة السائل المتسول، بل المراد منه كل ذي حاجة يطلب من أحد مساعدة مالية، قال الله عز وجل: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٣٨.

الذاريات: ١٩]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج: ٢٤ـ٢٥]، وقال الله في سورة الضحى رقم الآية: ١٠]، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾، يفهم من قرينة كلمة: «أغنى» المذكورة من قبل معنى السائل: المتسول والمكدي عامة، لكن هذه الكلمة أعم من ذلك وأشمل، أي كل ذي حاجة يطلب مساعدة سواء كانت بدنية أومالية أو علمية [1]، حتى لو أن الأعرج طلب مساعدة كتفك، فهو أيضاً في مدلول السائل، ولا ترد سؤاله بشدة، بل أوفِ بحاجته حسب وسعك، وإن لم تقدر على ذلك فاعتذر إليه، بلين وحسن معاملةٍ.

ومن صور المساعدة أيضاً أن تشفعوا للمستحق بها على سبيل الإخاء، قال الله عز وجل: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾ [سورة النساء: ٥٨]، إن هذه الآية وإن كانت تتعلق بالحرب من نظم العبارة و بيها أي لو أن قبيلة ضعيفة، التمست أن يشفع لنصرها في مواجهة قبيلة قوية فالأولى أن يشفع لها في أعمال الخير ويقبل طلبها، لكن سعة الألفاظ القرآنية تمتد إلى شفاعة لكل عمل حسن، وذكرت فيها هذه القاعدة أن شريك كل عمل حسن يُثاب حسب جهده مع المباشر لذلك العمل، كما أن المتعاون على

---

(١) ورد في تفسير الطبري معنى الآية: وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهر، ولكن أطعمه واقض حاجته، وقال أبو القاسم جار الله الزمخشري: أراد بعض المفسرين من السائل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ طالب العلم، وقيل: أما إنه ليس بالسائل المستجدي، ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهر.

الإثم يعاقبه مع مرتكبه، قال الله عز وجل في آية أخرى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة المائدة: ٢]، فإيتاء ذوي الحاجة، وتوفية احتياجات المحتاجين حسب المقدرة حق لكل مسلم على أخيه، لا بد من أدائه، لعل النبي ﷺ شرح الآية المذكورة أعلاه بكلماته هذه: من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج من مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة {خ٢٤٤٢، م٢٥٨٠} وفي رواية جامع الترمذي: «والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه»{ت١٤٢٥ و: ١٩٣ و: ٢٩٤٥} (١)

السرقة:

أخذ الإنسان شيئ غيره بدون إذنه يُعرف بالسرقة، وقد عين في الإسلام حد السرقة وهو قطع اليد، قال عز وجل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، وليس السبب في قبح هذا العمل (السرقة) أن السارق يتصرف في مال غيره خفيةً بدون إذنه، بل إن الرجل يكسب المال من كسب يده يأخذه الآخر ويتلفه، وإن لم يكن هناك رادع أو زاجر، فلا يجد رجل نتيجة كده وجهده، وهناك سوءات أخرى مثل دخول السارق في بيت الآخر بدون إذنه، والاستيلاء عليه، وتارة يؤدي ذلك إلى إزهاق النفس وإتلافها، وإنفاق السارق هذا المال بدون أي خوف في جهات غير شرعية.

كان قد انتشر في العرب هذا السوء بسبب الإفلاس، بحيث إن الإسلام

---

(١) سيرة النبي ج٦/١٤٨

قد أخذ الميثاق بترك السرقة من النساء المسلمات في سورة الممتحنة، وذلك أن لا يسرقن، وهذا العهد لا يختص بالنساء فقط، بل كان النبي الكريم ﷺ يأخذه من الرجال كذلك، وقد جاء في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: تبايعوني على أن تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن نقص شيئاً من ذلك، فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، قال: فبايعناه على ذلك: {الجمع بين الصحيحين: ٦٦٧}[1]

سنة الله:

إذا تصادم الخير والشر، والنور والظلمة، والظلم والإنصاف غلب الله الخير على الشر والحق على الباطل والنور على الظلمة، والعدل على الظلم، وإن الأقوام المذنبين المجرمين حينما لا تقبل دعوة الحق، ولا تؤثر فيهم الموعظة والنصيحة ينزل الله تعالى عليهم عقاباً من عنده، فإنها تهلك وتبيد بأنواع شتى من العذاب، هذه سنة الله عز وجل، وهي قائمة منذ خلق الله هذا الكون، وتبقى إلى قيام الساعة، ولا يحدث فيها فرق أبداً، فقد استعملت هذه الكلمة في القرآن في هذا المعنى، نذكر هنا جميع الآيات لئلا يكون أدنى شبهة

١سيرة النبي ج٦/٣١٢-٣١٤

لدى الناس في هذا الأمر .

إن قريشاً كانوا يعزمون على أن ينفوا محمداً ﷺ من مكة ، وكانوا يجحدون نبوة محمد ﷺ علناً وجهاراً ، فقد قال الله عز وجل : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ، سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [سورة الإسراء : ٧٦ـ٧٧] ، إن المنافقين في المدينة كانوا لا يمتنعون من مكرهم ، قال الله عز وجل : ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [سورة الأحزاب : ٦١ـ٦٢] ، ويوضح هذا المعنى أكثر إيضاحاً قول الله عز وجل في سورة فاطر : ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [سورة الفاطر : ٤٣] ، ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة الغافر : ٢١] ، وقد حذر الله كفار قريش بمناسبة صلح الحديبية وخفف الحزن عن المسلمين : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [سورة الفتح : ٢٢ـ٢٢] بدراسة هذه الآيات يتضح معنى سنة الله عز وجل في القرآن الكريم(١).

سوء الظن :

سوء الظن نوع من الأوهام ، وتكون ثمرته أن سيئ الظن

---

(١) سيرة النبي ج/٣، ص: ١٥٧ـ ١٥٨ .

ينظر في كل شيئ سوءً، ولا يدور بخلده حسن النية، وهو ينسب إلى الآخرين الأقوال الكاذبة، ويظن الآخر مثل ذلك، فيتحاشى عنه، ويحدث البغض والعداوة، لذلك أكد الله تعالى على الابتعاد من هذا السوء، قال عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢][1].

سواع:

لا أصل له في كلام العرب، ويحتمل أن يكون مشتقاً من السوع، معناه: العصر، صورته مثل صورة المرأة [2].

شرح صدر:

إن شرح صدر يستعمل في معنيين: (١) شق صدر وملؤه نوراً إلهياً، ورد في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ١]، ويؤيد هذا المعنى ما رواه الترمذي (رقم الحديث/٣٣٤٦). (٢) حصول الطمأنينة، وذلك ما طلب موسى عليه السلام من الله عز وجل: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [سورة طه: ٢٥]، وإن ضيق الصدر يكون في العرف علامةً للجهل، كما أن سعة الصدر تدل على كثرة العلم وغزارة المعرفة بالحق، فالمعنى الاصطلاحي والمجازي لكلمة «شرح صدر» ما هو ذكرناه آنفاً أي كثرة العلم وغزارة المعرفة بالحق، وخاصة يطلق هذا المعنى على العلم الذي ترتسم آثاره على القلب فجاءة نحو مشكلة أو عقدة فتنحل المشكلة، ويطمئن القلب، ويسر الإنسان بما ينال من الراحة

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٠٠

(٢) أرض القرآن ج/٢، ص: ١٧٩.

دافعاً الشكوك والشبهات .

وقد ورد معنى شرح في المعاجم والقواميس: ذكر ابن دريد في الجمهرة معنى الشرح قائلاً: والشرح من قولهم: شرحت لك الأمر أي أوضحته وكشفته، وشرح الله صدره فانشرح، إذا اتسع لقبول الخير، وقال الجوهري في الصحاح: الشرح الكشف، تقول: شرحت الغامض إذا فسرته، وقال ابن منظور في لسان العرب: الشرح الكشف، يقال: شرح فلان أمري: أوضحه، وشرح مسألة مشكلة بينها، وشرح الشيء يشرحه شرحاً، وشرحه: فتحه وبينه وكشفه، وكل ما فتح من الجوهر، فقد شرح أيضاً، تقول: شرحت الغامض إذا فسرته، وشرح الله صدره بقبول الخير بشرح صدره فانشرح، وسعه بقبول الحق فاتسع، قال ابن الأعرابي: الشرح: الحفظ، والشرح: الفتح، والشرح: البيان، والشرح: الفهم .

ويؤيد المعنى الاصطلاحي قول الله عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٢] ويشرحه كذلك ما رواه الإمام البخاري في كتاب الزكاة من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكررضي الله عنه بعده، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه، فقال عمر رضي الله عنه:

غو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. {متفق عليه: خ/٧٢٨٤/م: ٢٠} هذا هو الحق الذي عبر عنه القرآن بنور من ربه.

نظرة عجلى على أساليب الاستعمال لجملة شرح صدر في القرآن والحديث تكشف لنا عن أن الصدر إذا فتح لشيء فيستعمل له «اللام» أويضمر له بقرينة تدل عليها، مثلاً شرح الله صدره للإسلام، وقول أبي بكر رضي الله في جمع القرآن: فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري، لكن في ذكر موسى ومحمد عليهما السلام لم يُذكر شيء من هذا، فعلم أن شرح الصدر يكون للأنبياء كلياً ومطلقاً غير الناس الآخرين، فإنهم يكشف لهم عن أمورهم جزئياً وفرعياً.

وهنا نكتة لطيفة أن الله عز وجل ذكر في موسى ومحمد عليهما السلام «لي» و «لك» أي ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [سورة طه: ٢٦] و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ١]، فما الفائدة لهذه الزيادات؟ ذكر الإمام الزمخشري أن اللام هنا للتأكيد والتمليك فقط، لكنني أعتقد أن اللام هنا لام الإفادة كما جاء في القرآن الكريم: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩]، فمعنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ١] إن هذه النعمة لشرح الصدر التي أكرمتك بها لنفعك فقط، هذا يفيد نفسك، إذاً فما هي النيتجة لشرح صدر محمد ﷺ؟ فجوابه أن الأحاديث والآثار والأقوال والأفعال مدينة بشرح الصدر[1].

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٩٧ — ١٠٠، المكتبة المدنية، لاهور.

الشكر:

الشكر معناه لغةً: إدرار الحيوان اللبن رغم وجود علف قليل، استعملت هذه الكلمة في عرف الناس أن رجلا أحسن إلى أحد شيئاً فأولاه الثاني بنعمة وتقدير بالغين، هذا الثناء الجميل يتم من ثلاثة طرق: من القلب واللسان واليد والرجل، يعني أن يكون القلب مفعماً بالعظمة للمحسن، ويكون اللسان مقراً بفعاله، ويصدر من اليد والرجل أعمال تكون مشجعةً لهمة المنعم على إنعامه وكاشفةً لفضل صاحب النعمة.

كما أن الشكر ينسب إلى العباد، كذلك نسبه الله عز وجل إلى نفسه في القرآن الكريم، ومعناه أن الله عز وجل يعتني بأدنى أعمال عباده الصالحة ويثيب عليها ثواباً كاملاً، الشكر ضد الكفر، ومعناه الكتم، وفي الاصطلاح عبارة عن نسيان إنعام رجل وعدم الإقرار به من القلب واللسان، فتستعمل كلمة الكفران بالنعمة في لغتنا الأم الأردية.

الكفر كلمة لا يوجد أسوأ منها في الإسلام، فإن الكفر هو أن ينسى الإنسان نعم الله تعالى ومننه، ولا يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه، ولا يبدي عواطف الطاعة والاستسلام له، وإن مرتكبه يسمّى كافراً، يتضح من هذا أن الكفر شر شيمة في الإسلام، وبالعكس أن الشكر أفضل الصفات وأعلاها، وقد وردت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم مقابل بعضها بعضاً، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [سورة الإنسان: ٣]، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

[سورة إبراهيم: ٧]، فعلم من هذه المقارنة أن الكفر عبارة عن عصيان الله مع كفران نعمه ومننه، وأن الشكر إطاعة الله بالقلب وامتثال أوامره، علماً بأن النعم كلها من الله عز وجل، وقد شهد الله بشكر إبراهيم عليه السلام لنعمة ربه قائلا: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: ١٢١]، بينت الآية أن شكر النعمة أن يرضى المرء بالإسلام ديناً، ويتبع أحكام الله شريعةً ويجتنب معاصيه نجساً، فيضع الله له القبول ويهديه إلى الصراط المستقيم لدى كل نشاط.

الشكر أساس الإيمان، وأصل الدين، ودعامة طاعة الله عز وجل، وهذه العاطفة تبعث في قلب العبد عظمة الله وقدره ومحبته، وإن إبداء هذا الحب قولاً وعملاً عبارة عن الشكر، قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ [سورة النساء: ١٤٧]، يعني لا يطالب الله من عباده إلا الشكر والإيمان! أما حقيقة الإيمان، فقد عرفناها حق المعرفة، وأما الشكر فكل ما يأتي في إطار الشريعة الإسلامية هو عبارة عن الشكر، فالعبادات شكر، والإحسان إلى الناس والسلوك الحسن شكر، وإنفاق المال في سبيل الله شكر، ونفع الناس بالعلم شكر، وإعانة القوي الضعيف شكر عن قوته، فأكثر أمور الشريعة تفاصيل للشكر، لذلك فإن الشيطان لما أراد أن يقول شيئاً أمام الله تعالى، قال: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧]، وقد أعاد الله كلمة الشكر وقت إكرام عباده الصالحين بالجزاء الأوفى، قال: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [

سورة آل عمران: ١٤٥]، يأمر الله عز وجل الإنسان بالعمل بالشريعة الإسلامية بهذه الآية: ﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٦].

إن وظيفة الشكر هذه تارة نؤديها باللسان، وتارة بالأيدي والأرجل، وتارة بإعطاء جزائها، فإن أداء هذا الواجب إلى الله باللسان يُعرف في اصطلاح القرآن بالحمد، وقد حفل القرآن بمطالبته، وذلك أن حمد الله تعالى يتضمن معاني جميع الصفات الكاملة التي تكون سبباً لإدرار هذه النعم على الإنسان، فالأحسن أن يقال: إن خلاصة القرآن سورة الفاتحة، وخلاصة سورة الفاتحة حمد الله تعالى، فكانت بداية القرآن من هذه السورة وفاتحة السورة بالحمد، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: ١]، وإن أنشودة الحمد يتغنى بها كل ذرة من ذرات العالم، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الروم: ١٨]، والملائكة مشغولون في حمد الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة المؤمن: ٧]، بل كل شيئ من الكون يشتغل بحمده، قال الله عز وجل: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [سورة بني إسرائيل: ٧]، وقد طالب الله بهذا التسبيح في مواضع مختلفة من القرآن الكريم: الحجر، طه، المؤمن، الطور، الفرقان، قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[سورة طه: ١٣٠].

وقد وردت في أحاديث رسول الله ﷺ وشمائله أدعية لكل مناسبة، مثلا للطعام ولبس اللباس، والنوم، والاستيقاظ من النوم، وأكل الثمار الطازجة والذهاب إلى المسجد والخروج من بيت الخلاء، فليس المقصود من هذه الأدعية، إلا حمد الله على هذه النعم وشكره باللسان، لكن الواجب أن يكون الشكر باللسان نابعاً من القلب، وبياناً للكيفية القلبية.

إن ما أكرمنا الله تعالى به من نعم بدنية يتحقق شكرها أن نشغل أيدينا وأرجلنا في طاعة الله تعالى، ورسوله ﷺ، ونخدم بها الرجال الذين حرموا صحة عضو بدني، مثل العجزة والمعاقين والمرضى، وإن شكر النعم المالية أن ننفق على من ليس عنده مال، فيطعم الجائعون ويسقى العطشان، ويكسى العراة، ويغنى الفقراء.

لقد طالب القرآن بعد ذكر النعم المختلفة بشكرها في عدد من الآيات، فتكون طريقة شكر الله تعالى في كل آية حسب نعمه وآلائه، قال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [سورة الفرقان٦١ـ٦٢]، هذا النوع من الشكر لا يتأدى إلا بالاعتراف بقدرة الله تعالى والقيام بالمهمة التي خلق الله لأجلها هذه النعم (الشمس والقمر والليل والنهار)، وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة: ٦ـ٩]، وقال في موضع

آخر: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٨] ذكرت في الآيات مراحل خلق النوع البشري، وأمر الإنسان بالشكر عليها، وهو أن يعتقد أن هذا من الله تعالى شأنه وجلت قدرته، وأن هذه الحياة التي أكرم بها الله تعالى، وخلقه في أحسن تقويم، دليل على البعث بعد الموت، فعلينا أن نقوم بأداء واجب شكر النعم بالأيدي والأرجل وجميع أعضائه، وقال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [سورة الحج: ٢٨] وقال: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الحج: ٣٦] وقال: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢] وقال: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٤] ففي هذه الآيات ذكر النعم المالية، ويتأتى شكرها أن يعتقد الإنسان أنها من الله تعالى، وينفق في وجوه الخير.

إن القسم الثالث للشكر في الدنيا هو أن يشكر الإنسان رجلاً، أو مُنعماً أحسن إليه من معروف، ومن الطبيعي أن الله غني عن العالمين، فلا يمكن أن يؤدي إليه هذا النوع من الشكر، لكن صورة هذا الشكر أن الله عز وجل كما منَّ علينا بنعمه، كذلك نحسن إلى عباده، وهذه النكتة وردت في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة القصص: ٧٧]، وهو ما يعرف بإقراض الله قرضاً حسناً، فالظاهر أن الله تعالى ليس بفقير (العياذ بالله) إلينا أن نقرضه قرضاً، بل المعنى أن نتكفل بالمحتاجين والفقراء وننفق في أعمال الخير، قال الله تعالى: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً

حَسَناً﴾ [سورة الحديد: ١١]، وقال: ﴿وَأَقْرَضُواْ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [سورة الحديد: ١٨] وقال: ﴿إِن تُقْرِضُواْ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [سورة التغابن: ١٧]، وجاء في الحديث النبوي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني قال: يارب! كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لوعُدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب! وكيف أطعمك وأنت أطعمته رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم! استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب! كيف أسقيك وأنت رب العالمين: قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي» {رواه مسلم رقم الحديث: ٢٥٦٩}.

قد اتضح من هذا الشرح أن شكر النعم البدنية والماليةكيف يقوم بأدائها الإنسان إلى الله تعالى، وكيف يمكنه أن يقرض الله قرضاً حسناً [١].

شهد:

شهد معناها لغة: حضر في زمان أو مكان، ومنها اشتقت كلمتا الشهادة والشاهد، فاتضح أن الصيام في رمضان ليست مكتوبةً إلا على من كان حاضراً في هذا الشهر، وهناك صورتان لعدم

---

(١) سيرة النبي ج٥/، ص: ٢٤٧-٢٥١

الحضور، أولاهما: أن يأتي شهر الصيام، وكان الصائم قد توفي من قبل، وأخراهما: أن يهل هلال رمضان، وكان الصائم حياً يرزق، لكن يسكن بمكان لا يصل إليه ذلك الشهر، وتتمثل هذه الصورة في المناطق التي يكون فيها نظام الشمس والقمر سواء، بحيث يكون فيها النهار لمدة شهور، والليل كذلك، ولا يطلع على أهلها هلال رمضان، فلو أراد مسلمو هذه المناطق أن يصوموا نظراً إلى تقويم البلدان الأخرى المجاورة لها ويفطروا، لكان صحيحاً، ثبت ذلك من حديث الدجال [١].

أما المناطق التي يكون فيها النهار لمدة ثماني عشرة ساعة أو عشرين ساعة، ويكون فيها الطقس بارداً من عجيب قدرة الله تعالى، ليتقلل نصب الصوم وتعبه بازدياد مدة النهار من برودة الموسم، فلا بأس بالصوم هناك، وإني صمت أنا وكثير من المسلمين في بريطانيا، وما شعرنا بنصب أو وجع [٢].

وردت كلمة الصابئين في القرآن الكريم ثلاث مرّات، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [سورة المائدة: ٦٩] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

---

(١) رواه الترمذي في أبواب (باب ما جاء في فتنة الدجال، عن النواس بن سمعان: الكلابي - في حديثه الطويل - جاء فيه: أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قال قلنا يا رسول الله! أرأيت اليوم الذي كالسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم قال: لا، ولكن اقدروا له، رقم الحديث/٢٢٤٠، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر).

(٢) سيرة النبي ج/ ٥، ص: ١٥٧.

هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [سورة الحج: ١٧]، لكن لم يأت تفصيلها سوى الاسم، ولم يتحقق معناها حتى الآن، ما هي أصول هذه الديانة؟ وأين كان منشؤها؟ ومن كان مؤسسها؟ وإلى أي شخص تنتمي هذه الفرقة؟ رغم أن الدين الحنيفي الذي يدعي الإسلام بنيابته، ينحصر اكتشاف حقيقته على فهم الديانة الصابئة، لقد اختلف المفسرون وشُراح الحديث وأصحاب المعاجم والمعنيون بالتاريخ في تحديد حقيقتها، فنتناولها بهذه المناسبة بشيئ من التفصيل :

الصابئ:

كانت بابل موطن الصابئين، وإن عبادة الكواكب كانت موجودةً فيهم منذ زمن طويل، ومع ذلك كانوا يقدِّسون الأرواح، وكان هيكل الكواكب معبداً لهم، وقد أثبتت الدراسات العربية والأجنبية أن هذه الديانة، كانت للعراق قديماً، ثم تسربت إليها بعض الأجزاء للديانة التي صارت تتغلب عليهم شيئاً فشيئاً نظراً إلى تقلبات سياسية، فكانت تتركب من يهودية بني إسرائيل، ومجوسية أهل إيران، وفلسفة اليونان، ومسيحية روما، وكانوا يعتقدون الله، ويؤمنون بوحدانيته، لكنهم يظنون أن أرواح النجوم بمثابة إله وواسطة بين عباده، وكانوا يعبدون ثلاثة أوقات، النجوم: قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أوأقلّ، لتنقضي مع طلوع الشمس، وانقضاؤها مع زوال الشمس، وانقضاؤها مع غروب الشمس، وكانوا يعتقدون أن مركز النجوم القطب الشمالي، فجميع الكواكب من بداية العالم تزول من مكانها وتتقدم، لكن سلك القطب يبقى على مكانه في

صورته الأصلية، فتلك قبلة، يدعون متجهين إليها ويشتغلون بالمناجاة نحوها، ويضطرون إلى أن يغتسلوا ثلاث مرَّات لِكُل صلاة.

أقوال المفسرين عن الصابئة:

نذكرهنا أقوال المفسرين عن الصابئة، وقد استوعبها الإمام ابن كثير في تفسيره، وهي كما يلي:

١ـ قال سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد، قال: الصابئون قوم بين اليهود والنصارى والمجوس، ليس لهم دين، وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه، وروي عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك.

٢ـ وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي وأبو الشعثاء وجابر بن زيد والضحاك وإسحاق بن راهويه: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور.

٣ـ وقال عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن عبد الكريم: سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال: إنهم كالمجوس، وهم قوم يعبدون الملائكة.

٤ ـ وقال أبو جعفر الرازي بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرءون الزبور، ويصلون للقبلة، وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

٥ ـ وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال: الصابئون قوم مما يلي العراق، وهي بكوثى، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن كُلَّ يوم خمس مرات،

وسئل وهب بن منبه عن الصابئين، فقال: الذي يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً.

٦ـ وقال عبد الرحمن بن زيد: الصابئون أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة العرب، يقرءون لاإله إلاّ الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، إلاّ قول لا إله إلاّ الله.

٧ ـ وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلاّ أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، ويزعمون أنهم على دين نوح عليهم السلام.

٨ ـ وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيح: إنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، وقال: الذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء أنهم موحدون، ويعتقدون تأثير النجوم، وأنها فاعلة، واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلةً للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها.

قال ابن كثير رحمه الله: أظهر الأقوال قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: إنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه [1].

وأفرد ابن نديم في الفهرست باباً موسعاً، وكتب فيه عقائد أعمالهم، وقال: إنهم يزعمون أنفسهم من أتباع سيدنا نوح وشيث

---

(١) تفسير ابن كثير ج/١، ص: ١٥٦ — ١٥٧ طبع: دار أرقم بتخريج الشيخ مقبل بن هادي الواعي د– ت.

عليهما السلام، وصحيفة شيث متوافرة لديهم، ذكرت فيها دروس خلقية [١].

وإن ما كتبه العلاّمة ابن تيمية رحمه الله عن الصابئين في كتابه «الرد على المنطقيين» موثوق به: فإنَّ حَرَّان كانت دار هؤلاء الصابئة، وفيها وُلد إبراهيم، أو انتقل إليها من العراق على اختلاف القولين، وكان بها هيكل «العلة الأولى» هيكل «العقل الأوّل» هيكل «النفس الكلية» هيكل زحل، هيكل المشتري، هيكل المريخ، هيكل الشمس، وكذلك الزهرة وعطارد والقمر، وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم، ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الإسلام، ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة في دولة الإسلام إلى آخر وقت، ومنهم الصابئة الذين كانوا ببغداد وغيرها أطباء وكُتَّاباً، وبعضهم لم يسلم.

ولما قدم الفارابي حرَّان في أثناء المأة الرابعة دخل عليهم، وتعلّم منهم، وأخذ عنهم ما أخذ من المتفلسفة، وكذلك دين أهل دمشق، وغيرها قبل ظهور دين النصرانية، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي، ولهذا في دمشق مساجد قديمة، فيها قبلة إلى القطب الشمالي، وتحت جامع دمشق معبد كبير له قبلة إلى القطب الشمالي كان لهؤلاء.

ثم قسم العلامة ابن تيمية رحمه الله الصابئة إلى قسمين: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، ذكرهما القرآن في آيتين

---

(١) راجع للتفصيل: الفهرست لابن نديم، الفن الأول، المقالة التاسعة ص: ٦٣٣ — ٦٧٣، دار قطري بن فجاءة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م.

مستقلتين، أولاهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢]، وأخراهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج: ١٧].

كتب العلامة ابن حزم الظاهري في كتابه: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» أن الصابئة أقدم ديانات العالم، وذكر الشهرستاني الصابئة والحنيفية كديانتين متقابلتين، وتناول مناظراتهما واختلافاتهما، بكل بسط وإسهاب، ممّا يتلخص منها أن الصابئين قوم يؤمنون بالله، وينكرون الرسالة، وإن النجوم التي تحمل روحاً هي واسطة بين الخالق والمخلوق، فلا بُدّ من تقديم القرابين لها، على هذا الأساس صارت النجوم تعبد، أمّا الحنفاء فإنهم يؤمنون بالرسالة ويعتبرون رسولها لسلةً متخللةً بين الله والعبد.

تصريحات قديمة وحديثة بالصابئة:

إن مؤرخاً مسيحياً للقرن السادس الميلادي يقول بكل ثقة: ديانة الصابئين ديانة الكلدانيين القديمة، والقطب الشمالي قبلتهم، وهم يصلون ثلاثة أوقات، الأول: من لدن طلوع الشمس بنصف ساعة حتى طلوعها ثماني ركعات، الثاني: زوال الشمس، الثالث: ثلاثة صيام متتابعاً، من ثامن مارس إلى العاشر منه، وتسعة صيام في دسمبر، ثم سبعة صيام من ٨/ فبراير، إنهم يعبدون النجوم، ويقدّمون القرابين،

لكن لا يأكلونها بل يحرقونها، ويشبه كلامهم كلام الحكماء، ومسائل التوحيد كلها موثقة عندهم، لا يأكلون شيئاً من الثوم والفول الهندي والكرنب والعدس.

اطلعتْ أوربا المعاصرة على أحوال هذه الفرقة بلسان سائح أوربي، زار العراق، ثم قرأتها في كتب المؤلفين المسلمين، نذكرها موجزاً فيما يلي:

الصابئون يسمون أنفسهم «ماندين»، يوجد عمرانهم في خوزستان والبصرة على ساحل الفرات، ومعنى كلمة «ماند» في لغتهم: العلم، أما لغتهم الدارجة فهي الفارسية والعربية، لكن لغتهم الدينية تشبه اللغة الآرامية، وخطهم يشبه الخط التدمري القديم (فالمائرن)، ففي هذا الخط واللغة توجد عندهم صحيفة دينية، بعض أجزائها قديم، وبعضها مقتبس من الكتابات القديمة، يسمى أطول أجزائها سدرب (معناه: الكتاب المقدس العظيم)، ويطلق عليه اسم «كنز» معناه: الثروة، ولها جزءان ما بين صغير وكبير، سمي الأول باليمين، والثاني بالشمال، الأول للحياة، والثاني هو الأدعية لتجهيز الموتى وتدفينهم من أصحاب المناصب المتدينين، والباب الآخر لليمين كتاب الملوك، ذُكر فيه الملوك العرب والإيرانيون، نتأكد منهم أن هذا الجزء كان ما بين القرنين السابع والتاسع، أما التقاليد الدينية فهي أقدم وجوداً يعني يُرى عليه أثر عهد الساسانيين.

نظرة عجلى على عقائد الصابئين وأصول دينهم تكشف لنا أن هذا الدين كان مجموع عبادة النجوم لأقدم ديانات كلدان، وفرقة

ناستك لليونان، ومسألة النور والظلمة لإيران.

بالنظر إلى الآراء المتضاربة نستطيع أن نقول: إن دراسات المؤلفين المسلمين القدامى، والاكتشافات الجديدة وجهان لصورة واحدة، أما ما قال من العلماء المتقدمين مجاهد، وقتادة، وحسن البصري، وابن نديم، ومن المتأخرين العلامة ابن تيمية رحمه الله، موثق بالتحقيق العلمي، يُرى أن أصل ديانتهم كانت كلدانية، لأن عبادة النجوم البابلية الأسماء قد توجد فيها، لكن قد استظلت في عهد حكومة إيران مسألة النور والظلمة واستيلاء الروح، ثم جاء عصر الفلاسفة اليونانيين، فإنهم قد احتلوا إيران بإزاحة الآخرين، فأثرت فيهم فلسفة ناستك، الواقع أن أكثر مباحث خلق العالم وتدبير الكون ليس إلا من رشحات هذه الفلسفة، إن أسماء أنبياء بني إسرائيل من ناحية الإثبات والإنكار من آثار اليهودية، وخاصة ذيوع شهرة سيدنا آدم ونوح وشيث (عليهم السلام) فيهم يكفي لصحة الدعوى، فبعض المؤرخين قد نسبوها إلى أمة شيث عليه السلام، لكن تصور بتسمه وروح القدس والكلمة، تسرب إليهم من المسيحيين.

مما يبعث الجميع على الاستغراب والحيرة نحو هذه الديانة أن أتباعها يحملون مخالفةً شديدةً وعناداً قلبياً لإبراهيم والأنبياء الآخرين من ذريته، وهذا الاستعجاب يرشدنا إلى نكتة مهمة، وهي أننا كما علمنا عن إبراهيم أنه ولد في مدينة بابل «أر»، وكان منشؤه حران، وهذان من الأمكنة التي تعد مراكز ومدارس للصائبين، فلا بد من اللازم أن تكون دعاوي المفسرين المتقدمين ولا سيما ابن تيمية رحمه الله صحيحة، وهي أن هؤلاء هم

الأشقياء الذين نشأ منهم إبراهيم عليه السلام، فمنعهم من عبادة النجوم، كاسراً أصنامهم وتماثيلهم، لكن - يا للأسف - إنهم صاروا أعداءاً له بدلاً من أن يكونوا له أنصاراً، فهذه العداوة قد ورثت هذه الفرقة، ولا نعلم كم مدة رسخت فيهم كعقيدة، ولعل هذا هو السبب فيما إذا كانت كلمة الصابئ تستعمل في العرب (أكبر فرع لذرية إبراهيم) في معنى المرتد، والفاسق والملحد، ففي بداية الإسلام وُصف المسلمون بهذا الوصف[1].

فحينما نقرأ بهذه المناسبة قول الله تعالى يتضح لنا تفسيره: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

شرح لغوي لكلمة صابئ:

قيل: صبا صياغة عبرية لكلمة آرامية: «صبغ»، وتماثل صبغ باللغة العربية، ومنها الاصطباغ، معناها: الاغتسال والاستحمام، وتطلق في الاصطلاح على: بتسمه (Baptism)، ذاك أن هذه الفرقة كانت تغتسل في اليوم عدة مرات، فسميت في اللغة الآرامية صابئة، واستعملت من هذا الاشتقاق باللغة العربية[2]، وهناك شرح أخف لفظاً وأزخر معنى من الأول: كلمة صبا كانت تستعمل في اللغات السامية في

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري كتاب المغازي، باب ذكر النبيﷺ من يقتل ببدر، رقم الحديث: ٢٩٥٠، قال أبو جهل لأبي صفوان: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم.

(٢) مقدمة ترجمة القرآن لسيل.

معنى النجوم عامة، وفي العبرانية بمعنى جماعة عباد النجوم[١]، وفي العربية تأتي في معنى طلوع النجوم وغروبها[٢]، وقد أخرج البيضاوي اشتقاق الصابي من هذا اللفظ[٣].

ملاحظة هامة:

استعمل الأعداء للمناويين كلمة الصابئين أول مرة، ومما يقضى منه العجب أن الخلافة العباسية لما انتقلت إلى العراق سمّى الصابئون أنفسهم في عهد الخليفة مامون بهذا اللقب بكل فخر واعتزاز، فإنهم قد عرفوا اللغة اليونانية وفلسفتها، وتقلدوا مناصب عالية في الخلافة العباسية، ونشأ فيهم أدباء بارزون للعربية والأدب، وظناً منهم أنهم أهل كتاب جددوا دينهم بأنه أقرب إلى الإسلام، نظراً إلى هذا ذكر بعض علماء الإسلام عقائدهم وأساليب عباداتهم أقرب إلى الإسلام، ثم انخدع النصارى حيث ظنوا أن بعض عادات وعبادات الإسلام مقتبسة من الصابئين[٤] غير أن هذا خطأ فاحش، ومما يسرنا أن هؤلاء المتشككين قد تبين لهم خطؤهم[٥].

الديانة الصابئة في ضوء القرآن:

جاء ذكر الديانة الصابئة في القرآن الكريم في ثلاث سور: البقرة، المائدة، الحج، ولم يأت تفصيلها سوى الاسم، وقد علمنا

---

(١) لسان العرب: مادة صبا.

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمي طبع أوربا ص: ٣٦، وكتاب الفهرست لابن نديم.

(٣) التفسير للبيضاوي ج/١، ص: ٧٩، قال المؤلف: الصابئون هم بين النصارى والمجوس، وقيل: هم عبدة الملائكة، وهو إن كان عربياً فمن صبأ إذا خرج.

(٤) سورس آف القرآن سروليم ميور.

(٥) انسائيكلو بيديا برتانيكا كلمة: صابئين "دى لتريري هستري آف برشيا، صنفه براؤن ج/ ١، ص: ٣٨٤.

أن دينهم البدائي كان عبارة عن عبادة النجوم وأرواحها وتماثيلها مع الإقرار بواحدنية الله عز وجل، فليس من الصعب أن نسلّم أن ما قال القرآن في رد هذه العقائد خوطبوا به، وقد جاء في القرآن أن إبراهيم عليه السلام قد بعث لهداية الصابئين وإصلاحهم، وقد صرحت التوراة بأن إبراهيم كان ينتمي إلى مدينة العراق «أر» و«حران»، وكانت أسرته تسجد لغير الله، يقول القرآن الكريم مخاطباً عُباد التماثيل الصابئين بلسان إبراهيم عليه السلام:

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٥].

﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٥-٩٦].

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ [سورة العنكبوت: ١٧].

﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً﴾ [سورة مريم: ٤٤].

وأوضح دليل على هذا ما حاوره إبراهيم عليه السلام في رفض عقيدة عبادة الكواكب.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ

الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦-٧٩] .

يثبت من الجزء الأخير للآية المذكورة أعلاه أن الصابئين ما كانوا ينكرون الله تعالى ، بل كانوا يشركون الآلهة الأخر في الألوهية ، وقد ذكرتُ أثناء شرح الديانة البابلية أن هذه الآية : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [سورة الصافات : ٨٨] تشير إلى عبادة الكواكب .

حيثما ذكر القرآن الحالة الدينية للعرب العدنانيين أخبر هناك أن كل قبيلة تخص بنجم وقت نزول القرآن وتعبده ، وكان العرب قد نسبوا جميع أعمال الدنيا الطبيعية إلى طلوع هذه الكواكب وغروبها[1] ، وكانوا يعتقدون أن كوكباً من كواكب ثمانية وعشرين لمنازل القمر إذا غرب طلع نجم آخر ، وإذا لم يطلع يبقى عمله [2] ، وهذا ما يسمى في الاصطلاح بالنوء ، وقد ورد في الجامع الصحيح للإمام البخاري أن رسول الله ﷺ قال ذات مرة : فأما من قال : مُطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب[3] ، وجاء في الجامع الصحيح للإمام مسلم أن آية : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة : ١٥] ، وردت في رد هذه العقيدة ، وقد قال المفسرون الباحثون : إن ما أقسم الله تعالى بهذه الأشياء في القرآن الكريم يُراد به أنها شاهدة على وجود الله وقدرته وكمال خلقه ، وضعف هذه الأشياء وعبوديتها وخضوعها لأمر الله ، فتصوروا أن الله عز وجل يشير في الآيات المذكورة أدناه إلى إبطال عقيدة عبادة الكواكب : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ [سورة الشمس : ١-٢] ، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾

(١) كتاب الأزمنة والأمكنة للإمام المرزوقي ، طبع حيدر آباد ج/١ ، ص : ١٧٨ .
(٢) فتح الباري ج/ ١ ، ص : ٢٣٤ نقلا من كتاب الأنوار لابن قتيبة .
(٣) الجامع الصحيح للبخاري (٨٤٦ ، ١٠٣٨ ، ٤١٤٧ ، ٧٥٠٣) .

[سورة الطارق: ١-٣]، يقول المفسرون: النجم الثاقب: زحل، وقال الله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [سورة النجم: ١]، النجم: الثريا الخاصة، والمراد بسقوطه: ذهابها تحت أفق الرؤية، وهذا علامة بداية المواسم لدى العرب، وقال الله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [سورة الانشقاق: ١٨]، وقال: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [سورة التكوير: ١٥-١٦] أجمع جمهور المفسرين الماهرين على أن المراد بها: السيارات السبع.

هناك فرق بين عُباد الكواكب والصابئين، فعباد الكواكب يعتقدون الكواكب إلهاً، وأما الصابئون فإنهم يقرون بوحدانية الله تعالى، لكنهم يعظمون الكواكب ويعبدونها، ظناً منها مظهراً للإله الحقيقي، وهذا ما أشار إليه القرآن في آيات مختلفة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ [سورة الحج: ١٨]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة حم السجدة: ٣٧]، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٢٩-٣٠].

وهناك دليل ثالث لعظمة الشمس والقمر بغض النظر عن العلو والرفعة وهو النور، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ [يونس: ٥]، وجاء في سورة نوح: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح: ١٦]، وقد وردت في القرآن آيات التسخير الإلهي

للشمس والقمر، أما سورة الرعد والملائكة والزمر والعنكبوت وإبراهيم فقد جاء فيها ذكره بوجه خاص، يظهر من هذا التكرار أن تقليد عبادة الشمس والقمر كم كان عاماً في العرب، وكان الصابئون يتميزون بعبادة الملائكة والأرواح، يقول الله عز وجل ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبا: ٤٠-٤١][1].

الصبر:

الصبر معناه لغةً: الحبس والضبط، يعني منع النفس من الاضطراب والفزع وتثبيتها على محلها، فليس معناه الصمت الإجباري، وعدم الثأر من أحد، بل هو عبارة عن الاستقامة، وقوة القلب، والجراءة الخلقية والثبات على القدر والرضا بالقضاء، وقد وردت هذه الكلمة ثلاث مرات في قصة موسى والخضر عليهما السلام في مواضع متقاربة، وأريد نفس المعنى في كل موضع، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً، قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾ [سورة الكهف: ٦٧- ٦٩]، فالمقصود من هذا الصبر عدم حدوث كيفية القلق والاضطراب في القلب في حالة الجهل من وقائع عظيمة.

إن الكفار كانوا مصرين على كفرهم وعنادهم بكل شدة رغم دعوة الأنبياء والرسل لهم، ويحكي القرآن حالتهم

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٥٧-١٦٦، بتلخيص يسير، طبع دار المصنفين ديسمبر سنة ٢٠٠٣م.

بلسانهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٥].

استعملت كلمة الصبر في القرآن الكريم في هذا المعنى، وإن كان قد طرأ عليها تعديل يسير نظراً إلى تغير الأحوال، لكن رغم ذلك كله مدلولها واحد، هو الثبات والاستقامة، وإن معاني الصبر هذه التي وردت في القرآن الكريم على ما يأتي:

١ـ **ترقب وقت مناسب**: هو أن يترقب الإنسان وقتاً مناسباً، متحملاً كل نوع من الأذى، وثابتاً على هدفه، وذلك لما عرض رسول الله ﷺ دعوة التوحيد ورسالة الإسلام أمام الناس أول مرة صار كل فرد من العرب ثائراً عليه يعاديه، ويعانده، وكانت العراقيل والعوائق تقام في سبيله، فاضطرب له رسول الله ﷺ بمقتضى البشرية، وخُيل إليه أن النجاح بعيد المدى، فجاءت إليه رسالة التسلية أن لا حاجة إلى القلق والاضطراب، اشتغل ـ يا محمد ﷺ ـ بدعوتك واستمر فيها، الله وليك، ويأتي قضاؤه على الميعاد، قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور: ٤٨]، وقال: ﴿فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا﴾ [سورة الأعراف: ٨٧]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠٩]، وقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة هود: ٤٩].

ذكر الله عز وجل لرسولنا العظيم في القرآن الكريم قصة يونس أنه قد ظن أن العذاب يأتي بشيئ من التأخير على قومه العصاة، فخرج من عندهم هارباً، وأنهم أسلموا وآمنوا بالله عز وجل، فرفع عنهم

العذاب، نظراً إلى هذا وجه الله نبينا محمداً ﷺ في ضوء هذه القصة إلى أن لا تطفح كأس صبره، فقال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨].

٢ـ **عدم الجزع**: هو أن لا يجزع الإنسان في المصايب والمشكلات، بل يتحملها فرحاً مستبشراً بأنه أمر الله عز وجل الذي يتضمن مصلحة ما، ويؤقن بأن الله سيرفعها عنه إذا حان أوانها، وقد مدح الله أمثال هؤلاء بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ [سورة الحج: ٣٥].

إن يعقوب عليه السلام لما سمع من أبنائه النبأ الكذب بأن الذئب قد أكل يوسف عليه السلام قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٨]، ثم قال بعد ما سمع عن حبس ابنه بنيامين في مصر: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [سورة يوسف: ٨٣]، وحينما تحمل أيوب عليه السلام مصايبه البدنية والمالية، برضا ورغبة وصمود كامل، مدحه الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]، وقال سيدنا إسماعيل عليه السلام واضعاً حلقومه تحت سكين أبيه الشفوق الرءوف: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢].

٣ ـ **عدم المبالاة بالمشكلات**: هو أن لا يكترث الإنسان بالمشكلات والأخطار في سبيل الله تعالى، ولا يعتني بما يؤذيه الأعداء أو يلمزه المناؤون له، ولا ينكسر قلبه ولا تضعف همته، بل عليه أن

يحدث في نفسه روح الثبات على الحق والاستقامة، وقد أقيمت مثل هذه العوائق في سبيل كثير من الدعاة المخلصين، لكنهم قاوموها بكل همة وقوة، ونجحوا، فلما أمر الله تعالى محمداً ﷺ بـ الدعوة إلى الله في وحيه الثاني وجَّه إليه خطاباً يتضمن هذا المعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر: ١ـ ٧]، وقد تعرض الأنبياء لمثل هذه المواقف فأمر رسول الله ﷺ باتباع أولي العزم من الرسل، قال الله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

وقد نصح لقمان ابنه أن يؤدي مسئولية الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باستمرار، ويواجه كل ما يأتي من مصايب في هذا السبيل بكل بسالة، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧]، إن كفار مكة كانوا يؤذون النبي ﷺ بأقوالهم المؤذية، فأمر النبي ﷺ أن لا يبالي بها ولا يحزن بسماعها، بل عليه أن يؤدي واجبه بصدق وإخلاص، وينظر ماذا اختار الأنبياء السابقون قبله من المواقف في مثل هذا الأمر، قال الله عز وجل: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ١٧]، وإن منهج الحصول على قوة الصبر هذه أن توثق الصلة بالله ويُتوكل على قوته، قال الله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ [سورة طه: ١٣٠]، و: ق: ٣٩].

٤ ـ **العفو** : من معاني الصبر أن يصفح الإنسان عن المسيئين إليه، ويعفو كل من يؤذيه ويعامله معاملة سيئة، أي يتظاهر بالبسالة الخلقية في تحمل المشاق والصبر عليها، وقد ورد هذا المعنى في آيات متعددة من القرآن الكريم، قال الله عز وجل : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : ١٢٦ـ١٢٧].

هذا النوع للصبر جراءة كبيرة من الناحية الخلقية، وقد أمر المسلمون بتعليم هذه الصفة في القرآن مراراً وتكراراً، وقد أخبروا بأنه لا بد من أن يكون هذا الصبر لله فقط، لا من الضعف أو خوف العدو أو بأي سبب آخر، قال الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٢]، فهؤلاء هم الذين يهنئوهم الملائكة ويقولون : ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد : ٢٤].

هنا نكتة تسترعي انتباهنا في هذه الآية أن الله ذكر في هذه الآية عدة حسنات : الصبر، والصلاة، والخيرات، ودرء السيئة بالحسنة، لكن الملائكة هنأوا هؤلاء الرجال على اتصافهم بالصبر، وهي صفة خاصة، فمن يتحلى بهذه الصفة يتجشم مشاق العبادة، ويتجرع مرائرها، ويجزي سيئات الأعداء بالحسنات، وقد شرحت نفسَ المعنى الآية الآتية : ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا

إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت : ٣٤ — ٣٥] .

٥ ـ **الثبات** : هو أن يثبت الإنسان في ميدان الحرب وقت اشتعال نارها، وقد استعمل القرآن هذه الكلمة في هذا المعنى عدة مرات، وقد وصف الله عز وجل الرجال الذين يتصفون بهذا الوصف بصادقي القول والمتقين، وإنهم أوفوا ما عاهدوا الله عليه : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧]، وإذا وقعت حرب فهناك أربعة شروط للنجاح :

١ـ ذكر الله تعالى .

٢ـ إطاعة الأمير .

٣ ـ الاتحاد والتضامن فيما بين الناس .

٤ ـ الصبر والاستقامة في ميدان الحرب، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال : ٤٥ — ٤٦] .

٦ـ **قهر النفس** : إن أحرج ساعة في حياة الأقوام والأفراد عند ما تحرز أكبر نجاح أو تصاب بفشل، فيصعب آنذاك الملك على النفس وقهرها، لكن هذه هي المناسبة الحقيقية للضغط على النفس، بذلك تحدث قوة الأخلاق والتواضع والوقار والطمأنينة في حياة الأقوام والأفراد، إن المصيبة والفرح، والغم والراحة توأمان في الدنيا، فالإنسان مضطر إلى قهر النفس ووضع حد عليها، بحيث لا تكون مغترة بالراحة

عند الفرح والسرور ولا حزينةً أو سيئة الظن في الغم والألم، فإن علاج هذين المرضين للقلب يكمن في الصبر والثبات وقهر النفس، قال الله عز وجل وهو يعلم سرائر الفطرة الإنسانية: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ، إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة هود: ٩ – ١١].

٧ ـ أداء الفرائض بتحمل كل نوع من المشكلات:

هذا النوع من الصبر يتجلى في أداء فريضة طول الحياة بكل قوة وعزم، فهذه الفرائض والأحكام الدنيوية التي تشق على النفس يكون القيام بها بأحسن وجه عبارة عن الصبر، فإن الثبات على العبودية وامتثال أوامر الله تعالى في كل عمل وفي كل حال بلاء عظيم للنفس الإنسانية، فقد قال الله عز وجل: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [سورة مريم: ٦٥]، وورد في آية أخرى عن أداء الصلاة وأمر الأهل والأولاد بها بتأكيد بالغ، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

فضائل الصبر وجوائزه:

ما هذه الأجرة؟ الواقع أنها تفوق الوصف: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠]، إن الصبر وقوة التحمل من الصفات والمحامد والأخلاق العالية التي تبلغ مكانتها إلى مداها في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥]، فعلم من هذه الآية أن درجة الصبر أكبر من الحسنات الكبيرة ، تمحى بذلك الذنوب والسيئات وتأتي الأجرة الكبيرة عوضاً له، هذه البشارة وردت في آية أخرى، قال الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران : ١٦ — ١٧]، وهنا نكتة غريبة أن بداية أوصاف هذه الجماعة السعيدة بالدعاء، ونهايتها بالدعاء كذلك، وذكر خلالها أربع أوصاف :

أولها: الصبر، **وثانيها** : الصدق، **وثالثها**: عبودية الله عز وجل، **ورابعها**: الإنفاق في سبيل الله .

الصبر والدعاء مفتاح لكشف المشكلات :

وقد تلخصت في بعض الآيات جميع هذه الصفات في كلمتين : الدعاء والصبر، وذُكر أن هذين الوصفين هما مفتاحان لكسر طلسم المشكلات، فإن اليهود حينما لا يقبلون دعوة محمد ﷺ، فكان وراءها سببان، أولهما أن قلوبهم كانت خاليةً من الرأفة والرحمة، وثانيهما أنهم لا يمكنهم التحمل للمشكلات البدنية والمالية التي تأتي بعد قبول إسلامهم، لأنهم تعودوا على التنعم بملذات الحياة، فوصف الله تعالى الطب الروحي لعلاج أمراضهم بقوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [سورة البقرة : ٤٥]، **إن الدعاء يحدث في قلوبهم النعومة، وفي طبيعتهم صلاحية التأثير،**

ويسهل بالصبر قبول الحق، وإن الكفار لما سلوا سيوفهم ضد رسول الله ﷺ وحان وقت وزن إيمان المسلمين في ميزان الإخلاص فنزلت هذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ، أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٣ ـ ١٥٧].

نصت هذه الآيات على أن المسلمين كيف يعيشون في الدنيا، وكيف يصبرون إذا تعرضوا للمصايب في النفس والمال، وعلى أنهم عباد الله، ويرجعون إليه، فليس لنا أن نماطل في الإنفاق في سبيل الله، وإذا لقيت النفس حتفها في هذا السبيل فتلك بشارة لها فيس الحياة الأبدية [1].

الصدع بالأمر:

هذا وصف خلقي، له علاقة بالشجاعة، فكما أن القوات المسلحة تتظاهر بشجاعتها باليد والرجل كذلك إذا اشتد الصراع بين الحق والباطل، جهر المؤمن بالصوت تأييداً للحق من القلب واللسان، هذا ما يعرف في الاصطلاح بإعلان كلمة حق، أو الصدع بالحق.

إن الصدع بالحق يعتبر جديراً بالمدح حينما يكون الحق إزاء

---

(١) سيرة النبي ج/٥، ص: ٢٣٥ – ٢٤٦ بتلخيص

القوة المادية ضعيفاً من حيث العدد، والباطل قوياً، وقد علم الإسلام الناس الجهر بالحق، وأمر رسولنا العظيم محمد ﷺ بها في القرآن الكريم، ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة الحجر: ٩٤- ٩٦]، أي قد انقضى عهد الدعوة إلى الله خفيةً، وجاء عهدها جهراً، فاجهر يا محمد ﷺ! بالدعوة إلى الله، وإن يسخر منك الأعداء فلا تبال بسخريتهم حتى لا تكثرت بقوتهم المادية، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

وقد ثبت من الآية أن الخوف هو الذي يمنع الإنسان من الجهر بالحق، والخوف له أنواع: تارة يكون الخوف من الملامة، الذي ورد استنكاره في الآية المذكورة أعلاه، واعتبر في آية أخرى صفةً خلقيةً قيمةً للمسلمين: ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وتارة ينتج من ضياع النفس والمال والأشياء الأخرى، فقد أحبط الإسلام كل نوع من الخوف إزاء الجهر بالحق، إن أخوف طبقة في الناس الملوك الظالمون، فقرر الإسلام قول الحق لديهم أكبر جهاد بقوله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» {عن أبي سعيد الخدري، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سنن أبي داؤد: رقم الحديث: ٤١٤٧}[1]

الصدق

الصدق أكبر صفة من الصفات الربانية، ومن يكون أصدق

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٦٥-٢٦٧

قولاً من الله عز وجل: قال الله تعالى عن مجيئ يوم القيامة: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ [سورة النساء: ٨٧]، وقال عن وعد الجنة: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [سورة النساء: ١٢٢]، والله تعالى صادق فشريعته صادقة، قال: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٦]، وقال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٥]، وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣]، فالمراد من الصدق في هذه الآيات الأخيرة شريعة الله تعالى أو كتابه، لكن عموم كلمة «الصدق» يحتوي على كل نوع من الصدق، فعلم من هذا أن المتقين يصاحبهم الصدق، وهم يقبلون كل كلام صادق، ويقدمون في أقوالهم وأعمالهم نماذج الصدق.

وإن شأن المؤمنين أنهم كلما رأوا كلمات الله ورسله تتحقق أمام أعينهم نادوا بأعلى صوتهم: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢]، والرسل يتلقون العلم من الله تعالى: فإنهم يكونون صادقين، وقال الله عز وجل: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

يراد من كلمة «الصدق» عامةً معنى الكلام الصادق، مدلولها في ضوء تعاليم الإسلام أوسع، يأتي في إطارها كل نوع من صدق العمل مع صدق الكلام، وقد قسمها الإمام الغزالي بدقة وإمعان إلى ستة أنواع في كتابه: إحياء علوم الدين، واستنبط معناها من القرآن والسنة: (١) الصدق في القول (٢) الصدق في النية (٣) الصدق في العزيمة (٤) الصدق في إيفاء العزيمة (٥) الصدق في العمل (٦) الصدق في مراتب التدين، وإذا وسعنا معناها انحصرت جميع أنواع الصدق في ثلاثة منها: (١)

صدق اللسان (٢) صدق القلب (٣) صدق العمل .

فصدق اللسان هو ما ينطق باللسان، ينطق صدقاً، ولا يخرج أي كلمة من الفم ضد الصدق، هذا هو القسم العام المشهور للصدق، يجب المواظبة عليه لكل مسلم، فهو يتضمن إيفاء الوعد وحسن التعامل مع الآخرين، وهو أكبر علامةٍ للإيمان والإسلام، وما سوى ذلك من أنواع الكذب يساوي نفاق القلب، قال الله عز وجل: ﴿لِّيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤].

وصدق القلب ينتمي إلى القلب، فالصدق والإخلاص من هذه الناحية معناهما واحد، فتارة يكون إبداء الصدق من اللسان كذباً، لأنه لم يخرج من أعماق القلب، وإن المنافقين كانوا يأتون النبي ﷺ ويقرون برسالته باللسان، وكانت رسالته حقاً، لكن هذا الإقرار بالنبي ﷺ كان معاكساً لضميرهم، فقد قال الله عز وجل: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١].

وصدق العمل هو ما كان موافقاً للقلب أو بتعبير آخر: كانت الأعمال الظاهرة مطابقةً للصفات الباطنة، مثلا أن رجلاً يتظاهر بالخشوع في صلاته، وليست نيته إلا الرياء، فالظاهر أنه مرائي وكذاب، وهناك كذبٌ عملي أدق من هذا، هو أن رجلاً لايصلي للرياء، لكن خشوعه الذي يظهر من ظاهر صلاته، ليس في باطنها، فلا تترجم أعماله الظاهرة عن باطنه، فهو ليس صادقاً في أعماله، والحقيقة أن المسلمين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم مؤمنين بالله إيماناً قوياً، صادقين عند الله تعالى، قال الله عز

وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥] (١).

الظلم:

وردت كلمة الظلم في القرآن الكريم في معان متعددة، حتى قد استعملت في معنى الكفر والشرك والعصيان، لكن المراد هنا الظلم الذي يتظالم به العباد فيما بينهم، و وردت كلمتان لبيان هذا المعنى في القرآن الكريم: البغي والعدوان، وهذا الظلم محرم في الإسلام، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، وقال أيضاً: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، ففي هاتين الآيتين أريد بالبغي والعدوان الاعتداء على حقوق الآخرين بمجاورة الحد، وهذا الظلم إن لم يمنع عنه يفسد نظام الأمن والأمان في البلاد وتنفصم عرى الأمة.

فالخطوة الأولى لمنع الظلم أن يعطى المظلوم حقه من الظالم ليحترز الناس من عاقبته متدبراً في هذا الشأن، ذلك لأن الإيذاء ليس بحسن، لكن أبيح للظالم إيذاؤه لئلا يفشو هذا المرض، قال الله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ، وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى: ٣٩]، لكن المظلوم إذا عفا بعد قدرته على أخذ الثأر وجد المظلوم عدله عند الله تعالى، وحرم الظالم حب

---

(١) سيرة النبي ج٦/١٧١-١٧٦

الله عزو جل، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشورى: ٤٠]، وإذا لم يعف عن الظالم وأخذ ثأره فلا يلام، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٤٣].

وقد أجيز للمظلوم أن يظهر إجراءات الظالم علناً وجهاراً، لأن هذا العمل يحمل فائدتين: إحداهما: أن الناس يتلكئون في الظلم خشية العار والندامة، وأخراهما أن الناس يحدث فيهم عاطفة المواساة نحو المظلوم، قال الله عز وجل: ﴿لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ [سورة النساء: ١٤٨][1].

العدل:

العدل هو ما يقسم بين رجلين سواءً بسواء، بحيث لا يكون عند واحد منهما نقص أو زيادة، وينشأ منه المعنى الذي نريده بلغتنا الأم، أي كل ما نقول أو نعمل لا ننحرف فيه من ميزان الصدق.
العدل صفة من الصفات الإلهية التي تبلغ إلى تسعة وتسعين اسماً، ذكر العلماء أن معناها: حكمه عدل، يقول الحق، ويفعل ما يكون حقاً، وقد كررت عدة مرات هذه الحقيقة في تعبيرات مختلفة في القرآن الكريم، قال الله عز وجل: ﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [سورة المؤمن: ٢٠]، هذا يشير إلى العدل الفعلي لله عز وجل، وقال: ﴿وَاللهُ

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٢٩.

يَقُولُ الْحَقَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٤] وهذا يظهر العدل القولي لله تعالى، وقد جمع بين هذين المعنيين قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥] [١].

عزى:

كلمة عزّى مشتقة من مادة: عزّ، معناها: الغلبة والقدرة: فعزّى صيغة مؤنثة لاسم التفضيل من عزّ، ومعناه: الآلهة كثيرة الغلبة، ولا عجب في أنها كانت صنماً للخصام بين قريش وقبائلها، ولعل هذا هو السبب في أن المسلمين لما أصيبوا بالهزيمة، وصعد بعض منهم على جبل أحد، أشرف أبو سفيان على سفح الجبل، ونادى بأعلى صوته مخاطباً المسلمين: لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال عمر بن الخطاب ﷺ بإشارة من رسول الله ﷺ: الله مولانا ولا مولى لكم، صورة عزّى شجر تحته حجر، وكان على جوانبه الأربعة سوار [٢].

عضة:

جاء في القرآن قول عز من قائل: ﴿الَّذِيْنَ جَعَلُوْا الْقُرْآنَ عِضِيْنَ﴾ [سورة الحجر: ٩١]، فعضين جمع ومنصوب، واشتقت منه كلمتان، أولاهما: عضو، معناه جزء، فلو شرحنا الآية نظراً إلى المعنى المذكور لكان مفهومها: جعلوا القرآن مقطعاً، وأخراهما: عضة: معناها: الكذب، الزور، ولو حملنا هذا المعنى على الآية لكان مدلولها: جعلوا القرآن كلاماً مملوءاً بالكذب والوهم والخيال،

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢١٠-٢١١

(٢) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٨١ .

فعضين وقعت هنا مفعولاً ثانياً لجعلوا، كما أن أرضين جمعاً من أرضة، وسنين جمعاً من سنة في حالتي النصب والجر، فكذلك عضين من عضة، وأما ما شرحه العلامة التهانوي هو أرجح عندي[1][2].

العفو:

العفو والصفح صفة عظيمة من الصفات الإلهية، لو لا هذه الصفة لما عمرت الدنيا للمحة واحدة، ولكان هذا الكون المملوء بالذنوب زائلاً في طرفة عين، ومن أسماء الله الحسنى العفوُّ والغافر والغفور والغفار، أما شأنه المتعالي فهو كما يتحدث عنه القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الشورى: ٢٥]، فإن يشأ يهلك الناس بأجمعهم بسبب ذنوبهم أو إن يشأ يعف عنهم، قال جل شأنه: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٤]، وإنه يذكر عباده المذنبين بصفة مغفرته بتأكيد بليغ قائلا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة طه: ٨٢]، فقد وردت كلمة "غافر" في القرآن الكريم مرتين، و«غفار» خمس مرات، ومثل ذلك كلمة «عفو»، وأما كلمة «غفور» فهي أكثر من سبعين مرة، يتضح من هذا أن بحر مغفرته وعفوه تتلاطم أمواجه بغاية من السرعة،

---

(١) قال العلامة محمد أشرف علي التهانوي: عضين جمع عضة، وأصلها عضوة بمعنى جزء، فهو معتل اللام، من عضاه بالتشديد جعله أعضاءاً وأجزاءاً، وجمع السلامة بجر ما حذف منه، وإلا فحقه أن لا يجمع جمع السلامة المذكر لكونه غير عاقل. (بيان القرآن تفيسر آية: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

(٢) مكتوبات سليماني ج/ ٢، ص: ١٢٦.

وتهب رياح المغفرة عاصفةً، وقد استلفت الله تعالى انتباه عباده إلى هذه الصفة ودعاهم إلى اتخاذها شعاراً لهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [سورة النساء: ٢٣]، وقال: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

وقد جاء في جامع الترمذي، أبواب البر والصلة، وباب النهي عن ضرب الخدام وشتمهم، عن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب مملوكاً لي فسمعت قائلاً من خلفي يقول: اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود! فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال: الله أقدر عليك منك عليه، قال أبو مسعود: فما ضربت مملوكا لي بعد ذلك، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وروي عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله! كم أعفو عن الخادم فصمت عنه النبي رسول الله ﷺ، ثم قال: يارسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ فقال: كل يوم سبعين مرة»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وجاء في جامع الترمذي، قال: «مانقصت صدقة من مال، وما زاد رجلا بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، قال أبوعيسى: وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس وأبي كبشة الأنماري، واسمه عمر بن سعد، وهذا حديث حسن صحيح.

إن الآيات التي جاء فيها ذكر للصفح والعفو عن المشركين يقول عنها عامة المفسرين: إنها قبل نزول آيات الجهاد، فلما نزلت آيات الجهاد نسخ كل أمر للعفو، لكن بعضاً منهم لا يرون منافاةً في أمر الجهاد، والعفو عن المشركين، ولا يعتبرون الثاني ناسخاً للأمر

الأول، فقد صرح الإمام الرازي في عدة مواضع من تفسيره.

أما قوله ﴿واعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فالمقصود منه أمر الرسول ﷺ بأن يصبر على سوء أخلاقهم، وألا يعارض أقوالهم الركيكة، ولا أفعالهم الخسيسة بأمثالها، وليس فيه دلالة على امتناعه من القتال، لأنه لا يمتنع أن يؤمر عليه السلام بالإعراض عن الجاهلين مع الأمر بقتال المشركين، فإنه ليس من المتناقض أن يقال: الشارع لا يقابل سفاهتهم بمثلها، ولكن قاتلهم، وإذا كان الجمع بين الأمرين ممكناً فحينئذ لا حاجة إلى التزام النسخ إلا الظاهرية من المفسرين مشغوفون بتكثير الناسخ والمنسوخ من غير ضرورة ولا حاجة، ويقول في تفسير الآية ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقيل: هذه الآية منسوخة بآية السيف، وقيل: محكمة، لأن المسلمين حثوا على اختيار اللين على كل حال، مالم يؤد إلى نقصان دين أو مروءة، ويقول الإمام في تفسيره أيضاً: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً﴾ [سورة الفرقان: ٦٣]، قال الكلبي و أبو العالية، نسختها آية القتال، ولا حاجة إلى ذلك، لأن الإغضاء عن السفهاء، وترك معارضتهم مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والورع.

ويقول في تفسير هذه الآية ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٤].

«وأكثر المفسرين يقولون: إنه منسوخ: وإنما قالوا ذلك لأنه لا يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا، فلما أمر الله بهذه المقاتلة كان نسخاً، بل أقرب أن يقال: إنه محمول على ترك المنازعة في المحقرات بالتجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والأفعال

الموحشة»[1].

العقود:

العقد لغةً: إبرام العقدة، وإحكامها، والمراد منها عقدة واجبات جميع المعاملات والشؤون، واصطلاحاً: تعم هذه الكلمة كل نوع من التعامل، قال الإمام الرازي: «أوفوا بالعهد» تشابه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [سورة لمائدة: ١] فيأتي في إطاره البيع، والشراكة، وعقد اليمين، وعقد النذور، وعقد الصلح وعقد النكاح، فالآية تقتضي إتمام ماكان من عقد أو عهد بين رجلين.{التفسير الكبير ج/٥، ص: ٥٠٥}.

ويقال: إن كلمة العقد تتعلق بالمعاملات فقط، وكلمة العهد أعم من هذا وأشمل، حتى إن إبقاء الصلة الودية التي تتوطد بعد اللقاء مرةً أو مرتين، يأتي في حسن العهد، وقد جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على أحد من نساء النبي(ﷺ) ما غرت على خديجة رضي الله عنها، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة رضي الله عنها، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد، وفي حديث حميد بن عبد الرحمن عن هشام قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين وأمره ربه أو جبرئيل - أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، قال في حديث سعيد بن عفير عن الليث: وأمره أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة

---

(١) سيرة النبي ج٦/٢٢٦-٢٣٢

فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن {كتاب المناقب، باب تزويج النبي خديجة رضي الله عنها وفضلها: ٣٨١٦ و: ٣٨١٧} يعني أن النبي ﷺ عامل مع خلائل خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها معاملة حسنة مثل ما كانت في حياتها، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله باباً عنوانه: حسن العهد من الإيمان، وذكر الحديث المذكور أعلاه ضمن هذا الباب، وروي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ يقرأ هذا الحديث في خطبته: «حسن العهد من الإيمان» و«لا إيمان لمن لا أمانة له ولا لمن دين لا عهد له» معنى ذلك أن إيفاء العهد وإتمام الوعد الذي يباشره العبد مع الله والرجال الآخرين أداء لحقوق الله وحقوق العباد، ومجموعة حقوق الله وحقوق العباد عبارة عن الدين، فالعبد الذي لا يوفي بهذا العهد يحرم روح الدين [1].

العلم:

معنى العلم لغة: المعرفة، لكن تختلف معاني المعرفة في كل موضوع، فإذا استعملت هذه الكلمة للأنبياء، فكان معناها توحيد الله عز وجل ومعرفة ذاته وصفاته والاطلاع على أحكامه وتعاليم الدين الشرعية، قال إبراهيم عليه السلام مخاطباً أباه في الدعوة إلى الله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٣]، وقال الله تعالى عن خضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [سورة الكهف: ٦٥]، فالعلم هنا الموهبة الربانية التي يكرم الله بها عباده المخلصين، ويعرف في اصطلاح العلماء الربانيين بالعلم اللدني، وقال الله عن داوود وسليمان: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢١٩-٢٢٠

آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ [سورة النمل: ١٥]، وورد بمناسبة ذكر بداية نبوة يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [سورة يوسف: ٦]، ليس المراد هنا بالعلم: الوحي المنزل آنذاك، بل هو العلم الذي وقر في القلب من الله عز وجل، فإن علم تأويل الأحاديث هو العلم الذي أعطاه الله يوسف عليه السلام كاملاً من قبل، وقد أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [سورة يوسف: ٣٧]، فإن مثل هذا العلم أكرم به بعض الأنبياء في الصغر، ولقبوا بـ «عليم» مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] وقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الحجر: ٥٣]، وردت هنا صيغة «عليم» لا «عالم»، فإن «عليم» أبلغ من «عالم»، فاتضح من هذه الآيات أن وراء الوحي المنزل بمناسبة على الأنبياء علماً يكرمهم الله عز وجل به.

العهد:

يعتبر الناس عامةً معنى العهد: القول وإيفاؤه، لكن حقيقة العهد في الإسلام أوسع من هذا، فهو يشمل جميع أنواع الأخلاق والاجتماع والدين والشئون الإدارية التي يجب المواظبة عليها في الإسلام من حيث الشريعة والقانون والأخلاق، وهذا اللفظ الوجيز مجموعة فضائل عقلية وشرعية وقانونية وخلقية واجتماعية، لذلك كرر القرآن الكريم ذكره في مناسبات مختلفة، ورد في موضع ضمن صفات الرجال الصالحين ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقال الله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨].

إن إيفاء عهد وعقد أياً كان نوعه علامة رجل صالح، وقد أضاف الله تعالى أيضا نسبة هذا العمل إلى نفسه في عدة مواضع من القرآن الكريم: فقال: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران: ٩]، وقال: ﴿لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة الزمر: ٢٠] وقال: ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفَ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٤]، وقال: ﴿وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ [سورة الروم: ٦]، وقال: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ [سورة الحج: ١٤٧]، وقال: ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ [سورة البقرة: ٨٠]، وقال ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ [سورة التوبة: ١١١]، كما أن الله صادق الوعد موفي العهد كذلك يطالب من عباده أن يكونوا ملتزمين بالوعد وموفين بالعهد، وإن كانت الأحوال غير موافقة لهم، لكن لا ينبغي لمسلم أن يخلف الوعد وأن يتراجع عن رأيه، ويتنازل عن قوله، إن أول عهد للإنسان هو ما بينه وبين الله تعالى، والإنسان مطالب بإيفاء هذا العهد كواجب شرعي، هذا العهد عهد فطري، عقده الله تعالى في عالم الأرواح، والعهد الثاني هو ما يعقد على اسم الله في صورة البيعة وتأكيد الأمر، والعهد الثالث هو ما يتعاقده الناس فيما بينهم، والعهد الرابع هو ما يكون بين أصحاب الحقوق طبعاً، وقد أمرهم الله بتأدية هذه الحقوق، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [سورة الرعد: ٢٠-٢١]، ذكر في هذه الآية عهد الله، ثم عهد الناس فيما بينهم ثم عهد أهل القرابة خاصةً، وهنا فرق دقيق بين كلمة العقد والعهد، أن العقد لا تستعمل إلاّ للمعاملات، وكلمة العهد أعم من

هذا وأشمل[١].

الغل:

إن وجود عاطفة ذات عداوة وبغض في قلب الإنسان يعرف بالغل، وهذه خصلة مذمومة، قد مدح الله رجالاً يتعوذون منها، قال الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠]، وورد في خصائص الجنة أن من يدخل فيها كان أخاً متحاباً، ولا يدور بخلده الغل والحقد، قال الله عزو جل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٧]، وقال أيضاً: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣] فنظرة على هذه الآيات تكشف لنا أن الناس كلما كانوا يحملون في قلوبهم الغل لا يتمتعون بسرير الجنة[٢].

غلف:

يقول الشيخ المفسر الأستاذ محمد أويس النجرامي صاحب التفسير القيم: كان العلامة السيد سليمان الندوي قد درس الأناجيل بكل إمعان، فالنسخة التي كانت متوافرة في مكتبة دار المصنفين مملوءة بالإحالات العلمية له، وكان يستفيد منها خلال دراسة الآيات التي تتعلق بأهل الكتاب، مثلاً جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [سورة البقرة: ٨٨]، يشرح المفسرون عامة

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢١٦-٢١٧.

(٢) سيرة النبي ج٦/٣٢٧

هذه القطعة قائلين: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن قلوبنا ضيقة لا تتسع لفهم كلامك، إن العلامة الندوي كان يقول: قول المفسرين هذا صحيح بالنظر إلى المفهوم والغاية، الواقع أن هذه الكلمة من الكلمات التي يتعاون بها اليهود فراراً من الدين، وكانوا يستعملون بهذه المناسبة كلمة غلف، ترجمتها بالأردية «نامختون» يوجد استنادها في الأعمال (١٠١٠٠٧) والروميون باب ٢ من الأسفار المسيحية [1].

الغلول:

المتاع الذي كان يساهم فيه رجال، ولم يقسم بينهم، فأخذ شيئ منه خفيةً يعرف بالغلول، لكن الخيانة والسرقة التي تصدر عامة في مال الغنيمة تسمى أيضاً الغلول، صرح القرآن الكريم بأن قائد الجيش فضلاً عن العسكري إذا ارتكب هذه السيئة كان مذنباً، وكان الأنبياء قواداً للجيوش أيضاً، ويعصمون من الخطأ، فليس في خلد أحد أنهم يذنبون كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، (وقال): وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١]، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر، فلم يغنم ذهباً ولا ورقاً، إلا الثياب والمتاع والأموال، قال: فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وقد أهدي لرسول الله ﷺ عبد أسود، يقال له مدعم، حتى إذا كانوا بوادي القرى، فبينا

---

(١) تعمير حياة مايو سنة ١٩٦٤م.

مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي الكريم ﷺ: كلا! والذي نفسي بيده! إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً، فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشراك أو بشراكين إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: شراك من نار أو شراكان من نار {سنن أبي داوود: ٢٧١٣}[1].

الغني:

الاستغناء مشتقة من الغنى، والغنى عن كل شيئ صفة يجدر بالله عزوجل: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]، ولا شريك لله عز وجل في هذه الصفة، فهو غني، والدنيا كلها محتاجة إليها ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [سورة محمد: ٣٨]، أما غنى الإنسان فهو أن يكون مستغنياً عما سوى الله تعالى، وليعلم أن غنى الإسلام يقوم على أساسين:

أولاً: اعتقاد أن كل ما يجد الإنسان من مال ومتاع وصحة وعافية فهو من الله تعالى، فليس من العدل أن يمد الإنسان يده إلى ما سوى الله، فإن آية من سورة الفاتحة تركز على هذا الجانب، قال الله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، وأكد الله هذا المعنى في عدة مواضع من القرآن العظيم، فقال: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٦٥]، وقال: ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ [

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣١٦-٣١٨

[سورة الإسراء: ٢] ويسأل عباده في آية: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٦]، فلاحاجة للإنسان أن يركع أمام أي غني أو ملك أو أمير.

وثانياً: القناعة التي هي دعامة الاستغناء، وهي أن يطمئن الإنسان بكل ما أوتي من قليل أو كثير من الله تعالى، ولا يحدث في نفسه الطمع والحرص للمال الكثير، قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾ [سورة طه: ١٣١].

إن بعض الناس يكونون حريصين على جمع المال، رغم أنهم أغنياء، ولا تشبع نفوسهم من المال والثروة، ويكسبونه من كل طريق غير مشروع، فإنهم يكونون محتاجين إلى المال رغم كونهم أغنياء، لكن بعضاً منهم لا يكونون أغنياء، لكنهم يكونون قانعين بما آتاهم الله عز وجل، ولا يحرصون على ادخاره، فإنهم يكونون مستغنين عنه رغم قلته، نظراً إلى هذا اتضح أن ليست علاقة الاستغناء بقلة المال وكثرته، بل بالقلب والروح.

وقد أشار إلى هذا الجانب رسولنا العظيم محمد ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» {صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب الغنى عن النفس} رقم الحديث: ٦٤٤٦، عن أبي هريرة [1].

الغيبة:

تهدف الشريعة الإسلامية إلى أن تكون أعراض المسلمين

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٦٧-٢٦٩

مصونةً، وتكون علاقات الناس طيبةً، فبالنظر إلى ذلك فرض الإسلام الحظر على سوء التعامل مع المسلمين إذا أصيبوا به، وقد ذكر الله تعالى هذه السيئات في سورة الحجرات: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوْاْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١١ـ ١٢].

الغيبة هي ذكر الإنسان أخاه في غيبوبته، وليست الغيبة مقصورةً على اللسان فقط، بل تصدر الغيبة من اليد والرجل والعين، حتى محاكاة رجل، مثلاً أن يكون رجلاً أعرج، فتماشي الإنسان متعرجاً لإبداء عيبه استهزاءً به كان نوعاً من الغيبة...، وكذلك كشف عورات الناس بإشارة من العين من الغيبة، وقد ذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة هذه الطرق المستورة، قال عز وجل: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [سورة القلم: ١١]، و قال عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة: ١]، بيَّن أهل القواميس معنى هاتين الكلمتين على ما يأتي:

- فالهمز هو ذكر السوء جهراً، واللمز: ذكر السوء سراً.
- الهمز: ذكر السوء بإشارة اليد، واللمز: الاغتياب من اللسان.
- الهمز: ذكر سوءات نسب الناس خاصة.

- الهمز: من اللسان، واللمز: من إشارة العين.
- الهمز: إيذاء الأصدقاء بألفاظ سيئة. اللمز: ذكر الأحبة من إشارة العين واليد والرأس والحاجب.

اتضح من هذا أن دائرة الغيبة واسعة إلى حد كبير[1].

الغيظ والغضب:

إن مجاورة الحد في الغضب عادة سيئة للغاية، وقد يباشر الإنسان أعمالاً ذات قسوة وجفاء متأثراً بالغيظ والغضب، ثم يكون نادماً ومتأسفاً عليها، فعلى كل مسلم أن يملك غضبه ولا يبديه بدون جريرة، وقد مدح الله تعالى المسلمين الصالحين في القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤] وقال في موضع آخر: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٧]، يسهل على الإنسان العفو في حالة الطمأنينة، لكن حينما يكون غضبه منفجراً لا يسهل له العفو والصفح عن المسيئ إليه، وإن من خصائص المؤمن أن يملك نفسه عن الأعداء، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» {متفق عليه، خ/٦١١٤، م/٢٦٠٩}.

وتؤيد الآية التالية نفس الحديث المذكور أعلاه، قال الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَإِمَّا يَنَزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠].

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٩٦-٢٩٩

وورد مثل هذه الآية في سورة حم السجدة: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة حم السجدة: ٣٦].

وقد دلنا النبي الكريم ﷺ على ثلاث وصفات للخلاص من الغضب، إحداها روحية، وهي ما جاء في القرآن الكريم أن يقول الإنسان وقت الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن الغيظ من عمل الشيطان، فإن الشيطان يفر من الإنسان بذكر الله عز وجل، أما الوصفة الثانية والثالثة فهما ظاهرتان بحيث إذا كان الإنسان قائماً فعليه أن يجلس، وإذا كان جالساً فعليه أن يضطجع، فالغرض منه أن تغيير الهيئة يخفف الغضب ويصرف وجهته من الأمر الحادث، والعلاج الثالث أن يتوضأ، ذلك لأن الغضب يُحدث في دم الإنسان شدة وحرارة، فالعين تحمر والوجه تبدو عليه آثار الغضب، فإن الماء يبرد الطبيعة الحادة، ويحدث خفةً في حرارة الغضب [١].

الفاحشة:

الفاحشة ضد العفة والنزاهة، معناها: السيئة الكبيرة، قال الله عز وجل: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩] وقال: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، وتعرف هذه السيئة بالزنا،

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٢٦

وقد منع المسلمون ضمن الآية الآتية من هذه السيئة، قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢]، إن الأسلوب الذي اختير لهذه الموعظة روح البلاغة، لم يقل الله عز وجل: لا تزنوا، بل قال: ولا تقربوا الزنا، فإن هذا الأسلوب لم يؤكد اجتناب هذه السيئة فقط، بل فرض الحظر على التقرب منها، من هنا ظهرت نكتة عملية، وهي كما أن اتقاء الفاحشة كرامة، كذلك اتقاء مقدماتها مقتضى الكرامة، فالنظر إلى الأجنبيات نظرة شوق ولهفة أو نظرة وقاحة، والاختلاط في الخلوة، ولمس أيديهن والتحدث إليهن، والتمتع المكروه بإيابهن وذهابهن أو مباشرة أعمال غير إنسانية يمقتها الإسلام مقتاً شديداً، فقد حرم الإسلام جميع المقدمات والمبادئ التي تكون سبباً لهذه الأعمال الشيطانية، إن السهم الأول للعلاقات الخبيثة بين الرجال والنساء العين، وقد أمر المسلمون والمسلمات أن يحفظوا أعينهم إذا كانوا متقابلين، قال الله عز وجل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] (١).

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٩١-١٩٢

الفحشاء :

كلمة الفحشاء مشتقة من الفحش، ومنها الفاحشة، معنى الفحش: مجاوزة الحد، ومعناه الآخر: القبح، لأن لكل شيئ حداً، قرره الله عز وعلا، فمجاوزته عبارة عن السوء، وذلك ما يسمى بالفحشاء، مثلا أن الله جل وعلا جعل لإشباع الغرائز البهيمية حدوداً، فمن جاوزها اعتبر مقترف الفحشاء والفاحشة، ومعتدي حدود الله، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٥ ـ ٧] وقد سمَّى الزنا الفحشاء، وصار معناه أمراً قبيحاً، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٣٢].

وإذا أطلقنا هذه الكلمة عمت جميع الأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، التي جاء في القرآن التأكيد على الاحتراز عنها [١].

فطرة الله:

إن مدلول «فطرة الله» في اصطلاح القرآن هو التوحيد الذي هو الدين الطبيعي، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٣]، ويشرح هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا يولد على

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٧١

الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٣٠] {الجامع الصحيح للبخاري كتاب التفسير} [١].

القيامة:

إن حقيقة شيء تنكشف من اسمه، وقد ذكرت للقيامة عشرات من الأسماء في القرآن الكريم، وكل اسم يحمل جانباً خاصاً به، إن أول اسم له في القرآن في فاتحته هو يوم الدين أي يوم الجزاء، اتضح منه أن هذا اليوم يكون يوم الجزاء العام والعرض التام، نذكر فيما يأتي أسماء أخرى له:

(١) الساعة (٢) اليوم الحق (٣) اليوم الموعود (٤) يوم الآزفة (٥) يوم عظيم (٦) يوم البعث (٧) يوم التلاق (٨) يوم الجمع (٩) يوم الحسرة (١٠) يوم الفصل (١١) الغاشية (١٢) النبأ العظيم (١٣) يوم القيامة (١٤) يوم معلوم (١٥) الوقت المعلوم (١٦) اليوم الآخر (١٧) يوم عسير (١٨) يوم عصيب (١٩) يوم التناد (٢٠) يوم الحساب (٢١) يوم الخروج (٢٢) القارعة (٢٣) الطامة الكبرى (٢٤) الحاقة (٢٥) الوعد (٢٦) الواقعة (٢٧) أمر الله (٢٨) الصاخة.

هذه أسماء مفردة أو مركبة، وهنا أسماء في صورة جمل مستقلة أو فقر متناسبة مثلاً:

■ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الأنعام: ٧٣].

---

(١) سيرة النبي ج/٣، ص: ١٢٣ — ١٥٩ بتلخيص.

- ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٩] .
- ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾ [سورة الشعراء : ٨٨] .
- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [سورة الفرقان : ٢٧].
- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء﴾ [سورة الفرقان : ٢٥] .
- ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [سورة غافر : ٥١] .
- ﴿لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [سورة آل عمران : ٩] .
- ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ [سورة النمل : ٨٣] .
- ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المطففين : ٦] .
- ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ [سورة القمر : ٧] .
- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [سورة عبس : ٣٤-٣٦] .
- ﴿يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ [سورة البقرة : ٤٨] .
- ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [سورة النور : ٢٤] .
- ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً﴾ [سورة الانفطار : ١٩] .
- ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً﴾ [سورة الدخان : ٤١].

هذا، وأمثاله من الأسماء والصفات ليوم القيامة ورد في القرآن الكريم، يظهر فيه عجز الإنسان وضعفه ويأسه من كل شيء سوى أعماله [١] .

الكبر:

إذا وجد في الإنسان وصف بارز حدث في نفسه استعلاء طبيعياً، وليس هذا عيباً خلقياً، لكن إذا تدرج فيه هذا الخيال إلى

---

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٣٥١ — ٣٥٢.

الأمام، بحيث إن الرجال الذين ليس عندهم هذا الوصف يزدريهم هذا الرجل ويستهين بقيمتهم فيعرف ذلك بالكبر، وإبداؤه يسمى بالتكبر، إن أول نفس ظهرت منها هذه الخصلة السيئة هي الشيطان، الذي تطاول على آدم عليه السلام ونادى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [سورة الأعراف: ١٣]، وقال الله عز وجل: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣].

الكبر خصلة إضافية أو نسبية لا تقتصر على تصور عظمة الإنسان، بل يحمل مع ذلك تحقير الآخرين، كما جاء في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي الكريم ﷺ، وكان جميلاً، فقال: يا رسول الله! إني رجل حبب إلي الجمال، وأعطيت منه ما ترى، حتى ما أحب أن يفوقني أحد، إما بشراك نعلي أو بشسع نعلي، أفمن الكبر ذلك؟ قال: لا، لكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس {سنن أبي داود- كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: ٤٠٩٤}.

فإن هذه الجهة الإضافية للكبر جعلته منبع السيئات الاجتماعية الخلقية والدينية، لأن مقاومة الأنبياء لا يتجرأ عليها إلا الرجال الذين يظنون بأنفسهم الظن، لو لا هم لقبل عامة الناس والفقراء دعوات الأنبياء، قال الله عز وجل: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوْا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٢١]، إن الله عز وجل أرسل موسى وهارون عليهما السلام بآيات بينات إلى فرعون وملئه، لكنهم رفضوا رسالة الله عز وجل، لأنه كانوا يعتبرون أنفسهم أعلى وأفضل

من موسى وهارون عليهما السلام، قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٤٦][1].

الكذب:

الكذب عادة سيئة من العادات الذميمة للإنسان، سواء صدر من اللسان أو من العمل، لأن أساس أعمالنا هو أن تكون ترجماناً للواقع، والكذب ضد الصدق، وهو أصل كل نوع من السيئات القولية والعملية، والكذب ليس سيئةً مفردةً، بل يرتكب معه صاحبه عديداً من السيئات، فذكر الله تعالى صفات قبيحة أخرى مع الكذب، قال الله عز وجل: ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، وقال: ﴿كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] وقال: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة المؤمن: ٢٨].

الكذب له ألوان وأنواع:

أولاً: أن يكون الإنسان متجاهلاً عن الحقيقة، ويحترز من إبداء الحق رغم أنه يعلمه، فقد لعن الله عز وجل هؤلاء الكذابين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩].

ثانياً: أن ينطق بلسانه ما ليس في قلبه: أو ما يكون مضاداً لعلمه، فإنه كذب اللسان، أما كذب العمل فهو أن لا يوفي بما يعد ويتكلم به، قال عز وجل: ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٧].

ثالثاً: أن يحدث الإنسان بكل ما سمع من صدق وكذب

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٣٢

بدون علم، فمثل هذا الرجل يكون وضيعاً بين الناس، ولا يكون له احترام وتقدير لديهم، قال رسول الله ﷺ: «كَفى بَالْمرءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ مَا سَمِعَ»{مقدمة الجامع الصحيح للإمام مسلم}، فالذين يسمعون كل غث وسمين ويوقنون به سمَّاهم الله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ وقال عن طائفة من اليهود: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

إن من أخطر الكذب أن تتضرر به أعراض الناس وحقوقهم، ويقع الفساد في النظام الاجتماعي، هذا مختلف من أنواع الكذب الأخرى، فقد غيَّره الإسلام إلى إفك وزور، معناهما: التزوير والقلب، فمن خطورته أن الله ذكره مع الشرك، وأمر المسلمين قائلاً: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾ [سورة الحج: ٣٠].

والزور لفظ عام يشمل الكذب والافتراء، وجاء في الأحاديث بمعنى شهادة الزور، فقد جاء فيما رواه الشيخان عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا الجريري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا بلى يارسول الله! قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" {متفق عليه خ٢٦٤٥٤ م٨٧} تبرز هنا نكتة من الخوض في الآية والحديث النبوي أن السيئة التي كانت أحق بالذكر بعد الشرك والكفر هي الكذب، فعلم منها فظاعته وشناعته.

وإن كلمة الإفك أشدُّ من الزور، معناها: افتراء الكذب على أحد، وكان الكافرون يفترون على الله الكذب، فعبَّر عنه القرآن بكلمة إفك، ويتضح منه أنها تارة تتصل بالشرك، وإن ما اتهم به المنافقون أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عبر عنه القرآن الكريم بالإفك، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَآءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [سورة النور: ١١]، قال الله عز وجل: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٢].

إن الحلف شهادة يحلف بها رجل لله، فيجعل الله شاهداً على قوله، وإن الحلف بدون حاجة قبيح ثم الحلف الكاذب أقبح منه، فاستنكر القرآن لمثل هذا الحلف والحالفين به، لأنه أشنع صورة للكذب، ولأن الحالف يشارك الله في عمله، فإذا حلف على أمر قادم وجب إيفاؤه، وإن لم يوف كان مذنباً، ووجب عليه الكفارة، وكفارته أن يعتق رقبة، أو يطعم عشرة مساكين، أو يلبسهم، فإن لم يستطع عليه فعليه صيام ثلاثة أيام، وقد أذن له أيضاً أن يتنازل عن حلفه إذا كانت صورة أخرى خيراً منها، ويكفر عن حلفه، قال الله عزوجل: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٨٩] (١).

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٧٤-٢٧٨

الكشف:

معناه اللغوي: الفتح ورفع اللثام، لكن مدلوله على أن الشيء المادي يتجلى في العالم الروحي متمثلاً أمام الأعين، تارة في صورته الأصلية، وتارة في صورته المثالية، وإن الرؤيا هي أحسن مثال لفهم عامة الناس إياه، لكن الرؤيا تكون في حالة النوم، والكشف يظهر في حالة اليقظة، فكما أن الناس حينما تتعطل حواسهم الظاهرة عن العمل يرون بعض الأشياء في المنام التي تكون تارة حقيقة ناصعة، كذلك تظهر من الخواص في حالة اليقظة أمور تكون خارقة للعادة ومحيرة للعقول، وهذا هو الكشف [١].

أكل الربا:

أكل الربا جماع كل سوء من الحرص والطمع والبخل والظلم، فالحرص بحيث إن الرابي يريد أن يكتنز عنده جميع أموال الدنيا، والبخل بحيث إنه لا ييسر على معسر، ولا يساهم بماله في أعمال الخير، هذا هو السبب فيما إذا ذكر الله تعالى أكل الربا ضد الزكاة والخيرات، والظلم بأنه يجعل الناس محرومين من ثمار أعمالهم ولا يرحم الرابي، فقد قال الله عز وجل محذراً من الربا بوجه خاص: ﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٩].

كان عمل الربا شائعاً في العرب بسبب اليهود، وكانوا مُلاك الأموال والعقارات والذخاير، فكان الفقراء يستدينون الديون، وكان من أسباب منع النعم من اليهود أنهم يأخذون الربا، قال الله عز وجل: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ

(١) سيرة النبي ج/٤، ص: ٤٦ — ٤٤.

بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة النساء: ١٦١]، فلماء جاء الإسلام رفض هذه اللعنة التي ترهق الناس قائلاً: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥].

كانت صورة الربا في الزمن الجاهلي أن الفلاحين يستدينون القروض من الأثرياء، شريطة أدائها بمناسبة الفصل الآتي للنبات، فلما جاء فصل النبات ولم يؤدوا، زاد الأثرياء عليهم مدة بمقدار زيادة المحصولات الزراعية، وإذا لم يتمكنوا من أدائها زيدت المدد مع زيادة المحصولات، حتى تكون أضعافاً مضاعفةً، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣١] [1].

كلمة الله:

إن النصارى لما وصفوا المسيح عليه السلام بكلمة الله فإنهم وصفوه بها تحت عقيدة خاصة، وهي أنهم كانوا يعتقدون أن الله مركب من ثلاث صفات، ويسمونها «الأقانيم الثلاثة»: أقنوم الوجود، أقنوم الحياة، أقنوم العلم، ويقولون: إن أقنوم العلم هو كلام الله، وإنه اتحد مع جسم المسيح، وكذلك أصبح اللاهوت ناسوتاً، وثبتت فلسفة اعتبار الثلاث واحداً، والواحد ثلاثاً، ثم تفرقت النصارى في ذلك إلى طوائف شتى، وسلكت مسالك متعددة، فقال اليعقوبيون: إن المسيح هو الله بعينه، وقال

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٣٢٠-٣٢٢

الملكانيون: إنه اجتمعت في المسيح شخصية الله وشخصية الإنسان في وقت واحد، و ولد الله والإنسان معاً من بطن مريم، والنسطوريون أيضاً مع هؤلاء إلا في هذه النقطة الأخيرة أن الله ولد من مريم عليها السلام.

وهنا طائفة أخرى تؤمن بألوهية الأقانيم الثلاثة، جاء في القرآن الكريم: «وكلمته ألقاها إلى مريم» وفي موضع آخر يقول عن المسيح: إنه كلمة من الله، فظن النصارى بهذا التعبير أنه يحمل نفس المدلول الذي يفهمونه وسنحاول في هذا البحث أن نرد على هذا الظن الخاطئ الذي وقع فيه هؤلاء.

كلمة الله وفتنة خلق القرآن:

لقد حاولت النصارى في كل زمان أن يخدعوا المسلمين بهذه الكلمة، وتجلى ذلك واضحاً في فتنة خلق القرآن في العهد العباسي، وخلاصته أن أهل السنة كانوا يعتقدون أن كلام الله غير مخلوق، فكانت النصارى يقولون لهم: إنه إذا كان كلام الله غير مخلوق كما تعتقدون فإن المسيح غير مخلوق كذلك، لأنه كلمة الله، وإنني أرى أن إصرار طائفة من المسلمين وإلحاحهم لإثبات القرآن مخلوقاً كان من أجل تفادي اعتراضات النصارى ومؤاخذاتهم.

ومن المصادفة العجيبة أن النصارى حينما كانوا يستدلون بكلمة الله على أن المسيح غير مخلوق كان الجهمية يستدلون بها على أن القرآن مخلوق، بحجة أن القرآن سمَّى المسيح كلمة الله ولما أن المسيح مخلوق، فقد ثبت من ذلك أن القرآن مخلوق أيضاً.

إن الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) قد رد على أقوال

الجهمية والنصارى معاً، وهو يقول في ذلك: لكن المعنى في قول الله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال كن، وكان عيسى بكن، وليس عيسى هو كن، ولكن بكن كان، فكن من قول الله، وليس كن مخلوقاً، وكذبت النصارى الجهمية على الله تعالى في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة، قالت النصارى: عيسى روح من ذات الله كما يقال: إن هذه المخرقة من الثوب، قلنا نحن: إن عيسى بكلمة كان وليس هو الكلمة وإنما الكلمة قول الله وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [سورة الجاثية: ١٣]، يقول من أمره وتفسير روح الله إنما معناه روح بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله.

مفهوم لفظ "الكلمة" في القرآن:

إن القرآن استعمل لفظ «الكلمة للمسيح عليه السلام في ثلاثة مواضع».

فقال في سورة آل عمران: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: ٣٩].

وقال في سورة النساء يرد على زعم النصارى بأن المسيح ابن الله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [الآية: ١٧١].

وجاء في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: ٤٥].

إنك ترى أن القرآن وصف المسيح في بعض المواضع بأنه كلمة الله، وفي مواضع أخرى بأنه كلمة منه، فهل يصدق بذلك ما تقوله النصارى؟ كلا، بل إن النصارى الذين أخذوا مدلولاً خاصاً بهذه الكلمة بغير سلطان أتاهم كانوا مأخوذين في ذلك بفلاسفة مصر واليونان وهرائهم، وهذا المدلول يعارض التوحيد معارضةً تامةً، ولذلك نرى أن القرآن يهدم أسس هذه العقائد الباطلة.

فتراه يقول لليعقوبيين:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

ويقول للنسطوريين والملكانيين: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٣].

وقال يرد على أهل التثليث عامة:

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١].

كيف نشأ هذا المفهوم عند النصارى؟

إن جميع هذه العقائد الباطلة والأفكار الزائفة التي نشأت في النصارى سببها واحد كما يقول ابن قيم الجوزية في كتابه «إغاثة اللهفان»: فإنه يرى أن النصارى لما فقدوا حقيقة دينهم وشوَّهوا وجهه وأرادوا أن يميل إليهم أصحاب الفلسفات الأخرى والأديان الأخرى رضوا بتسامح ومرونة في هذا الدين حتى يسهل قبوله لكل طائفة ولكل نوع من الرجال، ولما رأوا أهل الفلسفة وهم يقولون بوحدة العقل والعاقل والمعقول قلدوهم ووضعوا نظرية الله والابن وروح القدس.

إن هذه الإشارة من الحافظ ابن قيم الجوزية لكفيلة لكشف الحجاب عن التوجيه التاريخي لهذه الكلمة ولهذا المدلول فكما أن أهل الأديان الأخرى يعتقدون بوجود وسائط بن العبد وربه من الملائكة والأرواح ويؤمنون بأن هؤلاء يدبِّرون نظام هذا الكون حسب أوامر الله وتعليماته، كذلك هذه الفكرة توجد في الفلسفة وقد خدعت بذلك أهل الأديان الأخرى خلاف المسلمين.

فالصابي يظن النجوم وسائط والمجوسي يسميه «امشاسبند»، واليهود يقولون له «كروبيم» (Cherubim)والنصارى يعبرونه، بجبريل وروح القدس، والهنود يدعون هذه الوسائط آلهة والعرب في الجاهلية كانوا يعبرون عنه ببنات الله حتى الفلسفة المصرية الأسكندرية لم تخل من هذه الفكرة فهي تؤمن بالعقول العشرة والنفوس ذوات الإرادة في السماوات التسع كما يزعمون.

يقول ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»: إن آية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]، إن المراد من ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة: ٢٩] هم هؤلاء الفلاسفة الذين كان يوجد عندهم هذه الفكرة.

فقد نرى أن الفلسفة اليونانية الأصيلة قررت وجود «لوغوس» (Logos)الذي جعله الله - في زعمهم - وسيلةً لخلق هذا العالم، ويعبرونه أحياناً بالعقل الأول، ولما أن النصارى كانوا يحبون أن يمهدوا الطريق لأهل الفلسفة للدخول في دينهم واعتناق مذهبهم فلم يلبثوا إلا أن استعاروا هذه الفكرة «فكرة لوغوس»،

وطبقوها على المسيح فما كانت النتيجة إلا أنهم ضلوا أكثر من قبل، وظلوا يتيهون في الظلمات إلى يومنا هذا.

إن عيسى عليه السلام كان عبد الله ورسوله، ولكن النصارى في هوسهم وحيرتهم حاولوا أن يحلوه محل «العقل الأول» فجعلوه وسيطاً بين العبد والرب حيناً، وجعلوه رباً حيناً آخر، وظنوا بعض الأحيان أنه يحمل صفتين معاً: صفة الرب وصفة الوسيط.

ولكن من هو لوغوس في الفلسفة؟ وما هي أوصافه؟

يقول الدكتور وليام نيسال:

"لفهم هذا الشيء أن الله كيف يعمل وكيف يدبِّر هذا الكون ويدبِّر نظامه وهو وراء هذا العالم وخارجه أقام قائلو[1] معروضة لم يكن الناس يعرفونها في ذلك الوقت، ولم يقدم هذه المعروضة بهذا التفصيل قبل فلاطونس، هذه المعروضة كانت تقول: إنه يوجد هناك وسائط بين الله وبين هذا العالم، إنه أخذ هذه النظرية من تلك العقائد المنتشرة بين الناس عن الملائكة والجن، وآراء أفلاطون في الروح، ونظرية الرواقيين أن وجود الله أخرج من نفسه إخراجات روحية دخلت في أعماق العالم وعروقه، إنه يسمي هذه الوسائط ملكات، ومن جهة يسميها «الصفات الإلهية والأفكار الإلهية» التي هي أجزاء العقل الكل والقوة المطلقة، ومن جهة أخرى يسميه عباد الله، ويسميها الأرواح والملائكة والجن الذين يعملون بأمر ربهم.

ولم يكن من الممكن له أن يوفق بين هذه الآراء المتباينة

---

(١) يقول الدكتور توفيق صدقي في كتاب "نظرة في كتب العهد الجديد: إن قائلو كان يثني كثيراً على سابقه الفلسفي زينو، وكان زينو متحمساً لعقيدة لوغوس.

ويجيب على سؤال: هل هذه الطاقات تحمل طابعاً شخصياً أم لا؟ فقال: إن هذه الطاقات تجمعت في نفس واحدة هي نفس لوغوس، فلوغوس إذن هو الوسيط المطلق بين العالم والله، ومنبع جميع التصورات هو عقل الله وحكمته ومحيط لجميع القوى المبعثرة في الكون وهو أعظم الملائكة وأول ابن من أبناء الله بل نستطيع أن ندعوه بالله الثاني، وأن لوغوس أو «الكلمة» هو النموذج الحقيقي لهذا الكون، إنه لبس هذا الكون كما يلبس الرجل ثيابه.

هذا هو لوغوس الذي ظهر في إنجيل يوحنا في هذه الصورة كان كلاماً بادئ الأمر، وكان الكلام مع الله، وجدت جميع الأشياء منه، ولم يكن هناك شيء موجود وجد من غيره.

إن النصارى لما حاولوا أن يضلوا المسلمين قدموا هذا التصور تصور لوغوس في تعبير «كلمة الله» في رجاء أنهم يجدون أمثال ابن كلاب من يميل إليهم، وهذا هو تاريخ هذه الكلمة والعوامل التي كانت من ورائها.

ماذا أريد في القرآن بكلمة الله:

ما هي المعاني التي استعمل القرآن كلمة الله فيها؟ إنه استعمل «الكلمة» في معنى القول الكامل، واستعمله في بعض المواضع لمجرد «الكلام».

فقد جاء في القرآن المجيد: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [سورة الكهف: ٤-٥]، فأطلق في الآية المذكورة لفظ "كلمة" على قول الكفار ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ [الكهف: ٤]، وجاء في موضع آخر

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

فأطلق في الآية المذكورة لفظ "الكلمة" على جملة ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، وجاء في آية أخرى ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠]، فأطلق الكلمة على قول واحد منهم ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠].

أما المراد الثاني من لفظ الكلمة في القرآن فهو الأمر المقطوع به أو الأمر الذي كتبه الله وقضى به من لدنه وتشهد بذلك الآيات القادمة:

﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة الصافات: ٧١ـ٧٣]، تدل الآية على أن نصرة المسلمين وغلبة جنود الله كلها مقطوع بها من قبل، وواقعة لا محالة، ذكر الله ذلك بقوله ﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الصافات: ٧١]).

جاء في موضع آخر: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [سورة غافر: ٦]، تدل الآية على أن دخول الكفار في النار أمر ثابت لا يتغير ولا يتبدل، فلذلك قيل: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [سورة غافر: ٦].

وجاء في موضع آخر ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ

مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧]، تشير الآية إلى أن بني إسرائيل لما صبروا على ما تلقوه من عذاب أهل مصر انتصروا عليهم وورثوا الأرض بعد أن كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها، وذكر الله بقوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾، [سورة الأعراف: ١٣٧].

لقد أشار الله تعالى إلى أنه قد كتب على الفاسقين أن لا يؤمنوا، لأنهم تمردوا وبغوا وعاثوا في أرض الله بالفساد فجزاهم الله في هذه الدنيا بأن قضى لهم أن لا يقبلوا الإيمان أبداً، فقال ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: ٣٣].

وبعد أن بحثنا في الأمر بالتفصيل اتضح لنا أن القرآن لم يطلق «كلمة الله» على سيدنا عيسى عليه السلام إلا ليبين أن ولادته من غير أن يكون له والد، أمر قد قضى الله وكتبه له من قبل وجعله أمراً مقضياً، فجاء في القرآن ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾ [سورة مريم: ٢٠-٢١].

فظهر أن سيدنا عيسى عليه السلام وصف بكلمة الله من حيث إن ولادته بطريق خاص كانت أمراً مقدراً مقطوعاً به لا لسبب آخر.

كلمة الله والإنجيل:

يوجد في تراجم الإنجيل بالعربية آيات تتضمن من الكلمة

المذكورة على نفس المدلول الذي نجده في القرآن يعني العقول والأمر والذي قدر وقضى به، وإليك الأمثلة الآتية:

من المزمور الثالث والعشرين الآية السادسة (بكلمة العرب صنعت السماوات).

من أخبار الأيام الأول، الباب ٧١ والآية/٣ (حلت كلمة الله على تاثان النبي).

من كتاب هو سيع، الباب الأول (كلمة الرب التي صارت إلى هوسيع).

من لوقا الباب الثاني الآية/٣١ (حلت كلمة الرب على يوحنا بن زكريا).

كلمة الله وكلمة التكوين:

ويجب أيضاً أن نقرأ للمفسرين ما يكتبونه من أن عيسى عليه السلام قد ولد بقول الله تعالى ﴿كُنْ﴾، فكان في ذلك مثل هذا العالم إذا نال وجوده بكلمة «كن»، فقد جاء القرآن ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ومن هنا أصبح سيدنا عيسى عليه السلام كلمة الله.

علمنا أن كلمة الله هي الأمر المقدور، وأن كلمة التكوين هي أداة التصرف وتعبيره، وقد وصف العلامة الشاه ولي الله الدهلوي كلمة التكوين في العالم بالتصرف الإرادي.

وخلاصة البحث أن القرآن لم يطلق «كلمة الله» على سيدنا عيسى عليه السلام، ليجعله الكلام الإلهي الذي يلازم الذات الإلهية ولا ليجعله منبعثاً من الذات الإلهية ولا ليجعله الذات الإلهية بعينها

كما يقول المسيحيون، بل إنما أطلق للقرآن هذه الكلمة عليه ليدل على أنه ولد من بطن أمه مريم عليها السلام بطريق استثنائي خاص، كانت ولادته هذه أمراً مقدوراً من الله حصلت لما أمر الله بظهورها.

وإذن لا يبقى من هذه المسألة إلا أن ننظر لماذا خص الله ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بقوله: إنها أمر مقدور أو مقضي به، أو إنها كانت بأمر من لدنه، ولماذا نسب روح حياته إلى نفسه، إننا إذا فكرنا في هذا الأمر وجدنا أن ذلك يرجع إلى أقوال اليهود وقذفهم في عرض سيدنا مريم العذراء وإلى توجيههم التهم الفاسدة إلى سيدنا عيسى عليه السلام بأنها (والعياذ بالله) ارتكبت الفاحشة، وبأنه (والعياذ بالله) وُلِدَ من بطنها تبعاً لذلك، فهذه التهمة هي التي نفاها الله سبحانه وتعالى طهارتها وبراءتهما منها، ووصف طريقة ولادته أنها كانت أمراً مقدوراً من لدنه وروحاً منحه إياه خاصة من لدنه، فقال عن مريم عليها السلام، ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [سورة التحريم: ١٢] (١).

اللات:

روي عن ابن عباس وغيره أن اللات مشتقة من مادة «لتّ»

---

(١) راجع للتفصيل: الملل والنحل للشهر ستاني، الجواب الصحيح لابن تيمية، الرد على الجهمية، الفوز الكبير، هذا الشرح جزء من درس القرآن، الذي كان يلقيها العلامة السيد سليمان الندوي في مسجد دار المصنفين، أمام الناس، وقد رتبه الشيخ الجليل المفسر صاحب التفسير المقيم محمد أويس النجرامي الندوي ونشر في مجلة معارف الأردية الصادرة من دار المصنفين أعظم جراه، العدد: ٤، المجلد: ٤٩، الهند، وقد قام بترجمته الشيخ النجرامي رحمه الله، نذكره ضمن مفردات القرآن (محمد فرمان).

معناها: خلط، كان في العرب رجل يسقي الحجاج مشروباً يسمى بالسويق، جالساً على صخرة، فلما توفي جعل الناس يعبدونها، ويسمونها باللات، إن هذا الشرح وإن كان لا يعبأ به، لكن يلزم بالنظر إليه أن تكون اللات مشددة، هذا يضاد القراءة المتواترة، وقد أثبت ياقوت الحموى اشتقاقها من «ليت» معناها: دفع، فاللات معناها: دافع البلايا، فنظراً إلى هذا التوجيه كان من اللازم أن يكون اسم الفاعل من الفعل المذكور أعلاه: لائت، فهذان التوجيهان يثبتان أن التاء جزء من الفعل، لا للتأنيث، رغم أن اللات مؤنثة.

يا لبلاهة عقل المستشرقين حيث قالوا: إن كلمتي الله واللات مشتقتان من مادة واحدة، فكان الله يستعمل في قريش للصنم الأكبر، واللات تستعمل للصنم المؤنث، نحن نتساءل هؤلاء العقلانيين أن تأنيث الله كيف يكون: اللات، ولو أمكن تأنيثه لكان اللهة، والإلهة.

كانت «إل» أو «إيل» تستعمل في معنى الألوهية في اللغات السامية القديمة، فلما ألحقت بها تاء التأنيث صارت «أيلوت»، ثم أدخل العرب عليها الألف واللام للتعريف، وحذفوا الألف الأولى وفقاً لكلمة «الله»، وصاغوا وزن «اللوات» ثم صارت «اللات» وقد وجدت كلمة «اللات» في اللوحات النبطية في صورة «أيلات»، أما شكلها فهو حجر أبيض مدَّور، شيد عليه بنيان [1].

لسان عربي مبين:

إن اللغة العربية كان يتكلم بها سكان شمال العرب من حدود

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٢٩.

اليمن إلى الشام والعراق، لكن أفصحها لغة الحجاز ونجد، وفي هذه المنطقة لغة قبيلتي سعد وقريش، فافتخر النبي ﷺ بالانتساب إلى هاتين القبيلتين: «ولدت في قريش ورضعت في بني سعد»، يقول عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [سورة يوسف: ٢] ﴿أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ [سورة الرعد: ٣٧] ﴿أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [سورة طه: ١١٣] ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٨] ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [سورة فصلت: ٣] ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [سورة الشورى: ٧]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [سورة يوسف: ٢] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً﴾ [سورة الأحقاف: ١٢]، وجاء في القرآن الكريم ذكر لسان عربي مبين، يقول الله: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل: ١٠٣] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فمعنى «مبين»: كاشف، مُبد، موضح، وقد فسره أكثر المفسرين بهذا المعنى، أي أن القرآن أنزل بلغة أفصح، تكشف المفاهيم، وتوضح المعاني بحيث لا تحدث صعوبة في فهم مدلولاته، وقد روي عن بعض السلف أن المراد هنا من كلمة «مبين» ليس معناها اللغوي، بل استعمل هذا اللفظ كعلم، كانت اللغة العربية منقسمةً إلى مختلف اللهجات وأساليب النطق، فكان أفصحها وأحلاها «اللسان العربي المبين».

جاءت هذه الفكرة أولاً في مخيلتي، ثم راجعت كتب السلف فوجدت فيها ما طمأن نفسي، وقد روى الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن بريدة رضي الله عنه قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥] قال: بلسان جرهم، (المزهر/١٨)، إن جرهم اسم لأحد الأجداد من جهة الأم

لقبيلة قريش، وقد تزوج إسماعيل عليه السلام في هذه الأسرة، فلو لم تكن هذه الرواية صحيحةً لكانت تترجم أيضاً عن أفكار رواة عصرها، وقد نقل ياقوت الحموي في معجم البلدان ضمن كلمة عرب عن هشام الكلبي: واللسان السادس ممن أنطقه الله في عربة بلسان لم يكن قبلهم إسماعيل بن إبراهيم نطق بالمبين، وهو السادس ممن تكلم بالعربية هو وبنوه ولسانهم وكتابهم المبين، وهو الغالب على العرب اليوم، ثم يقول: المبين لمعد بن عدنان، وقد جاء في الحديث النبوي عن أنس أن سيدنا عثمان رضي الله عنه دعا زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ذلك (١)(٢).

مبشراً ونذيراً:

إن معنى خليل الله لغة: صديق الله الخالص، والناصح الأمين، وهو لقب إبراهيم عليه السلام، كذلك كان موسى عليه الصلاة والسلام، يلقب بكليم الله، معناه نجي الله، كذلك سمي عيسى عليه الصلاة والسلام روح الله، هكذا سمى القرآن محمداً ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

يشك عامة الناس في مثل هذه الصفات، ويقولون: هل كان

---

(١) صحيح البخاري رقم الحديث/ ٣٥٠٦) باب نزل القرآن بلغة قريش، كتاب المناقب، والترمذي ٣١٠٤.

(٢) تاريخ أرض القرآن، ج/٢، ص: ١١٥ — ١١٧.

الأنبياء الآخرون متجردين عن هذه الصفات، الحقيقة أن هذه الشبهة إنما تنشأ بقلة الاطلاع على نكت اللغة، ومعلوم أن كل إنسان يلقب بالصفة التي يبلغ فيها مبلغ الكمال، مثال ذلك كل رجل يتكلم ويتحدث، لكن لا يسمَّى كل إنسان أبا الكلام، تستعمل هذه الجملة للرجل الذي يمتلك بناصية البيان ويتمهر فيه، كذلك كل إنسان يملك العين واليد، لكن القرآن الكريم يصف بهما الأنبياء العظام، قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [سورة ص: ٤٥]، ولا شك أن اليد تكون للعمل، والعين تكون للعلم، فالمطلوب منهما غاية المواهب العلمية والعملية للإنسان، ذلك لأن مواهب الأنبياء تكون على مرتبة الكمال، فسموا بأولي الأيدي والأبصار.

هذا هو السبب فيما إذا وصف الله الأنبياء العظام بصفات متعددة، فقال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [سورة النساء: ١٢٥]، وقال عن موسى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [سورة النساء: ١٤٦]، وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [سورة مريم: ٥٤]، وقال عن أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ [سورة ص: ٤٤]، وقال في سورة البقرة وهو يتحدث عن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

إن الصفات البارزة للأنبياء تظهر من ناحيتين: أولاً بالنص

الصريح الواضح، كما جاء التصريح بكون موسى كليم الله، وعيسى روح الله وغير ذلك، ثانياً أن لا يكون تصريح بهذه الصفة في الألفاظ، لكن تتجلى هذه الصفة في مآثر حياتهم العلمية، كما يظهر من دراسة القرآن أن موسى ونوحاً كانا نذيرين، وعيسى وإبراهيم كانا بشيرين.

فمعنى كمال صفة النذير: أن تتجلى فيه صفات القهر والغضب لله عز وجل، ومعنى كمال صفة البشير أن يصطبغ النبي أو الرسول بصبغة فضل الله وكرمه ورحمته، كما أن الله عز وجل لما سمَّى محمداً مبشراً قال: ﴿وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٤٧].

أما جانب القهر والغضب في منتهى صفة النذير فيكون أكثر وأكثر، كما أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما قنط من فشل دعوته منذ آلاف سنة فإنه دعا على قومه لاستئصالهم من الأرض، قال الله عز وجل بلسانه: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً، رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً﴾ [سورة نوح: ٢٦ — ٢٨].

وإن موسى عليه السلام يتجلى من دعائه على فرعون شأن جلاله وإنذاره: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [

سورة يونس: ٨٨] ، انظروا مقابل ذلك كمال صفة التبشبر لعيسى عليه الصلاة والسلام، بحيث إن الله إذا سألهم عن الذين وقعوا في الشرك قال عيسى عليه السلام رداً عليه، والتمس من الله رحمته عز وجل : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ❖ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة :١١٧ – ١١٨] .

إن الفرق بين النذير والمبشر ليس من عندي، بل هو ما نطق به لسان نبينا محمد ﷺ : أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأ جرير بن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه : قال : لما كان يوم بدر قال لهم رسول الله ﷺ : ما تقولون في هؤلاء الأسارى، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : ايت في واد كثير الحطب، فأضرم ناراً ثم ألقهم فيها، فقال العباس رضي الله عنه : قطع الله رحمك، فقال عمر رضي الله عنه : قادتهم ورؤساؤهم قاتلوك وكذبوك، فاضرب أعناقهم بعد، فقال أبو بكر رضي الله عنه : عشيرتك، ثم دخل رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون في هؤلاء، إن مثل هؤلاء، كمثل إخوة لهم كانوا من قبلهم، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ (وقال موسى عليه السلام :) ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال عيسى عليه السلام : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

فعلم منه أن رسول الله ﷺ شبه عمر بن الخطاب وعبد الله بن رواحة بنوح وموسى عليهما السلام في الإنذار، وأبا بكر وعيسى عليهما السلام في التبشير، وهذا يدل على كمال هاتين الصفتين فيهم على انفراد.

إن غلبة صفة النذير في نبي، وغلبة صفة البشير في آخر ليست عبارةً عن تفضيل الواحد على الآخر، بل هاتان الصفتان مظهران لجلال الله وجماله، فاتصف واحد من الأنبياء بصفة الجلال، وثانيهم بصفة الجمال، كلما مست الحاجة إلى اختيار الكمال فيهما أرسل الله رسولاً متصفاً به، فكلتا الصفتين من صفاته، وكلتاهما من أسمائه الحسنى ـ قال الله عز وجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ❖ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣ ـ ٢٤].

ولا تنشأ شبهة بالنظر إلى هذا أن نبياً يكون مبشراً فقط، والآخر يكون نذيراً، بحيث يبشر واحد منهم، وينذر آخرهم، بل المراد أن واحداً يحمل صفة الإنذار مع الكمال في التبشير، والثاني يملك صفة التبشير مع التخصص في الإنذار، وقد وصف الله تعالى جميع الأنبياء والرسل وصفاً عاماً، فقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وهذه البشارة والإنذار تشرحهما الآية: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٤٣٠٤.

يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [١].

المجوسية:

المجوسية ديانة قديمة لإيران، مؤسسها زردشت، لكن أتباع زردشت لا يسمون أنفسهم مجوساً، وردت كلمة «مجوس» في اللغة العربية من اليونان، فيطلق سكان اليونان على أتباع زردشت اسم المجوس، إن أصل «مجوس» في الفارسية «مغ»، كان المجوس يعتقدون إلهين اثنين: يزدان (فاعل خير)، وأهرمن (فاعل شر)، ويعبرون بـ «يزدان» عن النور وبـ أهرمن عن الظلمة، فلما نزل القرآن رفض هذا المعتقد المجوسي الموجود في العرب قائلاً: ﴿قَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النمل: ٤٩]، وهناك آيات أخر وردت في رد هذه الأسطورة الجاهلية، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة النور: ٣٥]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، جاء اسم المجوس في القرآن مرة فقط: وهو في [الحج: ١٧] [٢].

ورد في كتب التاريخ أن المجوسية قلما أثرت في العرب، رغم أن كانت لسكان إيران سلطة سياسية على اليمن وعمان والمناطق الساحلية الأخرى، وقد اعتنق أبو امرئ القيس حجر آكل المرار ملك كندة، بالمجوسية ليحرز منصب نيابة ملك إيران في العرب، وهناك رجال مجوس، ففي قبيلة تميم زرارة بن عدس، وابنه حاجب والأقرع بن حابس والأسود [٣].

---

(١) مقالات سليمان ج/٣، ص: ٢٨٤ — ٣٠٥

(٢) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٥٤، طبع دار المصنفين شبلي أكاديمي، أعظم جراه.

(٣) تاريخ أرض القرآن ج/ ٢، ص: ١٤٦.

المحروم:

اختلف المفسرون في معنى «المحروم» فقال بعضهم: من لا سهم له في الغنيمة، وقال بعضهم: من حُرم المال، وقال آخرون: المتعفف، لكن الصحيح هو الرجل المنكوب الذي نزل على حرثه أو كسبه قارعة من السماء فصار محتاجًا إلى الآخرين، وقد أيد هذا المعنى أصحاب القواميس وبعض المفسرين حتى كلمات القرآن الكريم [1].

مشاء بنميم:

إن عمل النمام أن يُحدث بين رجلين الشقاق بذكر أقوال صحيحة وكاذبة، ويستحكم أمره، فإن أصحابه يذهبون إلى الناس ويوصلون إليهم كل ما لديهم، حتى ينفجر الرجل غضباً ويكره الرجل الآخر كراهةً شديدةً، وقد ذكر القرآن الكريم النمام ضمن الرجال الذين يوثق بقولهم، يقول الله عز وجل: مشاء بنميم، فقرر هذا النظام أن رجلاً إذا أتي إليه بخبر فعليه أن ينظر من يأتي به، فإذا لم يكن مؤمناً صادقاً فلا عبرة بقوله، فلا قدر الله أن يثق المرء بقوله، ثم يباشر عملاً يتأسف عليه، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦].

اللافت للنظر في هذه الآية أن الله تعالى سمَّى الرجل الذي ينمي الأقوال الكاذبة فاسقاً، وإن هذه السيئة تكون عامةً لإحداث

---

(١) سيرة النبي ج٦/١٤٦- وقال ابن جرير الطبري: المحروم المصاب ثمره وزرعه، قال ابن منظور في لسان العرب: المحروم: المحارَف الذي ليس له أحد يعطف أو يعطيه شيئا، وقيل: من لا ينمي له مال، وقال الأزهري: هو الذي حرم الخير حرماناً.

الفجوة بين رجلين، بل بين الأقارب والأحبة، لذلك قال النبي الكريم ﷺ: المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة. {مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ٢٧٥٩٩}.

قال بعض المفسرين: إن القرآن الكريم ركّز على تسمية زوجة أبي لهب حمّالة الحطب، لأنها كانت تنمي القول إلى الآخرين، وكان بعض الناس يسترقون السمع، ثم يبلغونه إلى الآخرين، سمي أمثال هؤلاء الناس بالقتاتين، فقال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة قتات {صحيح مسلم: ٣٩٥}.

إن الوشاية نوع من إثارة الفتنة، بحيث تكون نتائجها وخيمة، وتارة يصل الإنسان بها إلى القتل وسفك الدماء، وهي جماع كل سوء، ويأتي في إطار الغيبة والبهتان والتجسس والكذب والخداع والنفاق وغير ذلك من أنواع سوء التعامل المختلفة [1].

مناة:

يحتمل هذا الاسم عدة اشتقاقات، أضعفها أنه اشتق من مني، معناه: الإسالة، ومنه منى في مكة المكرمة، معناه: مكان إسالة الدماء، ولعل مناة كان صنماً للقربان تراق باسمه الدماء، ولكن ليس هناك دليل غير القياس لصحة هذا الاشتقاق، وقد أخبر ياقوت الحموي عن عدة اشتقاقاتها، أصوبها عندنا أنه مشتق من «مناة» معناه: القضاء والقدر، ومعناه الثاني: الموت، وقال ابن منظور: إن التاء في مناة للتأنيث، كأن «مناة» كانت صنماً للقضاء والقدر، وردت كلمة «مناة» في اللوحات النبطية في صورة «منوت»، أما القرآن الكريم فجاء فيه

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٩١-٢٩٥

هيكله في شكل «منوة»، وصورة مناة صخرة للحجر [١].

المنكر:

معنى المنكر: كل ما تناكرته الطبائع، أي أن العمل الذي يحبه الناس، يكون صاحبه ممدوحاً بين الناس من القيام به، فهو العمل المرضي المتعارف عليه، ويسمى في اصطلاح الدين بالمعروف، وكل عمل يكون غير مرضي عند الله ولدى كل طبقة، وتسقط به منزلة الإنسان في الناس فهو منكر، ولما أتى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ضيوف لا يعرفهم، قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ولما جاء إخوة يوسف إليه عرفهم، لكنهم لم يعرفوه، فقال الله تعالى بهذه المناسبة، ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وإن وجه الإنسان وقت الغضب يتغير وتلوح عليه آثار الكراهة والسخط، هذا ما يُعرف في الاصطلاح بالمنكر، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢].

فالمنكر هو العمل الذي يكرهه كل إنسان طبعاً، وإن سوءه يكون مكشوفاً تماماً، بحيث لا يحتاج إلى دليل، فيكرهه كل طبقة من الناس [٢].

نسر:

طائر من الجوارح، حادُّ البصر، قوي من الفصلية النسرية من رتبة الصقريات، وتوجد في السماء مجموعة من النجوم، وهي معروفة

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٨١.

(٢) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٧٢

بمشابهتها للنسر، فهذه المجموعة كانت تعبد منذ مدة في الأقوام السامية، وكان في أصنام أهل بابل: نسروك، واكتشف تمثال لهذا الإله في بابل، ونسر على صورة طير[1].

النشوز:

النشوز لغةً: القيام، واصطلاحاً كما حكى معناها ابن جرير: ومعنى ذلك إذا رأيتم منهن ما تخافون أن ينشزن عليكم من نظر إلى ما لا ينبغي لهن أن ينظرن إليه، ويدخلن ويخرجن واستربتم بأمرهن، عن محمد بن كعب القرظي: إذا رأى رجل تقصيرها في حقه في مدخلها ومخرجها، قال: يقول لها بلسانه: قد رأيت منك كذاكذا، فانتهى، وورد في كتب الفقه: الناشزة هي الخارجة عن منزل زوجها المانعة نفسها عنه.

فالمرأة الناشزة هي التي توجد فيها علامات مشتبهة لسوء الخلق، وقد وسع بعض المفسرين معناها، فقالوا: الناشزة هي المرأة التي تعلو على زوجها، وتعصي أمرها، وتعرض عنها، وتبغضها، فكلا التفسيرين صحيح في رأيي، ويتجلى هذا المعنى من دراسة الآية بكاملها، قال الله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ [سورة النساء: ٣٤]، ذكر الله عز

---

(١) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٨٢.

وجل في هذه الآية الكريمة من أسباب تفضيل الرجال على النساء، ثم قال: النساء الصالحات مطيعات لأوزاجهن وحافظات لأعراضهن وبيوتهن، فإذا خفتم من امرأة نشوزاً فأفهموها، فإن عصت فاهجروها أو اتركوا الكلام منها، وإن ألحت على ذلك فاضربوها، فإن قبلت خطتكم فلا تبحثوا عن حيلة أو سبب لإيذائها، وتطليقها، فالنشوز عبارة عن تكاسل المرأة في إطاعة زوجها وحفظ أعراضها، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في حديثه الذي رواه أنس رضي الله عنه قال: «المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت» {رواه أبو نعيم في الحلية}.

وقد فسر رسول الله ﷺ حقوق النساء في خطبة حجة الوداع التي تشرح معنى «نشوز» شرحاً وافياً، وورد في الجامع الصحيح للإمام مسلم قوله ﷺ: «واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحد تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح(١)، وجاء في سنن ابن ماجه: استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا»(٢).

نقض العهد:

معنى نقض العهد أن يُطَمْئِنَ إنسان أحداً باللسان ثم يفعل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النفقات رقم الحديث: ٣١٥٦.

(٢) سيرة النبي ج/٦، ص: ١٣٠-١٣١، سنن ابن ماجه كتاب النكاح رقم الحديث ١٨٥١.

خلاف ذلك انتهازاً للفرصة، فقد سمي ذلك خيانةً، ويعرف بالعربية بالغدر بوجه عام، استنكره الإسلام استنكاراً شديداً، قال الله عز وجل عن الذين ينحرفون من وعودهم بعدما عقدوها، ويغدرون مراراً: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ، فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٦ ـ ٥٨]، إن هذه الآيات وإن كانت في الكافرين الذين كانوا يغدرون العهود كلما عهدوا، ولكن هناك أمرين: أولاً: إن الغدر مضاد للتقوى، ثانياً: إن الغدر يحرم الإنسان حب الله عز وجل ويستوجب بغضه، فإذا أذن للنبي ﷺ أن يقبل الفدية من أسرى بدر، خوطب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أنهم هؤلاء الأسارى وإن خانوا وغدروا، فإن الله تعالى يتولى أمرهم، ويمكنكم منه مرة أخرى، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٧١]، فالخيانة مع الله أن يكفر به، إن الله يعلم سرائر العباد، وهو حكيم وقدير، فإذا أذن لإطلاق سراحهم، فكان ذلك من مصلحة يعلمها، وقد جاء في الحديث: عن أبي وائل قال: قال النبي الكريم ﷺ: لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان (١).

وإن إيفاء العهد واجب شرعي، أكده الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: ١]

---

(١) الجمع بين الصحيحين: ٢٨٥

فيأتي في إطار العقود كل ما يعاهد عبد مع الأعداء فعليهم أن يوفوا بما وعدوه، أخرج أبو داود عن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب، حتى إذا انقضى العهد غزوهم، فجاء رجل على فرس، أو برذون، وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فإذا هو عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كانت بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليها على سواء، فرجع معاوية {سنن أبي داوود: ١١٣٤}[١].

الوحي:

الوحي لغةً: إبداء رجل خاطرته أمام آخر بخفاء ودقة من غير تحريك شفة، واصطلاحاً: إعلام الله تعالى عباده المصطفين بمشيئته بطريق سري، هذا آخر حد من وسائل العلم الروحية[٢]، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور: الوحي: الإشارة، والكتابة والرسالة والإلهام، والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، وتأتي كلمة الوحي في عدة معانٍ، منها: أوحى بمعنى كتب، قال العجاج:

حتى نحاهم جدنا والناحي ... لقدر كان وحاه الواحي

ومنها الوحي: المكتوب والكتاب أيضاً، وعلى ذلك جمعوا فقالوا: وُحي مثل حلي وحُلى، قال لبيد:

فمدافع الريان عري رسمها ... خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

---

(١) سيرة النبي ج/٦، ص: ٢٨٦-٢٩٨

(٢) سيرة النبي ج/٤ ص: ٤٤.

والوحي: الأمر، قال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

والوحي: الكلام بأسلوب يخفيه من غيره، قال أبو ذؤيب:

فقال لها، وقد أوحت إليه ألا لله أمك مُسا تعيف

والوحي: الإشارة: قال علقمة:

يوحي إليها بأنقاض ونقنقة

الوحي: الوغى، قال أبو زبيد:

مرتجز الجوف بوحي أعجم

قال أهل المعاجم: الوحي: الإعلام في خفاء، قال الكسائي وهو يدور مثل العرب: وحيت إليه بالكلام، وأوحيه إليه هو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره، وقال أبو إسحاق اللغوي: وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، فالمدلول الحقيقي للوحي هو إخبار بشيء خفية.

وقد وردت هذه الكلمة ضمن مدلولها في ثلاثة معان في القرآن الكريم:

١. الأمر الطبيعي العام: قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

٢. الإلقاء في القلب: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ [القصص: ٧].

٣. الكلام بخفاء، قال الله عز وجل: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢] وقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾

[سورة الأنعام: ١٢١].

فالمعنى المشترك في هذه المعاني المتعددة للوحي هو أن يُفهم رجلٍ رجلاً آخر شيئاً من غير أن يتفوه بكلمة، أو إن كانت فلتكن خفية بحيث لا يمكن للآخر أن يسمعها، فالإشارة والكتابة والإلقاء في القلب، والأمر الطبيعي والمكاتبة وتحريك الحيوانات أعضاءها لمعنى من المعاني، هذا كله يشمله مفهوم الوحي، على كل، فقد ظهر أن كلمة الوحي التي استعملت في معناها الديني أقرب إلى معناها اللغوي، فقد استخدمها الشعراء في العصر الجاهلي في المعنى نفسه، وقد جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله أن رجلاً سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه، وقالت عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [١] وقال فيما قال: إن روح القدس نفث في رُوعي [٢]، نظراً إلى هذه الأحاديث الشريفة قال الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله: إن الوحي يتوزع إلى أقسام:

- الرؤيا الصالحة.
- النفث في الروع أو الإلقاء في القلب.
- صلصلة الجرس.

---

(١) الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدؤ الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث/ ٢ — ٣.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي (رقم الحديث/ ٩٢٩٠).

- تمثل الملك .
- نزول الملك في صورته الأصلية .
- أسلوب الحوار الذي جرى في الإسراء .
- الحوار بدون واسطة [١] .

إن ذرائع العلم الروحية هذه: الكشف، والإلهام والوحي ثابتة للأنبياء عليهم السلام، فمن أكثرها يقيناً الوحي ثم الإلهام، ثم الكشف .

إن هذه الأقسام ليست مصطلحات قرآنية، فالمكالمة الإلهية هي ذريعة العلم الروحية القرآنية، ولها ثلاثة أقسام:

الوحي، (الكلام بإشارة) أي تمكن معنى في القلب بدون صوت ولا كلمات، فإذا كان هذا في اليقظة فهو الكشف، وفي حالة المنام فهو الرؤيا .

كلام الله من وراء حجاب أي لا يرى المتكلم أحداً، بل يسمع صوتاً، ويطلق عليه بوجه عام الإلهام .

الكلام بواسطة الملك، وهو الوحي، وقد نزل القرآن بهذه الصورة، فذكر الله في سورة الشورى أقسام الوحي هذه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٥١].

هذه الأقسام تختلف معانيها من وجه، وتتحد من وجه آخر، فالآية المذكورة أعلاه تذكر اختلاف معانيها، وقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم: ٣ـ٤]

---

(١) سيرة النبي ج/ ٣ ص/ ١٨٢ — ١٨٤.

يتناول اتحاد معانيها[١].

ود :

هذا من الود، معناه: المحبة، وهناك صنم آخر اسمه «نكرة» معناه: الكراهة، والعداوة، وقيل: أصل ودّ: أدْ معناه في اللغة البابلية: الشمس[٢].

يعوق:

صيغة غائب لفعل مضارع من عاق يعوق عوقاً، كان هذا الصنم يُعبد في اليمن، وكان أهل اليمن يستعملون صيغة فعل مضارع كعلم، و «يعرب» و «يشجب» و «يكرب» و«يعفر» و«يهرعش» و «يوهيمن»، استعملت هذه الكلمة صفةً مع كونها علماً، يعوق: يدفع المصائب، وشكله مثل الفرس[٣].

يغوث:

علمٌ طبقاً لقاعدة يعوق، فـ «غوث» مصدر «يغوث»، هذا الاسم أيضاً مذكورٌ في اللوحات، وصورته مثل الأسد(٤).

اليهودية:

نشأت اليهودية في جزيرة العرب فكان لها أتباع وأشياع، إن حميراً كانوا هوداً، وكانت توجد في كنانة بني الحارث بن كعب وكندة بعض آثار اليهودية، وإن المناطق الخضراء من يثرب إلى الشام كانت أيضاً تحت سلطة اليهود، أما بنو قريظة وبنو قينقاع وسكان

---

(١) سيرة النبي ج/ ٤، ص: ٤٤ - ٤٥.
(٢) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٨١
(٣) تاريخ أرض القرآن، ج ١٨٢/٢.
(٤) تاريخ أرض القرآن، ج ١٨٢/٢

خيبر فقد عرفوا باليهودية [١]، وكان في يثرب عمران خاص باليهود، بني فيه بيت باسم «بيت المدراس» حيث يجتمع فيه أحبار اليهود، ويسمع فيه الناس كتبهم الدينية مترجمين باللغة العربية، وكان من قدسية يهود الدينية في يثرب أن الناس في الأوس والخزرج كانوا ينذرون أن طفلهم لو كان حياً يرزق لجعلوه يهودياً [٢].

تناول القرآن ببيان قبايح اليهود، ولم يشر إلى معتقداتهم إلا أن قال بإحدى المناسبات في سورة التوبة: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [الآية: ٣٦] فالمراد بعزير: عزرا الكاهن، الذي نشر تعاليم التوراة بجهد بالغ من جديد، يقول المعارضون للدين الإسلامي: إن اليهود ما كانوا مقرين بابنية عزير، فلا تكون دعوى القرآن هذه صحيحةً، أجاب الإمام البيضاوي: نادى القرآن في مجتمع اليهود في المدينة المنورة بأن قالت اليهود عزير ابن الله، فالدليل على صدق هذا القول أن الآية قرئت عليهم، فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب [٣]، وكتب الطبري مروياً عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن المدينة ما كانت خالية من رجال يعتقدون مثل هذا[٤]، وقال الإمام ابن حزم في كتابه: «الفصل في الملل والنحل» والصدوقية: ونسبوا إلى رجل، يقال له صدوق، وهم يقولون من بين سائر اليهود أن عزير هو ابن الله تعالى

---

(١) هذه التصريحات مقتبسة من معارف ابن قتيبة واليعقوبي ج/ ١ ص/ ٢٨٩.

(٢) رواه البخاري كتاب الجزية والموادعة. باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، رقم الحديث: ٣١٦٧-٦٩٤٤-٧٣٤٨.

(٣) التفسير البيضاوي ج/ ٢، ص: ٢٠٤.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري، تفسير قول الله: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾.

عن ذلك، وكانوا بجهة اليمن[١].

وإنني قد توصلت بعد دراسة عميقة إلى أن اعتقاد ابنية عزير كان قديماً في اليهود، وقد ورد في الباب السادس لسفر «التكوين» أن أبناء الله رأوا أن بنات الله جميلات، فجملة «أبناء الله» كانت تستعمل في الأمثال العربية بمعنى أحباء الله و أقربائه، وكان اليهود والنصارى في جزيرة العرب يدَّعون معارضةً للمسلمين: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [سورة المائدة: ١٨]، نظراً إلى هذا لو اعتبر اليهود عزيراً عليه السلام نداً لعيسى، إرغاماً للمسيحيين لما كان مبعث استغراب، وقد نقل القرآن أيضاً دعوى اليهود بهذه المناسبة حيث قالوا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة: ٣٠]، احتار المفسرون في تفسير الجزء الأخير من الآية، ولم يجزموا القول بالكافرين الذين سبقوا اليهود، فالجواب أن هذا الخيال كان جزءً من فلسفة الأمم الوثنيين، ذاك أن أحداً إذا اعترض عليهم لاستندوا إلى دليل واه مثله، لكن الواقع أن المصريين هم الذين كانوا يحملون هذه العقيدة فأخذ منهم المسيحيون ثم تبناها اليهود[٢].

النصرانية:

كانت النصرانية ديانة الشام الوطنية، واتخذتها القبائل القاطنة على حدود الشام في شمال العرب، وكانت النصرانية عامة في لخم وجذام ومذحج وبهراء وسليح وغيرها، وكان الملوك الغساسنة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج/١، ص: ٩٩.

(٢) تاريخ أرض القرآن ج/٢، ص: ١٨١.

نصارى، وإن قبائل تنوخ وتغلب كانت مسيحية، وتوجد المسيحية في داخل العرب أيضاً، فقبيلة طي كانت مسيحية، وكانٌ في جنوب العرب قرية باسم نجران، أكثر سكانها نصارى، لكن لم يتحقق إلى الآن أن أي فرقة للنصارى كانت في العرب، كل فرقة تدعي أنها منهم، قال أبو الفرج الملطي (أحد المؤرخين المسيحيين العرب اليعقوبيين عقيدةً) بكل ثقة: كان نصارى العرب يعقوبيين[١]، وقال عالم كاثوليكي (Catholic): إنهم كانوا كاثوليك، لأن علاقاتهم بالروم كانت وثيقة، وقال دريبر(Draper): إنهم نسطوريون (Nestorians)[٢]، لكن نقول ما قال الحافظ الشيرازي:

بياكاين داوريها را، به بيش داور اندازيم

(تعال نذهب بهذه الخصامات إلى جناب البارئ، ثم نفوضها إليه).

تناول القرآن برد معتقدات النصارى في أربع آيات، مرة في سورة النساء[٣] وثلاث مرات[٤] في المائدة، قد تعقب نصارى بلادنا على أن القرآن قد نسبت إلينا عقائد لا تمت إلى المسيحية بصلة، مثل، اعتقاد مريم إلهاً، وتخصيص الألوهية بعيسى، لعل هؤلاء «العقلانيين» لا يعرفون أن كانت في العرب في القرن السادس المسيحي فرق نصرانية نسطورية ويعقوبية ومارونية وملكانية تعتقد مثل هذه الاعتقادات، أما

---

(١) تاريخ مختصر الدول للملطي طبع بيروت، ص: ١٤٨.
(٢) معركة مذهب وسائنس.
(٣) النساء: ٥٧-٥٨.
(٤) المائدة: ١٧-١٨-٧٣.

الآية في سورة النساء فإنها تتحدث عن الفرقة المؤمنة بعقيدة التثليث، والآية الثانية تكشف رد المسيح إلهاً، والآية الثالثة تبين وجهة نظر النسطورية والملكانية أن الأب هو الإله الكامل، والابن يتركب من اللاهوت والناسوت، وروح القدس عنصر ثالث للألوهية، وأما ما قيل في الآية الرابعة من ألوهية مريم فهو في رد على الفرقة المسيحية التي كانت تعتقد مريم معبودة، ظناً منها أنها أم الإله، وقال ابن حزم: ومنهم البربرانية، وهم يقولون: إن عيسى وأمه إلهان من دون الله [١].

إن أكثر الفرق النصرانية تعتقد روح القدس أقنوماً ثالثاً للألوهية، أما روح القدس حسب معتقدات المسلمين فهو اسم للملك، يقول الله عز وجل: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

لقد عرفنا أن كان في جزيرة العرب نصارى، لكن لا نعرف لماذا لا يحب العرب عيسى عليه السلام، فهم انفجروا غضباً كلما ذكر، ويقولون: كيف يكون ابن الإله أحسن من أصنامنا، وقد أشار إليه القرآن: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨] تثبت هذه الآية ضعف دعوى النصارى هذه وهي أن النصرانية كان لها شيوع ونيوع في جزيرة العرب قبل مجيئ الإسلام [٢].

---

(١) الفصل في الملل والنحل ج/ ١، ص: ٤٨ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

(٢) أرض القرآن ج/٢، ص: ١٩٤-٢٠٠، طبع دار المصنفين عام ١٤٢٤هـ.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم وكتب التفسير :

١ القرآن الكريم

٢ جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، طبع بيروت ١٩٨٦م.

٣ معالم التنزيل للبغوي.

٤ دار ابن حزم للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٥ البحر المحيط لابن حبان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦ بيان القرآن للعلامة محمد أشرف علي التهانوي، تاج ببليشرز، نئي دهلي ١٩٩٠م.

٧ روح البيان للشيخ إسماعيل الحقي الآفندي، طبع ١٢٨٧هـ مصر، بتصحيح محمد نجيب الآفندي.

٨ ترجمة معاني القرآن للعلامة أحمد علي اللاهوري، طبع انجمن خدام الدين دروازه، شيرانواله، لاهور عام ١٣٥٢هـ.

٩ نكات سوره فاتحة، رتبها الشيخ محمد أويس النجرامي حلقه علمي كراتشي، باكستان.

١٠ مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١١ مفردات القرآن للشيخ حميد الدين الفراهي، تحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي الندوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت عام ٢٠٠٢م.

١٢ المدخل إلى الدراسات القرآنية للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، طبع المجمع الإسلامي العلمي، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٣ لسان القرآن للشيخ محمد حنيف الندوي، علم وعرفان ببليشرز، اردو بازار، لاهور، ١٩٩م.

١٤ مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للعلامة محمد طاهر الفتني الهندي، مكتبة دار الإيمان المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٥ قاموس القرآن للقاضي زين العابدين سجاد الميرتهي، مكتبة علمية، قاضي منزل، ميرتهـ ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٦ لغات القرآن للشيخ محمد عبد الرشيد النعماني والشيخ عبد الدائم الجلالي، ندوة المصنفين، دهلي، عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

١٧ تاريخ أرض القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي، طبع دار المصنفين، شبلي اكيدمي، أعظم جراه ٢٠٠٣م.

كتب الحديث :

الجامع الصحيح للإمام البخاري، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢ الجامع الصحيح للإمام مسلم بن حجاج القشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣ سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق أحمد محمود شاكر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

٤ سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦ الجامع في شعب الإيمان للبيهقي، دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ.

٧ كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، مطبع أنوار أحمدي، إله آباد، الطبعة الأولى ١٣١٣هـ.

٨ فتح الباري للعلامة ابن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٩٣م/١٤١٤هـ.

٩ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٠ تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها، للعلامة السيد سليمان الندوي، دار الفجر، دمشق.

١١ الزهد الكبير للبيهقي، تحقيق الدكتور تقي الدين الندوي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

كتب السيرة والتراجم:

١ سيرة النبي للعلامتين شبلي النعماني والسيد سليمان الندوي، المكتبة المدنية، لاهور، صفر المظفر ١٤٠٨هـ.

٢ الرسالة المحمدية للعلامة السيد سليمان الندوي، تعريب: الأستاذ محمد رحمة الله حافظ محمد ناظم الندوي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر.

٣ العلامة محمد أشرف علي التهانوي، بقلم الأستاذ محمد رحمة الله الندوي، دار القلم، دمشق.

٤ السيد سليمان الندوي، أمير علماء الهند في عصره، وشيخ الندويين للدكتور محمد أكرم الندوي، دار القلم، دمشق.

٥ شخصيات وكتب للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، مطبعة ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.

٦ تذكرة سليمان للشيخ غلام محمد الحيدرآبادي، نشر المعارف كراتشي، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

كتب التاريخ والجغرافيا وغيرها :

١ تاريخ بغداد للشيخ أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت .

٢ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٣ معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت

٤ الفهرست لابن نديم، دار قطري بن فجاءة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م .

٥ لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت ١٩٩٤م .

٦ مكتوبات سليماني للشيخ عبد الماجد الدريابادي، صدق جديد بك ايجنسي، لكناؤ ١٩٦٣م .

٧ الفِصل في الملل والنحل لأبي محمد علي الأندلسي، دار غالب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

٨ أفكار سليماني، رتبها الشيخ مجيب الله الندوي، دار التأليف والترجمة، أعظم جراه ، الهند .

٩ مكاتيب سليمان للشيخ مسعود عالم الندوي، مكتبة جراغ راه، لاهور، مايو ١٩٥٤م .

١٠ دعوت فكروعمل للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، المجمع الإسلامي العلمي، الطبعة الثالثة ٢٠١٣م.

١١ مجموعة خطب ومقالات نادرة، رتبها الدكتور السيد سليمان الندوي، مجلس نشريات إسلام، كراتشي عام ٢٠٠٣م.

١٢ مطالعة سليماني (مقالات بزم سليماني)، رتّبها مسعود الرحمن خان الندوي، طبع دار العلوم تاج المساجد بوفال ١٩٨٦م.

١٣ مقالاتِ سليمان للعلامة السيد سليمان الندوي، دار المصنفين، أعظم جراه ١٩٧١م.

المجلات والصحف :

١ مجلة المسلمون، دمشق ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

٢ مجلة الضياء سنة ١٣٥١هـ، الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ

٣ مجلة ذكروفكر، دهلي عام ١٩٨٩م.

٤ مجلة معارف، دار المصنفين، أعظم جراه عام ١٩٥٤م.

٥ صحيفة تعمير حيات، ندوة العلماء ١٩٦٤م.

أطراف الآيات

الآيات	رقم الصفحة
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٣
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى﴾	٣
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	٣
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	١١
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾	١٢
﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾	١٢
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	١٢
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...﴾	١٨
﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى...﴾	٣٠
﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٣٢
﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	٣٢
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾	٣٢
﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	٣٢
﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ...﴾	٣٣
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾	٣٤
﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	٣٦
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾	٣٧
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ﴾	٣٧

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ﴾	٣٨
﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٤٧
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾	٥٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ...﴾	٥٧
﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا ...﴾	٥٧
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾	٦٢
﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ....﴾	٦٢
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾	٦٢
﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي...﴾	٦٢
﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ .	٦٢
﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾	٦٣
﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا.....﴾	٦٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا .....﴾	٦٣
﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾	٦٣
﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾	٦٤
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾	٦٤
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	٦٤
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾	٦٤
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾	٦٤
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	٦٦
﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾	٦٩
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ، .....﴾	٧١
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ...﴾	٧١

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ.. ﴾	٧١
﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ﴾	٧٢
﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾	٧٢
﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ.....﴾	٧٢
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ.....﴾	٧٣
﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾	٧٣
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾	٧٤
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ﴾	٧٤
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾	٧٤
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾	٧٨
﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾	٧٨
﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ.....﴾	٧٨
﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ.....﴾	٧٨
﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا.....﴾	٧٩
﴿اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً.....﴾	٨١
﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾	٨١
﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ﴾	٨١
﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ.....﴾	٨٣
﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾	٨٥
﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ.....﴾	٨٥
﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾	٨٦
﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا.....﴾	٧٨
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾	٨٧

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ،...﴾	٨٩
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ...﴾	٩١
﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾	٩١
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾	٩٢
﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾	٩٢
﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا﴾	٩٢
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾	٩٢
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ .....﴾	٩٤
﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ.....﴾	٩٤
﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾	٩٤
﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٩٤
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾	٩٥
﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى﴾	٩٥
﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾	٩٥
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾	٩٥
﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾	٩٦
﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾	٩٦
﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾	٩٦
﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾	٩٦
﴿فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾	٩٦
﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	٩٦
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا.....﴾	٩٧
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾	٩٧

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى﴾	٩٧
﴿لإِيلاَفِ قُرَيْش، إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصيف ﴾	١٠١
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ....﴾	١٠٢
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾	١٠٢
﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾	١٠٢
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾	١٠٢
﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾	١٠٢
﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾	١٠٢
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ..... ﴾	١٠٣
﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ... ﴾	١٠٥
﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾	١٠٧
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.....﴾	١٠٧
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾	١٠٧
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾	١٠٨
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾	١١١
﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	١١١
﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	١١١
﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١١١
﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْمنْ رُوْحنا﴾	١١٢
﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾	١١٢
﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾	١١٢
﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾	١١٢
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾	١١٣

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصِنات﴾	١١٣
﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾	١١٣
﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، ....﴾	١١٤
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاه﴾	١١٤
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدينَ﴾	١١٤
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	١١٤
﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾	١١٤
﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر﴾	١١٤
﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾	١١٤
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْر فَهُوَ لَكُمْ﴾	١١٥
﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾	١١٥
﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر إِلاَّ مَنْ شَاءَ...﴾	١١٥
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	١١٦
﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾	١١٦
﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾	١١٧
﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾	١١٧
﴿لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا﴾	١١٧
﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾	١١٧
﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ...﴾	١١٧
﴿إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	١١٩
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا...﴾	١١٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾	١١٩
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ....﴾	١١٩

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾	١١٩
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا...﴾	١١٩
﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾	١١٩
﴿قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ...﴾	١٢٠
﴿هَمَّاز مَشَّاءٍ بِنَمِيم، مَنَّاع لِلْخَيْر ..﴾	١٢٠
﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيم﴾	١٢٠
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾	١٢٠
﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾	١٢١
﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ...﴾	١٢٢
﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا﴾	١٢٢
﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾	١٢٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	١٢٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	١٢٣
﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ...﴾	١٢٣
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ...﴾	١٢٣
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا...﴾	١٢٤
﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ...﴾	١٢٤
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى...﴾	١٢٤
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	١٢٥
﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾	١٢٥
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٥
﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾	١٢٥
﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾	١٢٥

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾	١٢٥
﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾	١٢٥
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾	١٢٦
﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾	١٢٦
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	١٢٦
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾	١٢٧
﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ...﴾	١٢٨
﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾	١٢٨
﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾	١٢٨
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾	١٢٨
﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ...﴾	١٢٩
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾	١٢٩
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾	١٢٩
﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾	١٣٠
﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾	١٣٠
﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	١٣٠
﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾	١٣٠
﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	١٣٠-١٣١
﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	١٣١
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾	١٣٢
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	١٣٢
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ...﴾	١٣٣
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾	١٣٣

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾	١٣٣
﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	١٣٣
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	١٣٣
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	١٣٤
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا..﴾	١٣٥
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ﴾	١٣٥
﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾	١٣٥
﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾	١٣٥
﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾	١٣٥
﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾	١٣٥
﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣٦
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	١٣٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	١٣٦
﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾	١٣٦
﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	١٣٦
﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾	١٣٧
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾	١٣٧
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	١٣٧
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾	١٣٧
﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ....﴾	١٣٧
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾	١٣٨
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾	١٣٨
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ	١٣٨

﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾	١٣٩
﴿فِي الأَيَّام الْخَالِيَةِ﴾	١٣٩
﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس﴾	١٣٩-١٤٠
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّام الْخَالِيَةِ﴾	١٤٠
﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّام اللَّهِ﴾	١٤٠
﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ....﴾	١٤٢
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾	١٤٤
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾	١٤٤
﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ....﴾	١٤٥
﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾	١٤٥
﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَان﴾	١٤٥
﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ...﴾	١٤٥
﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	١٤٥
﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُور﴾	١٤٥
﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْض﴾	١٤٦
﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْض﴾	١٤٦
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ.....﴾	١٤٦
﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾	١٤٧
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾	١٤٧
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا....﴾	١٤٧
﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾	١٤٨
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ....﴾	١٤٩
﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	١٤٩

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى...﴾ ١٤٩

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى...﴾ ١٤٩

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ١٥٠

﴿أَوْفُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ١٥٠

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ...﴾ ١٥١

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ١٥١

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ١٥١

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٥٢

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ١٥٢

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ١٥٢

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ...﴾ ١٥٢

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾ ١٥٢

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ ١٥٢

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ١٥٢

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ١٥٢

﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ ١٥٢

﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ ١٥٢

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ ١٥٢

﴿وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ ١٥٢

﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ١٥٢

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ١٥٣

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ١٥٣

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ١٥٣

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾	١٥٣
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾	١٥٣
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	١٥٣
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾	١٥٣
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾	١٥٣
﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾	١٥٣
﴿فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	١٥٣
﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	١٥٣
﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾	١٥٣
﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٥٣
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٥٤
﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾	١٥٤
﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾	١٥٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم﴾	١٥٤
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾	١٥٦
﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾	١٥٦
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾	١٥٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	١٥٧
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾	١٥٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾	١٥٨
﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾	١٥٨
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللّهِ﴾	١٥٨
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾	١٥٩

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا..﴾ ١٦٠

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَال مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونَ﴾ ١٦٢

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار﴾ ١٦٢

﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ﴾ ١٦٣

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ ١٦٣

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ ١٦٣

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ ١٦٣

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ...﴾ ١٦٤

﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾ ١٦٤

﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ ١٦٤

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضرر﴾ ١٦٥

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ١٦٦

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ...﴾ ١٦٦

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ...﴾ ١٦٦

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ...﴾ ١٦٧

﴿فَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ ١٦٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ ...﴾ ١٦٧

﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ...﴾ ١٦٧

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ ١٦٨

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ...﴾ ١٦٨

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ...﴾ ١٦٩

﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ ١٧٠

﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْراً لِأَنفُسِكُمْ﴾ ١٧٠

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	١٧٠
﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾	١٧٠
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	١٧١
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ﴾	١٧١
﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾	١٧١
﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	١٧١
﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾	١٧٢
﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾	١٧٢
﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	١٧٤
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾	١٧٥
﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾	١٧٥
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾	١٧٥
﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾	١٧٥
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	١٧٥
﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾	١٧٥
﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	١٧٥
﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾	١٧٥
﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾	١٧٥
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾	١٧٥
﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	١٧٥
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	١٧٦
﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾	١٧٦
﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم﴾	١٧٧

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ١٧٧

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ١٧٧

﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ ١٧٧

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي﴾ ١٧٧

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ...﴾ ١٧٧

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ﴾ ١٧٧

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ ١٧٧

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ ١٧٧

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ...﴾ ١٧٨

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ ١٧٨

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ ١٧٨

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ ١٧٨

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ ...﴾ ١٧٨

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ١٧٨

﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ ١٧٨

﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ...﴾ ١٧٨

﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ ١٧٩

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ ١٨٠

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ ١٨٠

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ ١٨١

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم...﴾ ١٨٢

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ١٨٢

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ...﴾ ١٨٢

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ ١٨٣
﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ ١٨٣
﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ١٨٣
﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ١٨٣
﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ ١٨٤
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ١٨٤
﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ١٨٤
﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾ ١٨٤
﴿وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ ١٨٤
﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ١٨٤
﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ١٨٤
﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا﴾ ١٨٥
﴿حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِيْنَ بِهِ﴾ ١٨٧
﴿مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ﴾ ١٨٧
﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ١٨٨
﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ ١٨٩
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ﴾ ١٨٩
﴿حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٩٠
﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾ ١٩٠
﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ﴾ ١٩٠
﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٩٠
﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٩٠
﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٩٠

﴿دِيناً قِيَماً إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٩٠
﴿إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾	١٩٠
﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٩٠
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾	١٩١
﴿أَمْ تَقُولُونَ إنَّ إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ	١٩١
﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾	١٩١
﴿مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً﴾	١٩١
﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبْرَاهِيمَ﴾	١٩١
﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾	١٩١
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾	١٩٣
﴿خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾	١٩٣
﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾	١٩٤
﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾	١٩٤
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن..﴾	١٩٤
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إنِّي جَاعِلٌ﴾	١٩٥
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	١٩٥
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾	١٩٦
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾	١٩٦
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾	١٩٦
﴿وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾	١٩٦
﴿وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾	١٩٦
﴿وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾	١٩٦
﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾	١٩٦

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	١٩٦
﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾	١٩٦
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ﴾	١٩٧
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾	١٩٧
﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ﴾	١٩٧
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ﴾	١٩٧
﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾	١٩٧
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	١٩٧
﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾	١٩٧
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ﴾	١٩٧
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	١٩٨
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾	١٩٨
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ	٢٠٠
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٢٠٠
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾	٢٠٠
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٠٠
﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾	٢٠٠
﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾	٢٠٠
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾	٢٠٠
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾	٢٠٠
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ﴾	٢٠٠
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾	٢٠١
﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ﴾	٢٠١

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾	٢٠٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ ...﴾	٢٠٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ...﴾	٢٠٤
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ...﴾	٢٠٥
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ...﴾	٢٠٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾	٢٠٨
﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾	٢٠٨
﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ...﴾	٢٠٨
﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ﴾	٢٠٨
﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	٢٠٩
﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾	٢٠٩
﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	٢١١
﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	٢١١
﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	٢١٦
﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾	٢١٦
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾	٢١٦
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢١٦
﴿فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾	٢١٧
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ...﴾	٢١٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا﴾	٢١٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً...﴾	٢١٨
﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ...﴾	٢١٨
﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾	٢١٨

﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾	٢١٩
﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا﴾	٢١٩
﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ﴾	٢٢٠
﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	٢٢٠
﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّآئِلِ﴾	٢٢١
﴿وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾	٢٢١
﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾	٢٢١
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	٢٢٢
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهُمَا﴾	٢٢٢
﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ...﴾	٢٢٤
﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾	٢٢٤
﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾	٢٢٤
﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ...﴾	٢٢٤
﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا﴾	٢٢٤
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾	٢٢٥
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	٢٢٥
﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ....﴾	٢٢٦
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾	٢٢٨
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ.....﴾	٢٢٨
﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ...﴾	٢٢٩
﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾	٢٢٩
﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾	٢٢٩
﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾	٢٣٠

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٣٠
﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	٢٣٠
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ...﴾	٢٣٠
﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾	٢٣٠
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾	٢٣٠
﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾	٢٣١
﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	٢٣١
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾	٢٣٢
﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾	٢٣٢
﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٢٣٢
﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للَّهِ﴾	٢٣٢
﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً﴾	٢٣٢
﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾	٢٣٢
﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	٢٣٢
﴿وَأَقْرِضُواْ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	٢٣٣
﴿إِن تُقْرِضُواْ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	٢٣٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾	٢٣٤
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	٢٤٢
﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾	٢٤٤
﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾	٢٤٤
﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٢٤٤
﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾	٢٤٤
﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ...﴾	٢٤٤

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾	٢٤٤
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾	٢٤٥
﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾	٢٤٥
﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾	٢٤٥
﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾	٢٤٥
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾	٢٤٦
﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾	٢٤٦
﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾	٢٤٦
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ...﴾	٢٤٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾	٢٤٦
﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي...﴾	٢٤٦
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾	٢٤٦
﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾	٢٤٦
﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ...﴾	٢٤٧
﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، وَكَيْفَ تَصْبِرُ ...﴾	٢٤٧
﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	٢٤٨
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾	٢٤٨
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	٢٤٨
﴿فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا﴾	٢٤٨
﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾	٢٤٨
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٢٤٨
﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾	٢٤٩
﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾	٢٤٩

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	٢٤٩
﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٢٤٩
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ..﴾	٢٥٠
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾	٢٥٠
﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾	٢٥٠
﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ...﴾	٢٥٠
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ﴾	٢٥٠
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾	٢٥١
﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾	٢٥١
﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾	٢٥١
﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٢٥١
﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾	٢٥٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ..﴾	٢٥٢
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾	٢٥٣
﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ﴾	٢٥٣
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	٢٥٣
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	٢٥٣
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	٢٥٦
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٢٥٦
﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾	٢٥٦
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	٢٥٩
﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٢٥٩
﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ...﴾	٢٥٩

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ....﴾ ٢٦٠
﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ٢٦٠
﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ ٢٦٠
﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ٢٦٠
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ ٢٦١
﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ٢٦١
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ٢٦٢
﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ ٢٦٢
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا....﴾ ٢٦٢
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ ٢٦٣
﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ ٢٦٣
﴿واعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ٢٦٤
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ٢٦٤
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً﴾ ٢٦٤
﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ ٢٦٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ ٢٦٥
﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ ٢٦٦
﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ ٢٦٦
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ ٢٦٦
﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ ٢٦٧
﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ ٢٦٧
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ ٢٦٧
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ ٢٦٧

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾	٢٦٧
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	٢٦٧
﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٢٦٨
﴿لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾	٢٦٨
﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٢٦٨
﴿وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾	٢٦٨
﴿وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾	٢٦٨
﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾	٢٦٨
﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾	٢٦٨
﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾	٢٦٨
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا....﴾	٢٦٩
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً...﴾	٢٦٩
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي ...﴾	٢٦٩
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾	٢٦٩
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ..... ﴾	٢٧٠
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	٢٧١
﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾	٢٧١
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٢٧١
﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾	٢٧١
﴿وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾	٢٧١
﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾	٢٧١
﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	٢٧٢
﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ ﴾	٢٧٢

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ...﴾ ٢٧٣

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ٢٧٣

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ٢٧٣

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ ٢٧٤

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ٢٧٤

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ٢٧٤

﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ ٢٧٥

﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ ٢٧٥

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ ٢٧٥

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ ٢٧٦

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ ٢٧٦

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ ٢٧٧

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ٢٧٨

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ﴾ ٢٧٨

﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ ٢٧٩

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾ ٢٧٩

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ ٢٧٩

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء﴾ ٢٧٩

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ ٢٧٩

﴿لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ ٢٧٩

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ ٢٧٩

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٧٩

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ ٢٧٩

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾	٢٧٩
﴿يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْس شَيْئاً﴾	٢٧٩
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾	٢٧٩
﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْس شَيْئاً﴾	٢٧٩
﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً﴾	٢٧٩
﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾	٢٨٠
﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا...﴾	٢٨٠
﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ ...﴾	٢٨٠
﴿فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ﴾	٢٨١
﴿أَفَّاكٍ أَثِيم﴾	٢٨١
﴿كاذبٌ كفار﴾	٢٨١
﴿مُسْرِفٌ كذابٌ﴾	٢٨١
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ...﴾	٢٨١
﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾	٢٨١
﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾	٢٨٢
﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾	٢٨٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَآءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾	٢٨٣
﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم﴾	٢٨٣
﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن.....﴾	٢٨٣
﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾	٢٨٤
﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ....﴾	٢٨٤
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ...﴾	٢٨٥
﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً﴾	٢٨٥

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾	٢٨٧
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ... ﴾	٢٨٧
﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	٢٨٧
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ...﴾	٢٨٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾	٢٨٧
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	٢٨٨
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾	٢٨٨
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ...﴾	٢٨٨
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾	٢٨٩
﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾	٢٨٩
﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾	٢٩١
﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾	٢٩١
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا ... ﴾	٢٩٢
﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾	٢٩٢
﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ...﴾	٢٩٢
﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾	٢٩٢
﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٩٢
﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٢٩٢
﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾	٢٩٢
﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ﴾	٢٩٢
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾	٢٩٣
﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾	٢٩٣
﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾	٢٩٣

﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	٢٩٤
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾	٢٩٧
﴿أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾	٢٩٧
﴿أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾	٢٩٧
﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾	٢٩٧
﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾	٢٩٧
﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾	٢٩٧
﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً﴾	٢٩٧
﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾	٢٩٧
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	٢٩٧
﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ...﴾	٢٩٩
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾	٢٩٩
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾	٢٩٩
﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾	٢٩٩
﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾	٢٩٩
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ﴾	٢٩٩
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾	٣٠٠
﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾	٣٠٠
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ...﴾	٣٠٠
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ....﴾	٣٠١
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ....﴾	٣٠٢
﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾	٣٠٢
﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ .....﴾	٣٠٢

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ .....﴾	٣٠٢
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ .....﴾	٣٠٢
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٣٠٢
﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ.....﴾	٣٠٢
﴿قَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	٣٠٣
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	٣٠٣
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾	٣٠٣
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْا.....﴾	٣٠٤
﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾	٣٠٦
﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾	٣٠٦
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ.....﴾	٣٠٦
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ...﴾	٣٠٧
﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ ....﴾	٣٠٩
﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللهَ مِن قَبْلُ...﴾	٣٠٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾	٣٠٩
﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾	٣١١
﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾	٣١١
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾	٣١١
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾	٣١١
﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾	٣١١
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾	٣١١
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً .....﴾	٣١٣
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾	٣١٣

﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ٣١٦
﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ.....﴾ ٣١٨
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ ...﴾ ٣١٨

الأحاديث النبوية

الأحاديث النبوية	الصفحة
إن لله تسعة وتسعين اسماً، مأة غير واحدة	٥٢
اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك	٥٣
تفكروا في آلاء الله	٥٩
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم	٨٦
تلك أمكم يا بني ماء السماء	١٠٤
ألا أخبرنهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين....	٧٩
ألا وإن في الجسد مضغة	١١٣
آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ...	١١٨
قل لي في الإسلام قولاً	١٢٣
الخيل لثلاثة	١٢٦
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله....	١٣٩
بعثت بجوامع الكلم	١٣٩
من قذف مملوكه وهو برئ مما قال	١٤٨
اعقلها وتوكل	١٥٨
الكرم، إنما الكرم قلب المؤمن	١٦١
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره	١٦١
خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه	١٦١

مازال جبرئيل يوصيني بالجار	١٦١
فقال لهم رسول الله ﷺ : قدمتم خير مقدم.....	١٦٥
المجاهد من جاهد نفسه	١٦٦
ليس الشديد بالصرعة	١٦٦
أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ...	١٦٨
إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ...	١٧٣
ثلاث لا يعجزهن ابن آدم: الطيرة وسوء الظن	١٧٣
إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات	١٧٤
إنّ من البيان لسحراً	١٨٣
إن من الشعر حكَمةً	١٨٣
لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه ...	١٨٣
قال لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله:	١٨٥
لا تغضب، فردد ذلك مراراً، كل ذلك يقول: ...	١٨٥
الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان	١٨٥
لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من قبائل أمتي	١٩٥
في أمتي كذابون ودجالون، سبعة وعشرون...	١٩٥
من شرب الخمر في الدنيا	٢٠٢
ما أسكر كثيره فقليله حرام	٢٠٥
يسب الرجل أبا الرجل، فيسبُّ أباه وأمه	٢١٩
إنما الأعمال بالنيات	٢٢٣
والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه ...	٢٢٢

تبايعوني على أن تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا ...	٢٢٣
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	٢٢٦
إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم!	٢٣٣
قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن	٢٤٩
قال: الله أقدر عليك منك عليه	٢٦٢
قال: يارسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ فقال : ...	٢٦٣
شراك من نار أو شراكان من نار	٢٧١
ليس الغنى عن كثرة العرض	٢٧٢
ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه	٢٧٧
قال : لا، لكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس .	٢٨٠
كَفى بَالْمرءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ مَا سَمِعَ».	٢٨٢
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً	٢٨٢
المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة .	٣٠٥
لا يدخل الجنة قتات .	٣٠٥
قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد	٣١٢

الأبيات الشعرية

ذراعي عيطل إذماء بكر		هجان اللون لم تقرء جنينا	٦٦
ولكني نصبت لهم جبيني		وآلة فارس حتى قريت	٦٦
وعربة أرض جد في الشر أهلها		كما جد في شرب النقاخ ظماء	٧٥
لنا إبل لم يطمث الذل نبيها		بعربة مأواها بقرن فأبطا	٧٥
أبونا رسول الله وابن خليله		بعربة بوأنا فنعم المركب	٧٥
وعربة دار لا يحل حرامها		عن الناس إلا اللوذعي الحلاحل	٧٥
أهلكن طسماً وبعده		غذي بهم وذاجدون	٧٧
وأهل جأش ومأرب		وحي لقمان والتقون	٧٧
حتى انتهى لمياه الجوف ظاهره		ما لم تر قبلهم عاد ولا إرم	٩٥
ورثنا من البهلول عمرو بن عام		وحارثة الغطريف مجداً مؤثلاً	١٠٤
موارث من أبناء نبت بن مالك		ونبت بن إسماعيل ما إن تحولاً	١٠٤
وأيام لنا غر طوال		عصينا الملك فيها أن ندينا	١٤٠
عشق بازان ديكراند		عشق سازان ديكر اند	١٨٨

آنجه در فرهاد مي بينيم		در برويز نيست	١٨٨
وأركن أعجازاً من الليل بعد ما		أقام الصلاة العابد المتحنف	١٨٩
أقامت به لمقام الحنيف		شهري جمادى وشهري صفر	١٨٩
هذا مقام قدمي رباح		ذبيحتي دلكت براح	٢٠٩
والشمس قد كادت تكون دلفا		أدفعها بالراح كي تزحلف	٢١٠
حتى نحاهم جدنا والناحي		لقدر كان وحاه الواحي	٣١٠
فمدافع الريان عري رسمها		خلقاً كما ضمن الوحي سلامها	٣١٠
وحى لها القرار فاستقرت		وشدها بالراسيات الثبت	٣١١
فقال لها، وقد أوحت إليه		ألا لله أمك ما تعيف	٣١١

يوحي إليها بأنقاض ونقنقة ٣١١

مرتجز الجوف بوحي أعجم ٣١١

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
كلمة الناشر	٣
المقدمة بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي	٨
تقريظ الكتاب بقلم : الدكتور السيد سلمان الندوي	١١
التقديم بقلم : الدكتور سعيد الأعظمي الندوي	١٤
نبذة عن العلامة السيد سليمان الندوي	١٩
جهود العلامة السيد سليمان الندوي القرآنية	٣١
بين يدي الكتاب	٤٥
الأسماء الحسنى	
الأسماء الحسنى	٥٢
الرحمن	٥٦
الله	٥٨
رب العالمين	٦٠
أسماء القرآن	
الفرقان	٦٢

القرآن	٦٤
أعلام القرآن	
آزر	٦٩
إسماعيل	٧٠
أيوب	٧٢
جبريل	٧٤
العرب	٧٥
لقمان	٧٦
مريم بنت عمران ، وأخت هارون	٧٨
ملائكة	٨٠
أمم القرآن	
أصحاب الأخدود	٨٣
أصحاب الأيكة ومدين	٨٣
أصحاب الحجر	٨٥
أصحاب الرس	٨٦
أصحاب الفيل	٨٧
آل إبراهيم	٩٠
تبع	٩٠
ثمود	٩٢

سبأ	٩٣
عاد	٩٥
قريش	٩٧
أمكنة القرآن	
إمام مبين	١٠٧
الكعبة	١٠٧
مكة أو بكة	١٠٨
يثرب	١٠٩
كلمات القرآن	
الإحسان	١١١
الإحصان	١١٢
الإخلاص	١١٣
إخلاف الوعد	١١٧
أساطير الأولين	١١٨
الاستقامة	١٢٢
أشداء على الكفار	١٢٤
الإطاقة	١٢٧
أطراف النهار	١٢٩
إقامة الصلاة	١٣٠

الإلهام	١٣٢
الأمانة	١٣٣
الآيات	١٣٤
أياماً معدودات	١٣٩
الإيمان بالغيب	١٤٢
البخل	١٤٣
برزخ	١٤٥
بعل	١٤٦
البغي	١٤٦
البهتان	١٤٧
التبذير	١٤٧
التزكية	١٤٩
التطفيف	١٥٠
التقوى	١٥١
التوكل	١٥٥
الجار ذي القربى والجار الجنب	١٦٠
الجن	١٦٢
الجنة	١٦٣
الجهاد	١٦٤

الحرص	١٦٩
الحسد	١٧٠
حفظ الفروج	١٧٤
الحكم والعلم	١٧٤
الحكمة	١٧٧
الحلم	١٨٣
الحُلم والرؤيا	١٨٥
حنيف	١٨٥
خاتم النبيين	١٩٣
الخليفة	١٩٥
الخيانة	٢٠٦
دلوك	٢٠٩
ذبح عظيم	٢١١
الذنب	٢١٥
الربا	٢١٦
الرفث	٢١٨
الرياء	٢٢٠
السائل	٢٢٠
السرقة	٢٢٢

سنة الله	٢٢٣
سوء الظن	٢٢٤
سواع	٢٢٥
شرح صدر	٢٢٥
الشكر	٢٢٨
شهد	٢٣٣
الصابئ	٢٣٥
الصبر	٢٤٧
الصدع بالأمر	٢٥٥
الصدق	٢٥٦
الظلم	٢٥٩
العدل	٢٦٠
عزى	٢٦١
عضة	٢٦١
العفو	٢٦٢
العقود	٢٦٥
العلم	٢٦٦
العهد	٢٦٧
الغل	٢٦٩

غلف	٢٦٩
الغلول	٢٧٠
الغني	٢٧١
الغيبة	٢٧٢
الغيظ والغضب	٢٧٤
الفاحشة	٢٧٧
الفحشاء	٢٧٧
فطرة الله	٢٧٧
القيامة	٢٧٨
الكبر	٢٧٩
الكذب	٢٨١
الكشف	٢٨٤
أكل الربا	٢٨٥
كلمة الله	٢٨٥
كلمة الله والإنجيل	٢٩٣
اللات	٢٩٥
لسان عربي مبين	٢٩٦
مبشراً ونذيراً	٢٩٨
المجوسية	٣٠٣

المحروم	٣٠٤
مشاء بنميم	٣٠٤
مناة	٣٠٥
المنكر	٣٠٦
نسر	٣٠٦
النشوز	٣٠٧
نقض العهد	٣٠٨
الوحي	٣١٠
ود	٣١٤
يعوق	٣١٤
يغوث	٣١٤
اليهودية	٣١٦
فهرس الموضوعات	٣٦١